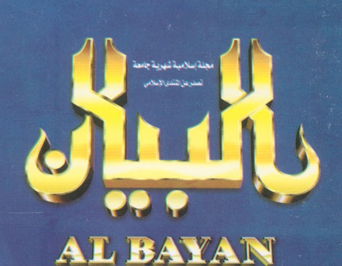
▪ فقه استشراف المستقبل ▪ جهود مصيرها الفشل ▪ الفساد .. الفساد ..!



السنة الثالثة والعشرون . العدد ٢٤٩ . جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ . مايو ٢٠٠٨ م

▪ د. سفر الحوالي يوجه نداء لنصرة فلسطين

▪ ناصرون للإسلام .. من غير أهله

▪ المرأة بين الواجب الشرعي والأهداف الأجنبية

فلسطين ... فجر جديد

شكراً معلمتي

وقف المعلمة

Teacher's endowment

ساهمي بـ 1500 ريال ليبقى لكِ أثراً بعد الرحيل

باستقطاع شهري قدرة ١٠٠ ريال لمدة ١٥ شهراً

عن طريق مصرف الراجحي حساب رقم :

(212608010222226)

بريدة - طريق الملك سعود

055 3841111

06 3841111

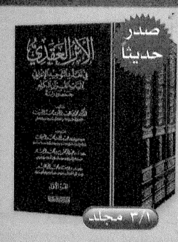
الإدارة النسائية : 06 3846111

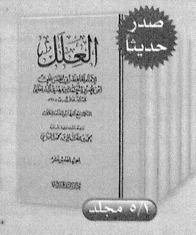


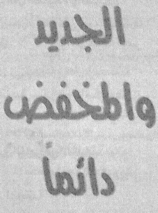
دار التدمرية

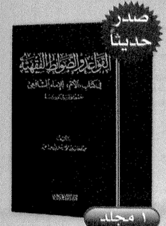
للنشر والتوزيع

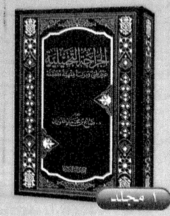
الجديد والمخفض دائماً

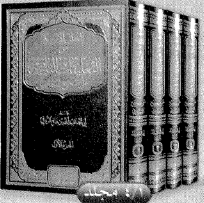


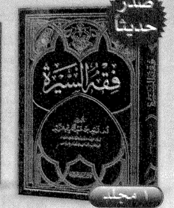




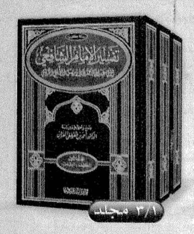


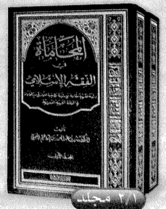


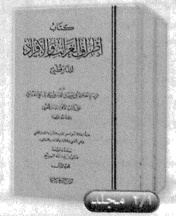


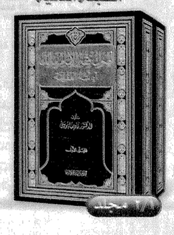


الطبعة الثانية









الرياض . الدائري الشرقي . جنوب مخرج ١٥ مقابل جامع الراجحي الجديد

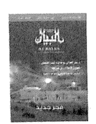
هاتف / ٤٩٢٥١٩٢ / ٤٩٢٤٧٠٦ فاكس/ ٤٩٣٧١٣٠ بريدة . طريق الشاحنات . حي الصفرا . هاتف / ٣٢٦٢٢٦٢

tadmoria@hotmail.com

مجلة البيان

إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي





رئيس مجلس الإدارة

د. عادل بن محمد السليم

رئيس التحرير

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير

أحمد بن عبد العزيز العامر

نائب مدير التحرير

د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

د. عبد العزيز بن مصطفى كامل

د. يوسف بن صالح الصغير

فيصل بن علي البعداني

المراسلات والإعلانات:

الدول العربية:

□ السعودية:

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.

هاتف الاشتراكات مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:

التحرير:

editors@albayan.co.uk

الاشتراكات

sub@albayan-magazine.com

التسويق:

sales@albayan-magazine.com

عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

الموزعون:

- **الأردن:** الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٢٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٢٣.
- **الإمارات العربية المتحدة:** شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف: ٢٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦١٢٦ .
- **سلطنة عُمان:** مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
- **البحرين:** مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
- **السعودية:** الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠ .
- **السودان:** الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف ٧٩٣٢٨٣ - فاكس ٧٩٣٢٨٤ - ص.ب ١١١٦٦ الخرطوم.
- **قطر:** دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
- **الكويت:** شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
- **المغرب:** سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
- **اليمن:** دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥
- طبعت بمطابع الأهرام التجارية. ٦ أكتوبر

الحسابات:

- **السعودية:** شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة ـ شارع الأربعين ـ حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠
- ـ مصرف فيصل الإسلامي ـ حساب رقم: ٠٠٢ ـ ٤٥١٤ ـ ٤٢ ـ ١٠٩
- ـ الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي ـ حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- **الإمارات:** بنك دبي الإسلامي ـ (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- **قطر:** بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٣٠٠١



الفساد.. الفساد..!

الفســاد الإداري والمالــي الذي تعاني منه معظم المؤسســات والهيئات الحكومية في بلدان العالم الإسلامي؛ ظاهرة لافتة للنظر، انعكست آثارها على شــتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعطَّلت كثيراً من مشاريع التنمية والإصلاح.

ولعلَّ من أبرز أسباب هذه الظاهرة:

أولاً: تولِّي المسؤولية على كثير من المفاصل الحيوية في إدارة كثير من الأجهزة الرسمية من قِبَل غير الأكفاء، أو ضعيفي الأمانة، وقد صحَّ عن النبي ﷺ قوله: «لا تقوم الساعة حتى يُخوَّن الأمين، ويُؤْتَمَن الخائن»[1].

ثانياً: ضعف آليات المتابعة والرقابة، والقصور في محاســبة المفســدين؛ بل التســتُّر عليهم في بعض الأحيان، مما جعل كثيراً منهم يســتمرئون الولوغ في مستنقعات الفســاد، والتطاول على الحقوق العامة والخاصة.

ثالثاً: قصور الأنظمة والتشــريعات، وأصبــح الموجود منها مجــرد لوائح شــكلية لا قيمة لها، يتعامل معهــا بعض المتنفذين وصُنَّاع القرار بروح انتقائية ونفعية!

إن هذه الأسباب – وغيرها – أوجدت بيئة خصبة لنموِّ الرشوة والســرقة والأثَرة، واستشراء الاستهتار وغير المبالاة بحقوق الناس ومعاشــهم، وانتهــاك كرامــتهم، وأصبــح العامــة – والضعفاء خصوصــاً – لا يســتطيعون الحصــول علــى كثير مــن حقوقهم المشروعة.

إن على العقـلاء عموماً والإسلاميين خصوصاً مسؤولية كبيرة في التصدِّي لطوفان الفســاد الذي أهلك الحرث والنســل، وما أعظم قول النبي ﷺ: «لا قُدِّست أمة لا يأخذ الضعيفُ فيها حقَّه غيرَ مُتَعْتَع!»[2].

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٤٥٨)، رقم (٦٨٧٢)، وصحح إسناده المحقق.
(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصدقات (٢/ ٨١٠)، رقم (٢٤٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع. قال ابن منظور: غير مُتَعْتَع: أي من غير أن يصيبه أذىً ويُزعجه. [لسان العرب/ مادة تعع]

سعر العدد:

السعودية ١٠ ريالات — قطر ١٠ ريالات — الأردن ٧٥ قرشاً
الكويت ٨٠٠ فلس — اليمن ١٠٠ ريالاً — الإمارات العربية ١٠ دراهم
مصر ٥ جنيهات — السودان ٢٠٠ دينار — البحرين دينار واحد
المغرب ١٢ درهماً — سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة — فلسطين نصف دولار أمريكي
أوروبا وأمريكا ٢,٧٥ يورو أو ما يعادلها

الاشتراكات:

السعودية ودول الخليج — ١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا — ٤٧ يورو
أوروبا — ٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا — ٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم — ٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية — [illegible] يورو

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



الافتتاحية

حرب تنصير المسلمين وواجبنا نحوها

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن الحرب الضروس التي يشنُّها النصارى على المسلمين لتنصيرهم متواليةٌ ومتواصلة على بلداننا وشعوبنا، وينفقون في سبيل ذلك الملايين لإغراء زبائنهم واصطيادهم، متخذين لذلك أساليب متنوعة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: من خلال بث القسيسين والرهبان لما يزعمونه تبشيراً بدين المسيح عليه السلام، وهو في الحقيقة تنصير عبر أساليب مشبوهة؛ منها: الإغراء بالمال وشرب الخمور والفساد الأخلاقي، واخترعوا لذلك سفناً عابرة للبحار، ومن أشهرها: السفينة (دولوس) التي تطوف المرافئ العالمية ومنها بعض المرافئ الإسلامية، وهي تحمل ثلاثمائة منصِّر وآلاف الكتب والنشرات مع أشرطة غنائية ورقصات ماجنة يُغْرون بها الشباب والشابات المراهقين، ولا ندري كيف يجمعون بين دعوتهم إلى دينهم المزعوم وبين هذا الفساد والمجون؟!

ثانياً: من خلال افتتاح مراكز رسمية باسم (سفارات للفاتيكان) هي في الواقع مراكز للكنيسة الكاثوليكية، وهي تؤدي أدواراً مشبوهة تتمثل في رعاية النصارى والمتنصرين ومتابعة فتح الكنائس لهم ورعايتها. والعجيب أن الدول التي تسمح بإنشاء مثل هذه السفارات على أراضيها ترفض في الوقت نفسه قيام المؤسسات الإسلامية بشكل رسمي؛ بدعاوى ساذجة ولأهداف غير خافية على أحد، إلاَّ أن يكون الأمر:

حرام على بلابله الدَّوْحُ
حلال للطير من كل جنسِ

ثالثاً: من خلال إنشاء مدارس وجامعات تنصيرية في بعض بلدان المسلمين تؤدي أدوارها المشبوهة في وضح النهار، ويتداعى عليها عِلْية القوم لتدريس أبنائهم وبناتهم الذين يفتخرون جهلاً بأنهم من خريجيها.

رابعاً: من خلال قنوات ومكاتب ثقافية تنشر غثاءها وأباطيلها بين الناس مكذِّبة للإسلام ومهاجمة له: عقيدةً وأخلاقاً وسلوكاً. والغريب أننا لم نسمع عن إغلاق هذه القنوات التنصيرية، في حين تُغلق قنوات إسلامية بحجج تافهة ما أنزل الله بها من سلطان؛ فمَنْ وراء هذه التصرفات الغريبة العجيبة؟ ولمصلحة من؟!

ماذا فعل المنصِّرون في بلاد المسلمين؟

للمنصِّرين جهود كبيرة في بلاد الإسلام لتنصير أهلها، نبيِّن بعضها في التالي:

أولاً: التنصير في مصر:

هذه البلاد التي بعث رسولنا الكريم ﷺ رسالة دعوية إلى عظيمها (المقوقس) يدعوه فيها إلى الإسلام حملها الصحابي الجليل (حاطب بن أبي بلتعة) رضي الله عنه، فردَّ عليه رداً جميلاً، وأهدى إلى الرسول ﷺ جاريتين وبعض خيرات مصر. وبعد دخول مصر الإسلام لم يُرْغَم أحد من أبنائها على اعتناقه إرغاماً؛ لقوله - تعالى -: ﴿لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وأوصى رسولنا ﷺ بالقبط خيراً، وكانت العلاقة معهم طيبة لعدة قرون، إلا أنه بعد إسلام الكثيرين منهم في السنوات الأخيرة وبخاصة قساوستهم ورهبانهم؛ أصيب رؤساؤهم بهلع جعلهم يعملون على محاولة تنصير المسلمين في هذه البلاد؛ فلم يجدوا سوى بعض المراهقين والفقراء وذوي الظروف الاجتماعية المضطربة. وقد ذكر تقرير نُشر عن التنصير في مصر في مجلة (المجتمع) الكويتية مؤخراً أنه بينما يتنصَّر من المسلمين ١٠ أفراد يُسْلِمُ في المقابل من النصارى ٨٠ فرداً تقريباً، وهذا سرُّ حقدهم وحملاتهم التنصيرية الفاشلة التي يقومون بها بأساليب مشبوهة سبق الإشارة إلى شيء منها. ومما يجلِّي حقدهم هذا على الإسلام وأهله ومحاولتهم

تنصيرهم ما نُشِرَ مؤخراً عن تنصُّر صحفي مصري هو (مجدي علاَّم) على يد بابا الفاتيكان في بث مباشر، وقد هدفوا من هذا التصرف استفزاز المسلمين عبر تنصر هذا المشبوه الذي قُبِض عليه سابقاً بشبهة التجسس للعدو الصهيوني ولوجود علاقات مريبة له مع فتاة يهودية، ثم أُطلق سراحه! وانتقل إلى إيطاليا وحظي برعايتها، ومُكِّن من العمل الصحفي لما يقدمه لأعداء بلده من خدمات كبيرة منها ادِّعاؤه أن بلده - مصر - يسيء إلى الأقباط[1]، ومثل هذا لا يُؤسَف عليه ويجب أن يكون لسان حال المصريين جميعهم بعد تنصُّره: (الحمد لله الذي أذهب عنا الأذى وعافانا).

ثانياً: التنصير في تونس:

رغم أن قانون تونس يمنع التنصير ويحظر أعماله ويعدُّ ذلك مجافاة للنظام، وقد جرى القبض على بعض المنصِّرين أكثر من مرة وجرت مصادرة وثائقهم وما في حوزتهم من كتب ومنشورات وأشرطة متنوعة؛ إلا أن بعض المنظمات التنصيرية استمرت في أداء دورها عبر وسائل الاتصال الحديثة؛ من بثٍّ فضائي وإنترنت، معتمدين على شباب تونسيين تنصَّروا في الخارج بالأساليب السالفة الذكر نفسها.

وأمام الضغوط الخارجية افتُتحت كنيسة قديمة في جزيرة (جربة) السياحية التي سبق إغلاقها عام ١٩٦٤م؛ بسبب نشاطها التنصيري، ووعدت الفاتيكان بزيارة الكنيسة ودعمها وتنظيم الأفواج السياحية لزيارتها ودعم الاستثمارات في هذا المجال.

وبهذه الأساليب يُفتح المجال لتنصير المسلمين في خضمِّ الفقر والجهل والمرض الذي يعايشه الكثيرون؛ والله المستعان.

ثالثاً: التنصير في إندونيسيا:

وهي أكبر الدول الإسلامية سكاناً؛ حيث يبلغ عدد سكانها ٢٢٥ مليون نسمة؛ ٩٠٪ منهم مسلمون، و ٧٪ نصارى تقلَّص عددهم بعد انفصال (تيمور الشرقية). وللنصارى فيها نشاطات كبيرة منذ الاحتلال الهولندي وحتى خروجه بالاستقلال عام ١٩٤٥م، وجرى تنصير آلاف المسلمين، وساعدت على هذا النُّخب العَلْمانية التي سلَّمها المحتل الحكم وصنع لها فلسفتها التي أقامت عليها دستورها الحاكم وهو منهاج عَلْماني قومي والمسمى (البانجاسيلا) الذي جعلهم يقفون مكتوفي الأيدي أمام التنصير ونشاطاته الكبرى لا سيما أن الشعب الإندونيسي يشيع فيه الجهل والتصوف وسوء الأوضاع الاقتصادية، فما أحوج هذا الشعب المسلم إلى الدعم والمساعدة حتى لا يكون ضحية التنصير المحدق به والذي وعد أربابه أن يتنصَّر هذا الشعب كله عام ٢٠٠٠م، ولكن الله خيَّب آمالهم[2].

رابعاً: التنصير في المغرب:

لم تعد جهود التنصير في المغرب شيئاً مجهولاً، وفي المقابل لا يجهل أحد أن الشعب المغربي المسلم معروف بأصالته وصدق انتمائه، إلا أن جهود النصارى القائمة عبر وسائل الاتصال التقليدية والحديثة بدأت تفعل فعلها، فقد سبق أن أعلن تقرير فرنسي عام ٢٠٠٥م عن جهود التنصير في المغرب مما جعل المسؤولين المغاربة أمام معضلة حقيقية وخطر داهم إلى بلادهم بعد تعرض الشباب المغربي لمحاولات عدة لتنصيرهم، وأشار التقرير إلى وجود ٢٠٠٧ منصِّرين في مختلف مناطق المغرب. وقد تطرق البرلمان المغربي إلى هذه الكارثة، وحذَّر من أبعادها الخطيرة، داعياً إلى إيجاد سياسة توعوية لمواجهة هذا الخطر. ونشرت مجلة (المجلة) أنه في الآونة الأخيرة جرى تنصير ٧٠٠٠ مغربي، وأن الرقم قد يتجاوز ذلك، وأن ثلث النصارى المغاربة الذين يبلغ عددهم (٣٠,٠٠٠) فرد أصلهم مسلمون، وأن من أسباب تنصُّرهم الظروف الاقتصادية والاجتماعية والحملة الدعائية للتنصير[3].

خامساً: التنصير في دول الخليج العربي:

لم يخجل المنصِّرون من استهداف المسلمين في دول الخليج كافة، فما تزال قنواتهم الفضائية ومواقعهم الإلكترونية، ورسائلهم البريدية تعمل على إغراء المسلمين - وبخاصة الشباب - ليتنصَّروا ويخرجوا من دينهم ودين آبائهم (الإسلام)، وعملوا في بعض دول الخليج على إنشاء كنائس باسم رعاياهم، وهي لا تخلو من جهودهم في التنصير، مع أن الإسلام صرَّح بمنع وجودهم الدائم في جزيرة العرب ومنها: دول الخليج العربي كما جاء في حديث صحيح في هذا الباب، أما لماذا أتيح لهم مثل هذا الوجود فهذا نسأله لمن يعنيه الأمر؛ فهل لديهم ما يقدرون به على إقناعنا بهذا الوجود المشبوه لهؤلاء المنصِّرين الذين يعيثون في الأرض فساداً؟

إن الجهود التنصيرية الكبيرة للمنصِّرين في شتى ديار الإسلام إنما هي غيض من فيض، ومع كل ما لديهم من إمكانيات كبيرة فإنهم لم يستطيعوا أن ينصِّروا من المسلمين

(١) انظر: صحيفة (الأسبوع) المصرية، العدد الصادر في ٢١/٣/١٤٢٩هـ، الموافق ٢٩/مارس/٢٠٠٨م.

(٢) مجلة (المجلة)، العدد ١٧٢٤، الصادر في: ٤/١١/١٤٢٦هـ.

(٣) انظر: الإسلام في إندونيسيا، لمحمد ضياء شهاب وعبد الله بن نوح، من مطبوعات الدار السعودية للنشر والتوزيع.

إلا فئات محدودة يمكن أن تصنّف في التالي:

١ - المراهقين والمراهقات.

٢ - الفقراء والمرضى والمحتاجين الذين يتنصرون تحت ظروف الفقر والحاجة.

٣ - الشباب الذين عاشوا في الغرب من أمهات نصرانيات أو ممن ليس لديهم وازع ديني.

٤ - الأطفال المخطوفين. وإن خبر اختطاف أطفال دارفور مؤخراً ليس ببعيد عنا، فقد بلغ عددهم أكثر من مائة طفل وجرى اختطافهم بواسطة شركة فرنسية ولمصلحة (جمعية تنصيرية) يسمونها خيرية، وقد تم القبض عليهم في تشاد، وأحيلوا إلى القضاء بعد غضب الرأي العام حيال هذه الجريمة، وتبين لاحقاً أنهم بيعوا لأسر فرنسية بمبالغ تتراوح ما بين ٤٠٠٠ و ٨٦٠٠ دولار للطفل الواحد، وزعموا أنهم ينقلونهم إلى أسر ترعاهم، وهذه حيلة المجرمين بعدما فضحهم الله[١].

ما تقدم نماذج لبعض ساحات تلك الحرب، والمقام لا يتسع لذكر ما يجري من عمليات التنصير في بقية بلاد المسلمين.

والسؤال الهام تجاه هذا الواقع المأساوي الذي يقوم به المنصّرون في بلدان المسلمين: ما سبب هذه الهجمة التنصيرية على الإسلام والمسلمين والحرص المستمر على تنصيرهم؟! هذا في نظرنا لا يمكن خروجه عن الأسباب التالية:

أولاً: رغبتهم في إضلال المسلمين، وقد ذكر الله - تعالى - ذلك في آيات من الذكر الحكيم؛ منها قوله - تعالى -: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله - تعالى -: ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ثانياً: الحسد الذي يملأ قلوبهم من بُغْض الإسلام والمسلمين، وقد قال الله - تعالى - في ذلك: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: ٨٩].

ثالثاً: (عقدة الإسلاموفوبيا) التي اجتاحت الدول الغربية عامة قبل ٢٠٠١/٩/١١م وبعده، والمؤسسات التنصيرية بشتى مذاهبها خاصة، ولا سيما بعد إسلام كثير من أعلام الغرب من العلماء والمفكرين والسفراء والقسيسين. وهؤلاء كان إسلامهم عن علم وقناعة وليس عن دعايات محدودة، وهذا ما جعلهم يكيدون لنا كيداً، ولا سيما أنهم حددوا عام ٢٠٠٠م عاماً لتنصير إفريقيا، ولكن الله خيّب آمالهم وانتشر الإسلام فيها؛ ولله الحمد والمنة.

رابعاً: الخوف الذي أحدثته الدراسات الإحصائية لتعداد المسلمين وانتشار الإسلام في شتى أنحاء العالم، ففي الموسوعة العالمية الجديدة للأديان لمؤلفها (دافيد باريت) و (تود جونسن) ذكرا أن الإسلام يحقق توسعاً مرموقاً، وأن النصرانية تفرقت إلى فرق مذهبية بلغت ٣٨٨٣٠ فرقة، وقالا: إن الإسلام هو الدين الثاني في العالم[٢].

ولا يغيب عنا ما أعلنه الفاتيكان نفسه مؤخراً أن عدد المسلمين تجاوز عدد النصارى الكاثوليك.

واجبنا نحو هذه المأساة حتى لا تتفاقم:

١ - إنّ تنصُّر واحد من المسلمين فإثمه يقع على المتسبِّب بذلك؛ فكيف بتنصُّر العشرات بل الآلاف؟ إنه تفريط عظيم، ونحن مسؤولون عنهم أمام الله تعالى، فلا يصح أن يفرَّط في تعليم المسلمين أو أن يُسكَت عن إفقارهم أو تعرُّضهم للأمراض المعدية والمزمنة التي لا يجدون لها علاجاً إلا عن طريق غير المسلمين، مما يحتِّم علينا ردم هذه الفجوات الناتجة عن تلك الأسباب، واللهُ لن يغفر هذه الخطايا في حق المسلمين، وسيحاسب - سبحانه - حساباً شديداً كل من بيده الولاية الخاصة أو العامة إزاء ذلك التفريط.

٢ - أهمية التوعية بأخطار التنصير، وغلق الأبواب أمام بعثاتهم التنصيرية، والضرب بيدٍ من حديد على جهودها المضلِّلة والقائمين بها، فلا يصح فتح المجال لهم مهما كانت المغريات؛ سواء كانت ببناء الكنائس، أو بفتح المدارس التنصيرية، أو الجمعيات التي تدَّعي عمل الخير وهدفها في الحقيقة استمالة الفقراء والمعوزين وتنصيرهم؛ وهذا ما حدث فعلاً.

٣ - تشجيع وسائل الإعلام ذات الجهود التوعوية التي تنشر الحق وتحذر من الباطل وأهله. وإن لأعدائنا مئات القنوات التنصيرية، وقد شجعوا حتى النصارى في البلدان العربية على إنشاء تلك القنوات بواسطة أناس حاقدين على الإسلام، بينما لا يوجد سوى قناة واحدة للمسلمين تردُّ على شُبَه المنصِّرين؛ فمتى تفتح قنوات متخصصة في حوار القوم وتكشف شبهاتهم وأباطيلهم، فهي أوهى من خيط العنكبوت؟ ومما يؤسف له أن هناك عشرات القنوات العربية التي تبث الفساد والمجون وبأموال المسلمين أنفسهم.

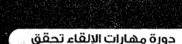
فليحذر المفرِّطون والمتهاونون والمتساهلون في نصرة الإسلام وأهله ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

---

(١) مجلة (المجتمع)، العدد ٤٧٧٦.

(٢) انظر عرض هذه الموسوعة الجديدة في: مجلة (الكوثر)، العدد ٢٢، الصادر في أغسطس ٢٠٠١م.





بعد تنفيذ ٢٢٠ دورة

وتدريب ٨٠٠٠ متدرب ومتدربة

وتقديم ٨ دورات دولية

وتقديم ٤٥ برنامجاً لكبار الشخصيات والشركات والجهات الحكومية

دورة مهارات الإلقاء تحقق

- تهيئة خريجي الجامعات للتطبيق والتدريس.
- كيفية إعداد الكلمات والمحاضرات المقنعة والمؤثرة.
- كسر حاجز الهيبة من التحدث أمام الآخرين.
- التعرف على أسرار التأثير.
- تنمية مهارات الإصغاء.
- التعامل مع الأسئلة المفاجئة.

الخطيب الصغير:

دورة إلقاء للأبناء: آداب اجتماعية + علوم رجال + لبس المشلح

من إصداراتنا:

كتاب لماذا نخشى الإلقاء؟

البوم شريط: فن الإلقاء

إصداراتنا متوفرة لدى مكتبات:
جرير و العبيكان

قالوا عن الدورات

وداعاً يا خجل وإلى الأمام نحو الإلقاء المؤثر

بكل أمانة هذه الدورة جعلتني أحب الإلقاء

كنت أدار و بعد الإلقاء سوف أدير

مركز الإلقاء

أول مركز متخصص في الإلقاء

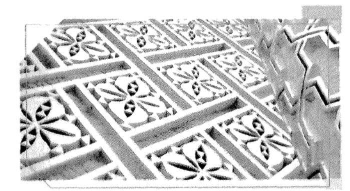
www.alelqa.com

الرياض هاتف ٤٧٧٩٩٩٢ جوال ٠٥٠٥٤٩٧١٩٤ - ٠٥٠٥٢٧٤٣٦٤ - ٠٥٠٤٢٥٤٧٩٤



الفقه الارتيـــادي

نـظـرات فـي الـفـقـه المستشرف للمستقبل



د. هاني بن عبد الله الجبير(*)

لا نـكاد - في هذا الوقت - نختلف في وجود التطوّر السـريع، والتغيّر المطرد المتسارع في كثير من المعالم والصناعات والتقنيات التي سـبّبت تغيُّرَ كثيرٍ من الوقائع، وتدخُّـل أسـباب تؤثـر علـى تكييفهـا الفقهـي وتغيّر واقعها الـذي انبنى التكييف الشـرعي عليه، فأدّى ذلك إلـى تغيُّر كثير من الأحكام الاجتهادية؛ لتتّفق مع واقع العصر، ولتساير مقتضى الحال، وهذا معلوم واقع.

كمـا أنّـه قـد اسـتجدت أمور وقضايا لم تعرض سابقاً ولا انبـرى الفقهاء لمناقشـتها وبيانها سـابقاً، ولا زال المختصون يبحثون أحكام نوازل، فتنزل بهم غيرها، ولمّا يفرغوا من سابقتها.

و (الواقـع الذي هو مجال الفقه أصبـح عبئاً مرهقاً للفقيه ولجهده الذي يبذله لفهمه واسـتيعابه؛ بسـبب ما حدث لهذا الواقع من تغيُّرات سريعة وتحوُّلات تتجاوز في أحيانٍ كثيرة قدرة الفكر علـى ملاحقتها فضلاً عن مواكبتها.

لقد كان الواقع خلال قرون متطاولة بسـيطاً فأصبح معقَّداً متشابكَ الجوانب مرتبطاً بخلفيات سابقة وظواهر مجادة وآثار لاحقة)[1].

ولمـا كانت هذه المتغيرات والمسـتجدات كلها تحتاج إلى بيان الحكم الشـرعي ويُفتقر إلى الفتوى الشرعيّة في حين حصولها، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز[2]، وكان السـلف الصالح وأصحاب الحكمة في الجاهليّة والإسـلام يكرهـون الجواب الدَّبَري وهو الذي يجـيء بعد وقته، ومن أمثال العرب: شَرّ الرأي الدبري[3].

وكان بعضهـم ينهى عن الرأي الفطير، ويسـتعيذ بالله من الرأي الدبري[4]؛ بـأن يسـتعد للـرأي باختـياره وإدارته في الذهن قبل تقريره، وليكون مسـتعداً بالإدلاء به عند ورود الحـادثة. وقـد زَوّر[5] عـمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في نفسـه ما يقوله يوم السـقيفة قبل وقتها استعداداً لما يقدم عليه.

وفي هذه الورقات القليلة محاولة للوقوف مع أفكار ورؤى حول ما نحتاجه هذا الزمن من بيان حكم ما سيعرض للأمة وأفـرادها من نوازل ومسـتجدات مقبلـة - قبل وقوعها - استعداداً لما هو مقبل وآتٍ، راجياً أن أوفَّق لبيانٍ ينفع أحداً، والله الموفق.

(*) قاض شرعي في المحكمة الشرعية بمكة المكرمة.

(١) نحوَ فقه سديد لواقع أمتنا (١/ ٣٥٥)، حقيقة فقه الواقع، د. عبد الرحمن الزنيدي.

(٢) المستصفى للغزالي (١/ ٤٨٣)، شرح الكوكب المفيد (٢/ ٢٤٠)، شرح المحلى على جمع الجوامع مع حاشية العطار (٤/ ٦٦).

(٣) أمالي القالي (١/ ١٣١)، وانظر: مجمع الأمثال (١/ ١٥٦)، والدبري: الرأي الذي يسنح للإنسان بعد فوات الحاجة، والرأي الفطير: الرأي المتعجِّل.

(٤) العقد الفريد (١/ ١٨)، الكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٢٩)، البيان والتبيين (١/ ٦١).

(٥) زوّر الكلام: هيّأه وقدّره.

أولاً: المراد بالفقه الارتيادي، أو الفتوى الارتيادية:

الفقه: معرفة الأحكام الشرعية العملية[1].

والفتوى: تبيين الحكم الشرعي، والإخبار به، بدون إلزام[2].

والارتياد: الطلب، والقصد.

والرائد: مَن يتقدّم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث[3].

فهو يبصر لهم ما لا يبصرونه بأنفسهم، ويتقدمهم ليستطلع لهم الحال وينبئهم بما تكون عليه.

وهذا المصطلح لا أعلم أحداً عرَّفه. ويمكن تعريفه بناء على ما سبق بأنّه: التعرّف على الأحكام الشرعية للمسائل التي يتوقع حصولها.

أو تبيين الحكم الشرعي للمسائل التي يتوقع حصولها.

ثانياً: الإفتاء والبحث في المسائل التي لم تقع:

تناول أهل العلم حكم الإفتاء والبحث في المسائل التي لم تقع، وتفاوتت أنظارهم في هذه القضيّة:

- فجمهورهم على كراهة ذلك؛ استدلالاً بما نقل عن السلف من كراهتهم السؤال عن الحوادث قبل وقوعها، وعدم إجابتهم عن هذه الأسئلة.

فقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «أحرِّج بالله على كل امرئ مسلم سأل عمّا لم يكن؛ فإنَّ الله قد بيَّن ما هو كائن»[4].

وعن مسروق قال: سألت أُبَيَّ بن كعب عن شيء، فقال: أكان هذا؟ قلت: لا، قال: أرحنا حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا[5].

وعن الشعبيّ أنّه قال: سُئل عمار بن ياسر عن مسألة، فقال: هل كان هذا بعدُ؟ قالوا: لا، قال: دعونا حتى تكون، فإذا كانت تجشَّمْناها لكم[6].

وكان زيد بن ثابت - رضي الله عنه - إذا سئل عن شيء قال: آلله كان هذا؟ فإن قال: نعم! تُكُلِّم فيه، وإلا لم يُتَكَلَّم[7].

ومنهم من استدل بقول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]. وبما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»[8].

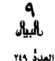
- ومن أهل العلم من ذهب إلى استحباب الإفتاء فيما لم يقع[9].

وقد فصَّل ابن القيم في هذه المسألة فقال: (إذا سأل المستفتي عن مسألة لم تقع فهل تُستَحَب إجابته أو تُكرَه أو تخيَّر؟ فيه ثلاثة أقوال، وقد حُكِيَ عن كثير من السلف أنه كان لا يتكلّم فيما لم يقع، وكان بعض السَّلف إذا سأله الرجل عن مسألة قال: هل كان ذلك؟ فإن قال: نعم! تكلَّف له الجواب، وإلا قال: دعنا في عافية.

والحق التفصيل: فإن كان في المسألة نص من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، أو أثر عن الصحابة؛ لم يُكرَه الكلام فيها. وإن لم يكن فيها نص ولا أثر؛ فإن كانت بعيدة الوقوع أو مقدّرة لا تقع لم يستحب له الكلام فيها، وإن كان وقوعها غير نادر ولا مستبعد وغرض السائل الإحاطة بعلمها ليكون منها على بصيرة إذا وقعت؛ استحب له الجواب بما يعلم، لا سيما إن كان السائل يتفقَّه بذلك ويعتبر بها نظائرها ويفرّع عليها، فحيث كانت مصلحة الجواب راجحة كان هو الأَوْلى؛ والله أعلم)[10].

وبيَّن ابن القيم أيضاً أن نهي الله - تعالى - عن السؤال إنما هو عن أحكام شرعية عفا الله عنها - أي: سكت عن تحريمها - فيكون سؤالهم عنها سبب تحريمها، ولو لم يسألوا عنها لكانت عفواً، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: «إنّ الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وحَدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[11]. وعلى هذا فقوله - تعالى -: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]؛ فإنه يسوؤهم أن يبدو لهم ما يشق عليهم تكليفه.

(١) المستصفى (١/ ٥٠)، البحر المحيط للزركشي (١/ ٣٥).
(٢) مطالب أولي النهى (٩/ ٢٣١)، الفروق، للقرافي (٤/ ٣٤)، صفة الفتوى والمفتي، لابن حمدان، ص ٤.
(٣) الصحاح (٢/ ٤٧٨)، المعجم الوسيط (١/ ٣٨١).
(٤) الدارمي (١٢٤)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٩٢)، وابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٧٠).
(٥) كتاب العلم، لأبي خيثمة (٧٦)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٩).
(٦) الدارمي (١٢٢)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٨).
(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٥٠٠)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٩).
(٨) صحيح البخاري (٧٢٨٨)، صحيح مسلم (١٣٣٧).
(٩) الإنصاف للمرداوي (٢٨/ ٣١٨).
(١٠) إعلام الموقعين (٤/ ٢٢٢).
(١١) سنن الدارقطني (٤/ ١٨٣)، السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ١٢)، الحلية لأبي نعيم (٩/ ١٧) عن أبي ثعلبة الخشني، وله شاهد عن أبي الدرداء عند الحاكم (٢/ ٣٧٥)، قال الهيثمي (مجمع الزوائد: ١/ ١٧١): إسناده حسن.



وعلى هذا؛ فلا ينبغي للعبد أن يتعرَّض للسؤال عما إن بدا له ساءه، بل يستعفي ما أمكنه سواء كان ذلك من أمور الشرع أو القدر[1].

وكذلك لما درس ابن رجب المنقولات الواردة في النهي عن السؤال قرر أنها تدل على النهي عن أنواع مخصوصة من المسائل، منها: النهي عن السؤال عما لا يحتاج إليه مما يسوء السائل جوابه؛ مثل: سؤال السائل: هل هو في النار أو في الجنة؟

ومنها: النهي عن السؤال على وجه التعنّت؛ كاقتراح الآيات.

ومنها: السؤال عما أخفاه الله عن عباده ولم يطلعهم عليه؛ كالسؤال عن وقت الساعة.

ومنها: السؤال عما يكون سبباً للتشديد كما سبق.

ثم بيَّن - رحمه الله - أن ما سبق من أنواع المسائل مختص بحياة النبي ﷺ، وأنَّ ما هو باقٍ بعد موته - عليه الصلاة والسلام - من السؤال المذموم هو السؤال المثبط عن الجدِّ في متابعة تكاليف الشريعة، فالمطلوب من المكلَّف صرف همَّته إلى امتثال أوامر الشرع، واجتناب نواهيه، والوقوف عند معانيه، أما لو صرف همته إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع فهذا من السؤال المذموم؛ لما يؤدي إليه من التثبيط عن الجدِّ في متابعة الأمر، وقد سأل رجلٌ ابن عمر - رضي الله عنهما - عن استلام الحجر فقال: رأيت النبي ﷺ يستلمه ويقبِّله، فقال الرجل: أرأيت إن غُلِبت عليه؟ أرأيت إن زُوحِمت؟ فقال ابن عمر: اجعل أرأيت في اليمن، رأيتُ رسول الله ﷺ يستلمه ويقبِّله[2]. ومراد ابن عمر - رضي الله عنهما - أنّه لا يكُنْ لك همٌّ إلا في الاقتداء بالنبي ﷺ ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك أو تعسّره قبل وقوعه، فإنّه قد يفتر العزم عن التصميم على المتابعة، فإنّ التفقُّه في الدين والسؤال عن العلم إنما يُحمد إذا كان للعمل لا للمِرَاء والجدال.

ولهذا المعنى كره كثير من السلف السؤال عن الحوادث قبل وقوعها[3].

وأمّا الخطيب البغدادي فلعلَّه من أكثر من أطال النَّفَس في مناقشة هذه المسألة وتوجيه نصوص السلف بأن النهي فيها هو أن يكون السؤال على سبيل التعنُّت والمغالطة، أو على توقِّي القول خوف الزَّلل وهيبةً لما في الاجتهاد من الخطر، وأن لهم عن ذلك مندوحة فيما لم يحدث، ونقل عدة نقول من السلف في سؤالهم أو إذنهم بالسؤال عما لم يقع، ثم ناقش ذلك نقاشاً مستفيضاً وقرر أنه: (مباحٌ النظر والجدل فيما نزل من الحوادث وفيما لم ينزل؛ حتى يُعْرف حكم ما لم ينزل، فإذا نزل عُمِل به)[4].

ثالثاً: مشروعيّة الفقه الارتيادي:

الفقه الارتيادي فرد من أفراد المسائل التي لم تقع، والتي يراد ببحثها الاستعداد للعمل عند وقوعها، فهو بذلك منتظم فيما سبق ذكره.

وقد جاءت شواهد من الشرع عليه؛ فمن ذلك أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يسألون النبي ﷺ عن حكم حوادث قبل وقوعها؛ للعمل بها عند وقوعها.

فعن رافع بن خديج - رضي الله عنه - قال: «قلت يا رسول الله! إنا نخاف أن نلقى العدو غداً، وليس معنا مُدَى، أفنذبح بالقصب؟ قال: ما أنهر الدم وذُكِر اسم الله عليه فكُلْ، ما خلا السن والظفر»[5].

وعن سلمة بن يزيد «أن رجلاً قام إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيتَ لو كان علينا أمراء يسألونا الحق، ويمنعونا حقنا أفنقاتلهم؟ قال: لا؛ عليكم ما حُمِّلتم، وعليهم ما حُمِّلوا»[6].

وقد سأله حذيفة - رضي الله عنه - عن الفتن[7]، وسأله الصحابة - رضي الله عنهم - عن الصلاة أيام الدجال إذ تتفاوت الأوقات.

ومثل هذا التفقُّه ينمِّي الـمَلَكة ويزيد الاستعداد، ويقوِّي الذهن، وهو من مفاتيح تجديد الفقه وجعله مواكباً لحاجة الناس. قال ابن تيمية: (وما ذكره طائفة من الفقهاء من اجتماع صلاة العيد والكسوف فهذا ذكروه في ضمن كلامهم فيما إذا اجتمع صلاة الكسوف وغيرها من الصلوات مع عدم استحضارهم: هل يمكن ذلك في العادة أو لا يمكن؟ فلا يوجد في تقديرهم ذلك العلم بوجود ذلك في الخارج، لكن استفيد من ذلك العلم: علم ذلك على تقدير وجوده،

(١) إعلام الموقعين (١/٧٢).
(٢) صحيح البخاري (١٦١٠).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/٢٤٣).

(٤) الفقيه والمتفقه (٢/١٠، وما بعدها).
(٥) صحيح البخاري (٢٤٨٨)، صحيح مسلم (١٩٦٨).
(٦) السنن الكبرى للبيهقي (٨/١٥٨)، الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٢٤٢).
(٧) صحيح البخاري (٧٠٨٤).

كما يقدرون مسائل يُعلَم أنها لا تقع لتحرير القواعد وتمرين الأذهان على ضبطها)[1].

وقرَّر ابن رجب أن من أتباع الحديث مَنْ سدَّ باب المسائل حتى قَلَّ فقهه وعلمه بحدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ، وصار حامل فقه غير فقيه، ومنهم من جعل معظم همِّه البحث عن معاني كتاب الله وما يفسّره من السنن الصحيحة، وتشاغل عما لا ينفع ولا يقع، وهذه طريقة علماء الحديث الربانيين.

وقابلهم فقهاء الرأي الذين توسَّعوا في توليد المسائل قبل وقوعها ما يقع وما لا يقع[2].

وناقش المزني من ينكر البحث فيما لم يقع فقال: (أليس على كل مسلم أن يطلب الفرائض في الطهارة والصلاة والزكاة والصيام ونحو ذلك من الكتاب والسنة قبل أن ينزل ذلك؟ فإذا قال: نعم! قيل: فكيف يجوز طلب ذلك في بعض الدين والجواب فيه ولا يجوز في بعض، وكل ذلك دين؟)[3].

إن الملاحَظ الآن على واقع الفقه والفتوى هو البطء الشديد في الاستجابة للمتغيرات، حتى إن الفتوى لتصدر أحياناً بعد تغيُّر الوضع عما هو عليه إلى وضع جديد، وذلك لعدم المبادرة حين ظهور المشكلة أو النازلة، بل يؤخَّر الحكم والإفتاء حتى يتفاقم الوضع وتبدأ الاستجابات الخاطئة[4].

ولذا؛ فكثير من المسائل المستجدة هي الآن في حيِّز الفراغ الفقهي، وهذا بلا شك مؤدٍّ إلى زعزعة ثقة الناس بالتشريع. وعدد غير قليل من الفتاوى والآراء الفقهية جاءت استجابة لأسئلة معينة أو أوضاع خاصّة لا تحمل التكامل المطلوب، ولا تعطي صورة حقيقية عن التشريع الإسلامي المواكب لجميع التطورات والتغيرات في الأزمنة والأمكنة.

مع أن شأن الفقهاء كان مخالفاً لذلك، فقد فرضوا مسائل لم تقع - أو لا يُتصور وقوعها أحياناً - استيفاءً للتقييم العقلي، فكان في ذلك من إثراء الفقه وبيانه ما هو معروف.

رابعاً: طرق معرفة ما يستوجب البحث:

إذا تقرَّر أنَّ العناية ببحث الأحكام الشرعية المتوقع حصول مقتضياتها من نوازل تستجد أو أوضاع تتغير؛ مطلب متوجه؛ فإنّه يمكننا محاولة استطلاع ذلك والتعرف عليه من خلال عدة طرق، منها:

١ - الاطلاع على الدراسات المستقبلية في المجالات العلمية والتقنية وغيرها:

ولا شك أنَّ التقنية الحديثة من أهمِّ المؤثرات على حياة الإنسان عموماً؛ فهي تؤثر في صحته الجسدية والنفسية ونظامه الاجتماعي وموارده الاقتصادية، ولذا؛ فالتنبُّه لمسار التقدم التقني مهمٌّ جداً، فما تقرِّر الدراسات إمكانه (تكنولوجياً) فلا بد من بحث ما يترتب عليه حسبما توضحه تلك الدراسات، وهي في الغالب تدرس آثار هذا على الميادين الصناعية والطبية والواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي؛ فملاحظة ذلك تعطي تصوراً عما يمكن حصوله مما قد يكون له تأثير على الواقع، أو استحداث لما لم يقع سابقاً.

٢ - دراسة مسيرة وتوجُّه المجتمعات:

فمن خلال تأمُّل ومتابعة الظواهر الحادثة أو المتزايدة في أيِّ مجتمع وتحليل مضمونها وأسبابها وذلك من خلال عدة مصادر؛ يمكن توقُّع أنَّ اتجاهاتٍ معينة ستسود المجتمع في المستقبل.

وهذا نوع من الدراسات المستقبلية، لكنّ تأثيره على الواقع واضح، ولا شك أن الأحكام المترتبة على العادات والأعراف والأحوال تتغيّر تبعاً لها.

ولا شك أن الفقيه عندما يستعدُّ لمثل ذلك في فتواه الواقعة وهو يتصوّر التغيُّر ويستعد له ويهيِّئ الناس لفهمه وفهم سبب تغيُّر فتواه؛ يكون قد أخذ من الفقه الارتيادي بأوفر حظ.

٣ - إعداد دراسات مستقبلية فقهية:

تقوم هذه الدراسات باستعمال آليات الدراسة المستقبلية المناسبة لتصوُّر المسائل الممكنة، ويمكنها مع الممارسة العملية ابتكار وسائل خاصّة بالدراسة المستقبلية الفقهية، كما وجد نظير ذلك في المجال القانوني.

بل إن من أهمِّ خصال دارس المستقبل (سعة تصوُّره وجرأته في التوليد والاشتقاق والقياس، وتلك هي صفات الفقهاء. ولذا فإن الفقهاء ترشحهم ممارساتهم الفقهية الاجتهادية لأن يتقنوا استشراف المستقبل بمهارة أكبر من أيِّ مهارة يملكها غيرهم)[5].

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٥٧).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/٢٤٨).
(٣) الفقيه والمتفقه (٢/٣١).
(٤) ما لم يقله الفقيه، ص (٢٠).
(٥) رؤى تخطيطية، محمد أحمد الراشد، ص ١٤٨، بتصرف يسير.

خامسا: ضوابط الفقه الارتيادي:

الفقه الارتيادي فقه يدرس الأمور المتوقعة؛ سواء كانت نوازل مستجدة، أو تغيرات تفرض تغيُّراً في الحكم الشرعي، وذلك استعداداً لها ليتلافى الفقيه والمفتي تأخير البيان عن وقت الحاجة. ومثل هذا الفقه يحتاج إلى ضوابط تمنع أن يكون نوعاً من التكلُّف المذموم، أو البحث عما لا فائدة منه. ومن هذه الضوابط:

١ - أن يقتصر البحث في المسائل التي يمكن أن تقع، أو تشهد الحال بإمكان وقوعها دون ما لا يمكن أن يقع، أو لا يشهد شيء بإمكان وقوعها.

فقد اتفق الفقهاء على كراهة البحث فيما لا يمكن وقوعه؛ لأنه لا نفع فيه، مع ما يتضمنه من تكلُّف القول في دين الله بلا حاجة، ومثل هذه المسائل لا يصلح بها الدين، ولا تنفع دنيا.

ولما ذكر ابن القيم - رحمه الله - قول ابن عباس - رضي الله عنهما -: «ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قُبض ﷺ، كلهن في القرآن؛ يسألونك عن المحيض، يسألونك عن الشهر الحرام، يسألونك عن اليتامى، ما كانوا يسألونه إلا بما ينفعهم»[1]؛ قال بعد ذلك: (قلت: ومراد ابن عباس بقوله: «ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة» المسائل التي حكاها الله في القرآن عنهم، وإلا فالمسائل التي سألوه عنها وبيَّن لهم أحكامها بالسنة لا تكاد تحصى، ولكن إنما كانوا يسألونه عما ينفعهم من الواقعات، ولم يكونوا يسألونه عن المقدرات والأغلوطات وعُضَل المسائل)[2].

وأما الشاطبي فقد قرر أنّ الإكثار من الأسئلة مذموم، واستدل على ذلك بنقول كثيرة من القرآن والسنة وكلام السلف، ثم أعقب ذلك بقوله: (ويتبيَّن من هذا أنّ لكراهية السؤال مواضع، منها: السؤال عما لا ينفع في الدين؛ كسؤال عبد الله بن حذافة: مَنْ أبي؟ وما رُوي في التفسير أنّه - عليه الصلاة والسلام - سُئل: ما بال الهلال يبدو رقيقاً، ثم لا يزال ينمو حتى يصير بدراً، ثم ينقص إلى أن يصير كما كان؟ فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]. فإنما أُجيبوا بما فيه من منافع)[3].

بل هذه المسائل التي لا يمكن وقوعها لا يُجاب عنها السائل، ولا يبحثها الفقيه، ولا يفتي فيها المفتي، بل يظهر له الإنكار على مثل هذا ويقول له: اشتغل بما يعنيك[4].

٢ - أن تقدَّم العناية ببحث النوازل التي وقعت فعلاً تقديماً للأهم فالمهم. ولا يسوغ في مقتضى العقل والمصلحة أن يتشاغل الإنسان عما هو واقع فيه فعلاً لمراعاة مُقْبل عليه لا يدري يصيبه أو لا؟

وقد بحث القرافي في (الفروق) قاعدة تتعلّق بالترجيحات لينضبط للإنسان ما قدَّمه الله - تعالى - على غيره، وقرَّر أنّه إذا تعارضت الحقوق قدَّم الفوري منها على المتراخي، ولذا يقدَّم ما يُخشى فواته على ما لا يُخشى فواته وإن كان أعلى رتبةً منه[5].

ولا شك أن كل عمل مستعجل وملحٍّ يجب أن يُعطى له الأسبقية خاصة إذا تقرَّر لدينا أن بحثنا للمسائل التي نظن حصولها هو من الاستعداد لها؛ فلا يصح أن نستعدَّ لمسألة بتضييع أخرى أعجل منها.

وقد تقرَّر عند المختصين بالدراسات المستقبلية أن الرؤية المستقبلية مشدودة مشروطة بالحاضر، فالحاضر بداية المستقبل، وأحسن طريقة لتوقُّع المستقبل هو فهم الحاضر[6].

ولتطبيق هذا الضابط يمكن أن يُخصَّص باحثون وفقهاء معنيُّون بالبحث والدراسة لهذا النوع من الفقه، ويبقى سائر الفقهاء والدارسين على اهتمامهم بدرس ما وقع، وبيان حكمه.

٣ - الحذر من التصوّر المغلوط للمسألة:

تقرَّر لدينا أن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوُّره ومعرفته، ولذا يختلف الحكم الشرعي باختلاف صفة المسألة، وتختلف الفتوى باختلاف تصوير الحال (إذ الفقه يتأثر بالواقع مثلما يؤثِّر فيه، ويأخذ منه مثلما يعطيه، ويتكيَّف معه مثلما يكيِّفه ويوجهه، فالفقيه الحق لا بد أن يكون واقعياً، يعرف الواقع ولا يجهله، يلتفت إليه ولا يلتفت عنه، وهذا يقتضي المعرفة الجيِّدة للواقع ومكوناته وبالأشياء وأوصافها، إذ من دون هذا يمكن أن يقع تنزُّل الأحكام على غير ما وُضعت له، ويمكن أن

(١) سنن الدارمي (١/ ٥٠)، الطبراني في المعجم الكبير (١٢٢٨٨)، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد: ١/ ١٥٨): فيه عطاء ابن السائب وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات.

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٧١).

(٣) الموافقات (٤/ ٣١٩).

(٤) انظر: الإحكام للقرافي، ص ٢٦٤، الإنصاف للمرداوي (٢٨/ ٣١٨)، الفروع لابن مفلح (٦/ ٤٢٩).

(٥) الفروق (٢/ ٢٠٣).

(٦) دراسات التعليم المستقبلية، أحمد صيداوي، ص ٦.

يقع تعطيل الحكم مع وجود محلّه ومناطه)[1].

والفقيه والمفتي لا يجوز لهما إصدار الحكم الشرعي على القضية المعروضة قبل استيعاب موضوعها واكتمال صورتها في الذهن، كالطبيب لا يقوم على العلاج حتى يشخّص الحالة والمرض تشخيصاً دقيقاً.

وهذا يستوجب في (الفقه الارتيادي) فهم ما يُراد بحثه ومحاولة تصوُّره جيداً، ثم عدم التسرُّع بإطلاق القول الذي وصل إليه عند حصول الظاهرة مباشرة، بل يتحقق أولاً بأنَّ واقعها هو ما تصوَّره سابقاً، وإلا فقد يختلف وصف يغيِّر الحكم.

وبذلك يتوجب على فقيه هذا النوع من المسائل أن يتصوَّر تصوُّرين:

الأول: تصوّراً أولياً قبل الوقوع يكمِّل جوانبه ما استطاع ليقرِّر الحكم بناءً عليه.

الثاني: تصوراً ثانياً بعد الوقوع يعرف من خلاله اتفاق الواقع مع ما سبق تصوره؛ أو اختلافه، وهل الاختلاف موجب لتغيِّر الحكم أو هو في وصف غير مؤثر؟ وليس له الفتوى إلا بعد تحقُّق هذين التصورين.

قال ابن القيم: (ولا يتمكّن المفتي أو الحاكم من الفتوى إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، والثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر)[2].

وقد وقع لجملة من الفقهاء أخطاء فيما قرَّروه من أحكام شرعية سببها خطأ تصوّر النازلة وضعف فهم حالها.

٤ - الأصل عدم النَّشْر حتى تبرز الظاهرة:

لأن نشر الكلام عما لم يقع لا ينفع، وإنما النفع في الاستعداد له؛ كما أن الواقع قد يختلف عمّا تصوَّره الفقيه فيحتاج إلى تغيير فتواه مما قد يشكل على الناس.

ومع ذلك؛ فإنه يمكن - عند ظنِّ المصلحة - أن تُنْشر مثل هذه الفتاوى أو التقريرات مع إيضاح أنها فتوى أو دراسة مبدئية، وليُحرص على الاحتياط والتحرز وترك مجال لنضج الرأي وتحقُّق الواقع.

ومثل هذا قد يقال أيضاً عند أول بروز للظاهرة؛ إذ لا بد من التحرُّز والاحتياط من تطوّر الظاهرة المغيِّر لبعض الأوصاف المؤثرة في تكييفها الشرعي؛ بترك مجال لمثل هذا.

وقد تناول أهل العلم في آداب وأحكام الفتوى أن السؤال متى كان محتملاً لصور عديدة؛ فله أن يفصِّل الأقسام المحتملة ويذكر حكم كل قسم، أو يقيِّد فيقول: إن كان الأمر كذا وكذا فالجواب كذا وكذا[3].

٥ - مراعاة المستقبل في الحال والعكس:

وهذه المراعاة يمكن تطبيقها في أحوال، أذكر منها:

- التأكيد على سبب الحكم الشرعي المتوقع تغيُّره؛ لارتباطه بنظر مصلحي، أو عُرْف، فلا يطلق لفظ التحريم بدون بيان أن سببه هذا النظر، الذي إن تغيَّر نتج عنه تغيُّر الحكم؛ لأن الحكم متى تغيَّر بتغيُّر السبب الذي بُني عليه سبَّب ذلك إشكالاً.

بينما إذا أكّد الفقيه سبب الحكم أو احتمال تغيُّره واختلافه كان النظر المستقبلي مراعياً لديه فأمن إشكالية الفهم الناتجة عن تغيُّر الحكم.

- بيان الحلول الشرعية للمشكلات القادمة، فيوجه المجتمع أصلاً - قبل حصول المشكلة - إلى خطة معينة أو وسيلة محددة يسلكها إما مطلقاً أو في حالات معيّنة.

فإذا استشرف الفقيه ازدياد الحاجة إلى التسهيلات المالية في وقت معين؛ فيمكنه التأكيد على عدة طرق شرعية للحصول على المال؛ حتى لا يلجأ أحد إلى القرض الربوي.

وإذا استشرف ازدياد التواصل المعرفي والانفتاح اجتهد في تعليم وبيان طريقة التعامل الشرعي مع الاختلاف وتباين الرأي.

إن الفقه (ما يزال يسير خلف المجتمع ليحكم على أفعاله، ويبيِّن حكم الله فيها، بينما نرى أن الوضع الأمثل هو في عدم الاقتصار على ذلك، وإنّما التحوّل للسَّيْر أيضاً أمام المجتمع بحيث يبيِّن له خط سيره، أي: الانتقال مما هو واقع، إلى ما هو متوقَّع بحيث يصبح الاجتهاد التنزيلي هو أيضاً اجتهاد واستشراف مستقبلي، وبذلك يكون الاجتهاد دليل المجتمع لعمل ما هو مشروع، والامتناع عمّا هو غير مشروع. فلا بد أن يتحوّل نظر الفقيه من المؤخرة إلى المقدمة؛ بالعُرْف الاستراتيجي)[4].

وبعد؛ فهذه التأملات العجلى أرجو أن تُظهر أهمية الموضوع لينبري له أصحاب الهمِّ والهمة ممن رُزق بسطة العلم وسعة الأفق، فيقوم بما يُسْعد المهتم ويُفْرح المتطلِّع للخير، والله الموفق.

(١) الاجتهاد، د. أحمد الريسوني، ص ٦٤.

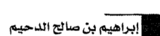
(٢) إعلام الموقعين (١/ ٨٧)، وانظر: الطرق الحكمية، ص ١٢١.

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ٢٥٠).

(٤) تضمين من: من فقه الحالة، عمر عبيد حسنة، ص ٥٥، بتصرف يسير.

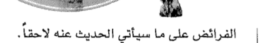


ربّانية التربية



إبراهيم بن صالح الدحيم

eedd@gawab.com



جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله - تعالى -: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩]؛ أنه قال: «هم الفقهاء المعلِّمون»[1]، وفسَّر مجاهد قول ابن عباس - رضي الله عنهما - في الربانيين فقال: (هم الذين يربُّون الناس بصغار العلم قبل كباره)[2]. قال ابن حجر معلِّقاً: (والمراد بصغار العلم: ما وضح من مسائله، وبكباره: ما دقَّ منها. وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده)[3].

فالربانية تعليم وتربية، والربانيون: (منسوبون إلى التربية)[4]. وما كان العلم يُطلَب إلا لتزكية النفوس وتهذيبها، والارتفاع بها عن سفساف الأمور ودنيئها. فوظيفة الرباني التدرُّج في تبليغ العلوم ونشر المعارف، فلا يُعَلِّم الطالب من العلوم ما لا يبلغه عقله، ويكون عليه فتنة، فنضرُّه من حيث أردنا نفعه. قال الماوردي - رحمه الله -: (واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها، فليبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخِر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل فلا يدرك الآخر، ولا يعرف الحقيقة؛ لأن البناء على غير أُسٍّ لا يُبنى، والثمر من غير غرس لا يُجنى)[5].

وعند تربية الأجيال فالرباني يجتهد في تأكيد صغار الفضائل والأعمال في المتربِّي، كما يبدأ المعلم في تعليمه بصغار العلوم وأوائلها. ولا نطلب بذلك ترك الأهم على حساب المهم، وإنما نفترض في المجتمع أنه قد أقرَّ بفرائض الإسلام، وأن فئة المتربين منهم قد أدركوا أهمية الفرائض والقيام بها؛ فنحن نستفيد من النوافل والفضائل في حفظ الفرائض على ما سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

إن من الناس من يقول بلسان مقاله أو بلسان حاله: إن الأمة مشغولة بما هو أهم وألزم عليها من هذه (الفروع!) فيقع التقصير فيها من هذا الجانب، وقد نسي أولئك أن السلف لم يكونوا يَدَعُون السنة - ما استطاعوا إليها سبيلاً - حتى وهم يصارعون الأهوال في المعارك الفاصلة. ذكر الإمام الطبري: أنه لما نزل رستم النَّجَف بعث منها عيناً إلى عسكر المسلمين، فانغمس فيهم بالقادسية كبعض من ندَّ منهم، فرآهم يستاكون عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى مواقفهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم، وسيرتهم، حتى سأله: ما طعامهم؟ فقال: مكثت فيهم ليلةً، لا والله ما رأيت أحداً يأكل شيئاً إلا أن يمصُّوا عِيداناً لهم حين يُمْسُون، وحين ينامون، وقبيل أن يصبحوا. فلمَّا سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذَّن مؤذِّن سعد الغداة، فرآهم يتحشحشون[6]؛ فنادى في أهل فارس أن يركبوا، فقيل له: ولِمَ؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نُودي فيهم فتحشحشوا لكم! قال عَيْنُهُ: ذلك إنما تحشحشهم هذا للصلاة[7]. فتأمَّل كيف لم يتركوا السواك للصلاة ولا عند النوم والاستيقاظ منه! وانظر كيف ألقى الله في قلوب الفُرس الفزع ببركة هذه السنة.

ومن الناس من ساء فهمه للسنن والآداب حتى رأى أنها قشور! وهذا من احتقار المعروف، وفي الحديث عنه ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً»[8]، أي: لا تحقرنَّ أجره ولا أثره؛ فقد يكون الفارق بين النجاة والهلكة حسنة واحدة.

وهناك من الناس من يرى أنها قضية بدهية واضحة لا تحتاج إلى مزيد عناية ومتابعة - وكأنما المقصود هو المعرفة الذهنية فحسب - فيستكثر الجهود المصروفة لها، ويطلب الشغل بغيرها.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١/٦٣.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١/٦٢.
(٣) فتح الباري: ١/٢١٣، ط دار السلام، ١٤٢١هـ.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١/٦٢.
(٥) أدب الدنيا والدين، ص ٨٤.

(٦) يتحشحشون: يتحركون للنهوض.
(٧) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ٢/٤٠٨، ط دار الكتب العلمية.
(٨) مسند أحمد: ٥/٦٣.

إن التوجيه القرآني يلقي في روع المسلم ضرورة العناية بما يزيد في ميزانه يوم القيامة، والحذر مما ينقصه، وعدم الاستهانة ولو بمثقال ذرة من الخير أو الشر، قال - تعالى -: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]. ويؤكد العناية وعدم الاستهانة حيث يخبر بالمضاعفة له أضعافاً كثيرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. وقد جرى حال السلف على تعظيم الأمر وإن كان سُنَّةً والمبادرة إليه دون تأخير؛ لأنه أمر الله أو أمر رسوله ﷺ وكفى، كما قال الشافعي - رحمه الله - عن رفع اليدين في الصلاة قال: (فعلته إعظاماً لجلال الله، واتباعاً لسنة رسول الله، ورجاءً لثواب الله)[1]. بل إن من أهل العلم من لا يرى تقسيم الأوامر إلى سنة وواجب؛ فكل ما جاء عن الله - تعالى - أو عن رسوله ﷺ فهو لازم الفعل قدر الإمكان: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. «نقل إسحاق بن منصور عن إسحاق بن راهويه أنه أنكر تقسيم أجزاء الصلاة إلى سنة وواجب، فقال: كل ما في الصلاة فهو واجب، وأشار إلى أن منه ما تُعاد الصلاة بتركه ومنه ما لا تُعاد. قال ابن رجب: وسبب هذا - والله أعلم - أن التعبير بلفظ السنة قد يفضي إلى التهاون بفعل ذلك، وإلى الزهد فيه وتركه، وهذا خلاف مقصود الشارع من الحث عليه والترغيب فيه بالطرق المؤدية إلى فعله وتحصيله؛ فإطلاق لفظ الواجب أدعى إلى الإتيان به، والرغبة فيه.

وقد ورد إطلاق الواجب في كلام الشارع على ما لا يأثم بتركه، ولا يعاقَب عليه عند الأكثرين، كغُسل الجمعة، وكذا ليلة الضَّيف عند كثيرٍ من العلماء أو أكثرهم، وإنما المراد المبالغة في الحث على فعله وتركه»[2]. ويقول ابن عثيمين - عليه رحمة الله -: (ليس من الأدب مع الله ورسوله إذا أمر الله بشيء أن تقول: هو للوجوب أو للاستحباب، أو نهى الله عن شيء تقول: هو للكراهة أو التحريم. وهكذا الرسول ﷺ؛ هل كان الصحابة يقولون هذا؟ هل يقولون إذا أمر الرسول ﷺ: أنت عازم؟

ولكن عند وقوع المخالفة حينئذ ينظر الإنسان هل الأمر للوجوب أو للاستحباب؟ هل النهي للكراهة أو للتحريم؟ وهذه مسألة مهمة. تمام التعبد أنك إذا سمعت الله يأمرك تقول: سمعنا وأطعنا، ما تقول: هذا أمر وجوب أو استحباب)[3].

(١) فتح الباري، لابن رجب، ٤/٣٠٩.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص٥٢٥-٥٢٦، ط دار ابن الجوزي، تحقيق: طارق عوض الله.

(٣) كيف نفهم التيسير، فهد أبا حسين، ص ١١٥، وعزاه إلى أشرطة شرح الكافي في الفقه الحنبلي للشيخ، شريط رقم ١/٧ في آخره.

كم يغفل بعض المربِّين عن التربية على كثيرٍ من شعب الإيمان؛ كإماطة الأذى عن الطريق، وردِّ السلام، وتشميت العاطس، ودلالة الأعمى، والإفراغ في دلو المستسقي... إلخ، وهو الشيء الذي لم يُغْفِله النبي ﷺ، بل كان يربي عليه أصحابه؛ فعن أبي جري الهجيمي - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! إنَّا قوم من أهل البادية، فعلِّمنا شيئاً ينفعنا الله - تبارك وتعالى - به! قال: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وتسبيل الإزار فإنه من الخيلاء، والخيلاء لا يحبها الله عز وجل، وإن امرؤ سبَّك بما يعلم فيك فلا تسبَّه بما تعلم فيه؛ فإن أجره لك ووباله على من قاله»[4].

إن التربية على صغار الأمور حصن حصين من تضييع كبارها؛ فالمحافظة على السنن القبلية للصلاة سبيل للمحافظة على الصلاة المكتوبة، وإماطة الأذى عن الطريق مانع من الاعتداء على الناس وداعٍ إلى الإحسان إليهم؛ بل هو أول خطوة في ذلك، والصدقة النافلة تربية للنفس وتطهير لها عن البخل والطمع؛ وهي مع ذلك استعداد مبكر لإخراج الزكاة بطيب نفس، ولعل هذا ما أشار إليه ابن المبارك - رحمه الله - بقوله: (من تهاون بالأدب عُوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عُوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عُوقب بحرمان المعرفة)[5].

ثم التربية على صغار الأمور اتصال مستمر للتربية في ضمير المتربِّي تنديه بالإيمان، وتجنِّبه الغفلة واستحواذ الشيطان، وتبعد عنه قسوة القلب لطول الأمد: ﴿وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

ثم التربية على صغار الأمور والدعوة إليها تؤثر في صلاح الناس وتزيد من رصيد الخيرية فيهم؛ حتى وإن لم نشعر بذلك، فحين نلتزم في تربيتنا صغار الآداب والفضائل فإنها تبني في الناس صورة للخير يزداد حبهم لها، وتفعل في نفوسهم فعلها: (فإن الكلمة الصغيرة، والفعلة الهامشية لهما تأثير ترسُّبي ثقافي وأخلاقي ما يفتأ يكثر، حتى يزداد الراسب الإسلامي تدريجياً، فيكون وعي الناس آنذاك لدقائق الفكرة أوفر)[6].

(٤) مسند أحمد: ٥/٦٣.

(٥) مدارج السالكين: ٢/٣٩٧.

(٦) المسار، للراشد، ص٢٠٤، ط الثالثة.







حين يُغرق المربي في الشكليات

د. محمد بن عبد الله الدويش
dweesh@dweesh.com

المربي يملك حسّاً مرهفاً، ويحمل رصيداً عالياً من الحرص على من يتربى على يده؛ فيطمع أن يراه في أفضل صورة.

وهذا يقود كثيراً من المربين إلى القلق تجاه المظاهر غير اللائقة لدى المتربين.

يقلَق كثير من الآباء والأمهات حين يرون صوراً من الإهمال لدى أولادهم، ويقلق كثير منهم حين يرون متابعتهم الأحداث الرياضية وشغفهم بها، ويقلق آخرون حين يرون الإغراق في المظهر، أو التخلي عن بعض مظاهر اللباس المتعارف عليها... إلى آخر هذه النماذج.

بل إن بعض المربين قد يعمد إلى الاستغناء عن بعض العناصر والسعي لإبعادهم عن الأوساط التربوية بحجة وجود هذه المشكلات لديهم.

وهكذا نجد الأمثلة التي يوردها بعض المتحدثين عن مظاهر الخلل التربوي تُكرر فيها هذه النماذج؛ فنحن نرى في الساحة الدعوية نقد المظاهر والشكليات أكثر مما نرى نقد القضايا الجوهرية في بناء الشخصية.

إن بناء النموذج الرائع والمتميز مطلب مهم، والارتقاء بالاهتمامات الشخصية لا خلاف فيه، وإشاعة سمت الصالحين لا اعتراض عليه، ولكن ينبغي مراعاة ما يلي:

■ لا بد من أن تأخذ الأمور حجمها وقدرها الطبيعيين، ومهما بلغت أهمية أمرٍ ما فإن ذلك لا يبرر التطرف في التعامل معه وإعطاءه أكبر من حجمه.

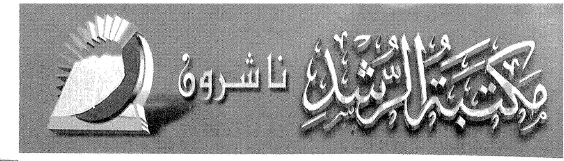
■ الإغراق في الاهتمام بالشكليات والجزئيات يولّد خللاً في تفكير الأشخاص؛ فهو يقود إلى تسطيح الشخصية، وضعف العمق في التعامل مع الأشياء، والانبهار بالمظاهر أكثر من الحقائق. كما أن ذلك يقود الأفراد إلى التطرف في الأفكار وفقدان الاعتدال نتيجة اعتيادهم على سماع المواقف المبالَغ فيها، وتكرار لغة التهويل والتضخيم.

■ انشغال المربي المبالَغ فيه بهذه الأمور يزيد من مساحتها في اهتمامه، وتكون على حساب جوانب ضرورية ومهمة في بناء الشخصية؛ كالاعتناء ببناء الإيمان في النفس والأعمال القلبية وربط القلوب بالله عز وجل، والاعتناء بتنمية الإرادة والقدرة على إدارة الذات، وتنمية القدرة على التفكير وتوظيفه بصورة فاعلة، ومهارات التواصل مع الآخرين، وقيم الإنجاز، والمبادرة، والمسؤولية.. وغيرها من الجوانب المهمة والمحورية في بناء الشخصية. وكثيراً ما نرى نماذج يُقاس تقدمها التربوي وإنجازها بالمظاهر والشكليات، وهي تعاني من خلل جذري في بناء الشخصية يقودها إلى الفشل في كثير من مواقف الحياة، ويعوقها عن العطاء الإيجابي الفاعل، ويؤثر في أدائها.

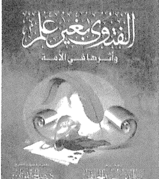
وقد لا يكون الأمر ذا صلة بمظاهر وشكليات، لكن الخلل يكمن في تضخيم الفروع على حساب الأصول، والتعامل مع النوافل على أنها كالفرائض، والشُّبَه على أنها كالمحرمات القطعية والكبائر.

وعلى الرغم من أهمية الاعتناء بالنوافل والبعد عن الشبهات؛ إلا أن المربي ينبغي له أن يتوازن في التعامل معها؛ فكثيراً ما نرى من يحرص على النوافل بينما هو يقصّر في الفرائض، أو يبالغ في البعد عن الشبهات ويقع في المحرمات القطعية. وإذا كان الأمر نتيجة ضعف بشري أو غلبة شهوة؛ فهذا أمر قلّما يخلو منه بشر، لكن حين يكون خللاً في التربية والتعامل مع الأولويات؛ فهذا مما ينبغي تصحيح مساره.

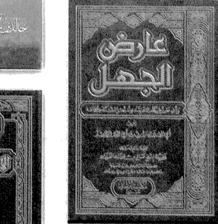
وحتى يحقق المربي التوازن في ذلك؛ ينبغي له أن يضع خريطة متكاملة بجوانب بناء الشخصية، ثم يعطي كل جانب القدر الملائم له من دون غلو أو شطط.

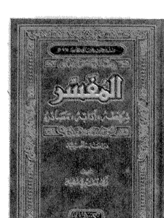




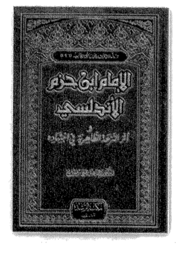




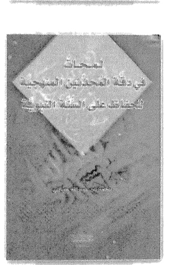


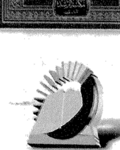


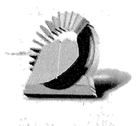


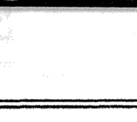








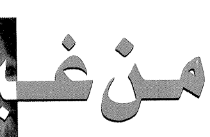




المركز الرئيسي الرياض طريق الحجاز (٤٥٩٣٤٥١) تحويلات الكتب من (١٠١--١٠٤) فرع طريق الملك فهد (٢٠٥١٥٠٠)
فرع الدائري الشرقي ٤٩٧١١٩٩. مكة المكرمة (٥٥٨٥٤٠١) جدة (٦٧٧٦٣٣١) المدينة المنورة (٨٣٤٠٦٠٠) القصيم (٣٢٤٢٢١٤)
أبها (٢٣١٧٣٠٧) الدمام (٨١٥٠٥٦٦) حائل (٥٦٦٢٢٤٦- ٥٣٢٢٢٤٦) الاحساء (٥٨١٣٠٢٨) فاكس (٥٨١٣٠١٥)
موقعنا على الإنترنت WWW.rushd.com البريد الإلكتروني Email: alrushd @ alrusdryh :com



ناصرون للإسلام... من غير أهله





أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

من ســنن الله – تعالى – أنه كثيراً ما يؤيد دينَ الحــق بأناس لا يؤمنون به، وقد حدث كثير من هذا في الأيام القليلة الماضية.

من ذلك: أنني كنت في بريطانيا للاشــتراك في مؤتمر إسلامي بإحدى الجامعات، فشهدتُ الضجة الكبرى التي أثارها كلام كبير أســاقفة كانتربري – وهو لقب يلقَّب به رئيس الكنيسة الإنجيلية في العالم – ورئيس الأساقفة هذا هو – بحكم منصبه – عضو في مجلس اللوردات البريطاني.

ألقى هذا الأســقف (وليامز) محاضرة أكاديمية نشرتها بنصها جريدة الجارديان البريطانية، ودعا في نهايتها إلى أن يتضمن القانون البريطاني بعضَ أحكام الشريعة الإســلامية كي يتحاكم إليها المسلمون في محاكم خاصة بهم، وذكر من بين هذه الأحكام أحكام: الــزواج، والطلاق، والمواريــث والمعاملات، والصلح. لكنه كان قد قدّم لهــذه المقترحات بكلام طويل عن طبيعة القانون في الدولــة العلمانية، وكان مما قاله في ذلك: إن هنالــك تحدّياً متنامياً في المجتمع؛ هو وجود جماعات من المواطنين ليســت بأقل من غيرها التزاماً بالقانــون، لكنها تنتمي بحكم معتقداتها إلى شــيء آخر غير القانون البريطاني. ثم سأل سؤالاً مهماً فقال: ما الذي نفهمه ونتوقعه من القانون في الدولة العلمانية؟ وأجاب بأن هنالك خطراً ينشأ عندما يعتقد المتدين أن انتماءه لا يكون إلا إلى جماعته الدينية (الأمة أو الكنيسة)، وأن كل أنواع الانتماءات الأخرى السياسية والاجتماعية هي نوع من الخيانة لجماعته. لكنه ينشأ أيضاً عندما تحتكر الدولة العلمانية تعريفَ الهويات السياسية والاجتماعية. ولذلك أكد أن القضية ليست قضية خاصة بالمسلمين، بل هي قضية تهم كل أصحاب الديانات في دولة علمانية.

وما إن نشــرت الصحف اليومية خبر ما اقترحه الأسقف حتــى هاج الناس في بريطانيا (بلــد الديمقراطية) وماجوا. وكان من أبــرز من ردوا عليه رئيسُ الــوزراء الذي قال على

لســـان المتحدث باســـمه: «إن القوانين البريطانية ستقوم على أساس القيم البريطانية، وإن قوانين الشريعة ليست مســـوِّغاً للخروج على القانون القومي». ثـــم تابعه زعيم المعارضة في نقده للأسقف. بل إن بعضهم طالب بتنحّيه، واتهمه بعضهم بعدم الإيمان، وهتف بعضهم في وجهه في أثناء أدائه خطبة الأحد في الكاتدرائية. لكن آخرين أيدوه وأثنوا عليه، وأسِـــفوا أن يحدث مثل هذا السلوك، وعدّوه عاراً على بريطانيا.

لكن من أغرب ما حدث هو أن بعض النواب المسلمين فـــي البرلـــان البريطانـــي؛ كانوا ممن احتـــج على كلام الأسقف بحجة أنهم مواطنون بريطانيون لا يجدون حرجاً من الالتزام بقانون البلاد!

اقترحت في أثنـــاء وجودي فـــي بريطانيا في بعض اللقاءات؛ على إخواننا المســـلمين أن ينتهزوا هذه الفرصة ليبينوا للناس أن هذا الذي اقترحه الأســـقف في معاملة المســـلمين هو جزء من القانون الإسلامي في معاملة أهل الكتاب.

أمـــا النـــاصـــر الـثـانـي للإســـلام فهـــو جرام فولر Graham Fuller، الذي قالت عنه مجلة السياسة الخارجية Foreign Policy التي نشـــرت مقاله: إنه كان في الســـابق نائب رئيس المجلس الأمني القومي في وكالة السي آي إيه CIA، وهو الآن أستاذ تاريخ غير متفرغ في جامعة كندية. وهو مؤلف عدة كتب عن الشـــرق الأوســـط، منها كتاب: مستقبل الإسلام السياسي.

أحصى الكاتب في هذا المقال أهم التهم التي يوجهها الغرب ضد الإسلام: أن الإسلام هو سبب العلاقة العدائية بين الغرب والشرق الأوسط، وأنه هو سبب عدم الوصول إلى حل المشكلة الفلسطينية، وأنه سبب الدكتاتوريات في بلاد الشرق الأوسط، وأنه سبب الإرهاب. وقال: إنها كلها تُهَم باطلة. وليبرهن علـــى بطلانها؛ طَلَبَ من القارئ في بداية المقال أن يتصور عالماً لا إسلام فيه، فسيكون هنالك شـــرق أوســـط مكون من: عرب، وفرس، وترك، وأكراد، ويهـــود، وبربر، وباشـــتون. ولو لم يكن هؤلاء مســـلمين؛ لكانت المسيحية هي الدين الســـائد بينهم كما كانت قبل الإســـلام؛ هل كان هذا سيجعل الشرق الأوسط في توافق مع أوروبا؟

كلا؛ فإن أوروبا لها مطامع جيو - سياسية واقتصادية في الشـــرق الأوسط ما كانت لتتنازل عنها لأن سكانه من المسيحيين؛ فحروبها الصليبية لم تكن في حقيقتها حروباً دينية، وإنما كانت لمآرب دنيوية استُغِل الدين لتسويغها. وما كان مسيحيو الشـــرق الأوسط سيرحبون بمسيحيين يأتون مـــن الغرب ليحتلـــوا بلادهم، ولينهبـــوا خيراتها، وليقســـموها تقســـيماً يتوافق مع مصالحهم. وإذاً؛ فإن موقفهم من الغرب كان ســـيكون كموقف المسلمين اليوم، كما فعلت شـــعوب غير إسلامية في أمريكا اللاتينية وفي الهند.

ماذا عن الدكتاتورية؟ وهل كان الشرق الأوسط سيكون أكثر ديمقراطية لو لم يكن مسلماً؟!

لكن أوروبا غير المسلمة نشأت فيها دكتاتوريات بشعة؛ فإســـبانيا والبرتغال لم تنتهِ دكتاتوريتاهما إلا في أواسط الســـبعينيات، واليونـــان خرجت مـــن دكتاتورية مرتبطة بالكنيســـة قبل عهود قليلة. وروسيا المسيحية ما تزال في قبضة الدكتاتورية، وأمريكا اللاتينية عانت من دكتاتوريات كانت تحكـــم بمباركـــة الولايات المتحدة وبمشـــاركة من الكنيســـة الكاثولوكية. والدول الأفريقية المسيحية ليست بأحســـن حالاً؛ فلماذا إذاً الشرق الأوسط غير الإسلامي سيكون أحسن؟ وفلسطين هل كانت ستختفي مشكلتها لو لم يكن سكانها مسلمين؟

كلا؛ ذلك لأن المعاملة المسيحية الأوروبية السيئة لليهود التي انتهت بالمحرقة؛ كانت ستحدث، وكانت ستدفع اليهود لأن يبحثوا عن أرض لهم خارج أوروبا، وكانوا سيعتدون على الفلسطينيين ويستولون على أرضهم. والعرب النصارى ما كانوا ســـيرضون بهذا الاستيلاء على بلادهم، والعراقيون حتى لو لم يكونوا مســـلمين ما كانوا سيرضون بأن تُحتَل

بلدهم. والغرب لم يخلع صَدّاماً لأنه مسلم؛ فقد كان في الحقيقة رجلا قومياً علمانياً.

ولكن مما لا شك فيه أنه لولا الإسلام الذي وحّد شعوب هذه المنطقة وأعطاها قيماً تعتز بها؛ لكان من الأسهل على الاستعمار الغربي في عالم لا إسلام فيه؛ أن يقسّم ويحتل ويسيطر على بلاد الشرق الأوسط وآسيا. وهذا هو السبب الذي يجعل الولايات المتحدة اليوم تهيج غضباً على الإسلام.

ما بال الإرهاب؟

يقول الكاتب: إن ذاكرة الغرب بالنسبة للإرهاب قصيرة. ثم يذكّرهم بأنواع من الإرهاب لم يكن للمسلمين به علاقة. اليهود لجؤوا للإرهاب في حرب العصابات ضد البريطانيين في فلسطين، والتاميل الهندوس هم الذين لجؤوا لاستعمال القنابل الانتحارية في قتلهم رئيس الوزراء الهندي راجيف غاندي، والإرهابيون اليونان قاموا بعمليات اغتيالات للموظفين الأمريكان في أثينا، والإرهابيون السيخ المنظمون قتلوا أنديرا غاندي وأشاعوا الذعر في الهند، وجعلوا لهم قاعدة في كندا، وأسقطوا طائرة هندية على الأطلسي. والإرهابيون المقدونيون كان الناس يخشونهم في بلاد البلقان عامة قبل الحرب العالمية الأولى. والفوضويون من الأمريكان والأوروبيين قاموا بعمليات اغتيالات كثيرة وكبيرة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ أشاعت الرعب الجماعي. والجيش الإيرلندي الجمهوري ظل سنين يستعمل وسائل إرهابية مؤثرة ضد الجنود البريطانيين؛ كما فعل الإرهابيون وجنود العصابات ضد الأمريكان في فيتنام، وكما فعل الشيوعيون الماليزيون ضد البريطانيين في الخمسينيات، وكما فعل الإرهابيون الماوماو ضد البريطانيين في كينيا، والقائمة تستمر..

إنه ليس من شرط مرتكب الإرهاب أن يكون مسلماً.

وحتى النشاط الحديث للإرهاب لا يبدو مختلفاً كثيراً؛ فالإحصاءات الأوروبية تقول إنه ارتكب في الاتحاد الأوروبي ٤٩٨ حادثة إرهاب في عام ٢٠٠٦م، ارتكبت منها الجماعات الانفصالية ٤٢٤، وارتكب اليساريون المتطرفون ٥٥، وارتكبت جماعات متطرفة أخرى ١٨؛ ولم يرتكب المسلمون منها إلا واحدة.

وإذا كان الدافع للمسلمين هو كراهة الغرب وحداثته؛ فلماذا انتظروا حتى ٩/١١ ليشنوا هجومهم؟ ألم يكن كثير من المسلمين يدعون في بداية القرن العشرين إلى التحديث مع البقاء على القيم الإسلامية؟ حتى أسامة بن لادن لم يقل إن دوافعه لشن الهجوم هي كراهيته للتحديث؛ وإنما ذكر أسباباً أخرى.

إن كراهية المسلمين للغرب سببُها السياسات الغربية ضدهم، التي استمرت مدة من الزمان. وعليه؛ فإنه إذا لم تحدث ٩/١١ فقد كان سيحدث شيء مثلها.

ويذكِّرهم أن كل الدواهي العظيمة التي حدثت في القرن العشرين، إنما أحدثتها أنظمة علمانية: ليوبولد الثاني في الكونغو، وهتلر، وموسوليني، ولينين، وإستالن، وماون، وألبوت بوت. لقد كان الأوروبيون هم من أصابوا بقية العالم مرتين بدواهي «حروبهم العالمية»: نزاعين عالميين مدمرين ليس لهما ما يشبه المثيل في التاريخ الإسلامي.

وجددتُ في برنامج تلفازي فرصة قصيرة لمناقشة الكاتب في مقاله؛ فذكرت له أنه أحسن في رده على التهم الموجهة من الغرب ضد الإسلام، لكن ما أسماه بالخيال التاريخي فيه نوع من التناقض؛ وذلك لأنه بينما افترض عالماً لا إسلام فيه، افترض أوروبا كما هي الآن. لكن الواقع أن الإسلام كان من بين العوامل التي صنعت أوروبا الحديثة، ولا سيما بما أخذته منه من منهج علمي واكتشافات أخرى ما يزال كثير من العلماء في الغرب يعترفون بها.

أقول: إننا نشكر لكل من يعترف بالحق اعترافه به ودفاعه عنه، لكننا في الوقت نفسه لا نغتر فنقول: إنه يؤمن بالإسلام أو يعترف به؛ ففي كلام هذين الرجلين كثير مما لا يوافق عليه المسلم ولا يرضاه.

المملكة الأردنية الهاشمية

The Hashemite Kingdom Of Jordan



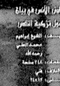
جمعية المحافظة على القرآن الكريم

The Conservation of The Holy Quran Society

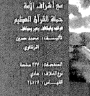
حصاد الخير

للإصدارات والمطبوعات











المنير في أحكام التجويد

مع أشراف الأمة حملة القرآن العظيم

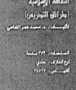
صناعة التميز والإبداع رسالة إلى معلم القرآن

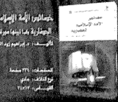
رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس

الوجيز في علوم الكتاب العزيز





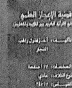



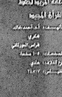


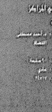
الثقافة الإسلامية

Islamic Culture & Thought

دراسات في علوم القرآن والتفسير





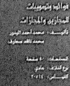


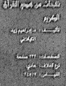
المنهج النبوي في التعليم القرآني

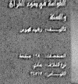
العمل في المراكز القرآنية

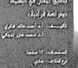
تفسير سورة القصص

قضية الإعجاز العلمي



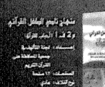


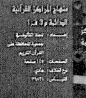


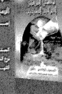
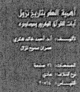


وقفات مع أحاديث الصيام

القوامة في ضوء القرآن والسنة





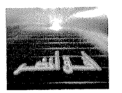





منهاج المراكز القرآنية الصيفية 5 مستويات

منهاج المراكز القرآنية الدائمة 3 مستويات

هاتف الجمعية: 5153557 6 00962 - 5339505 6 00962 فاكس: 5163925 6 00962 ص.ب 925894 عمان 11190 الأردن - حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين 17671









الممكن مُنْتَج ثقافي

د. عبد الكريم بكار
www.islamtoday.net/bakkar

قسَّم المناطقة القدماء المستحيل إلى قسمين: عقلي وعادي. وقالوا: إن المستحيل العقلي ما ليس في إمكان الدماغ تصوُّره، وذلك مثل أن يكون الشخص في مدينتين في آنٍ واحد، أو يكون الشيء موجوداً ومعدوماً في آنٍ واحد وباعتبار واحد، ومثل أن يتَّسع الكأس الصغير لماء الكأس الكبير.. أما المستحيل العادي؛ فهو الذي يستطيع العقل تصوُّره، لكن تُحيل العادة وقوعه، وذلك مثل أن نتصور شخصاً يسبح في الهواء أو يسير فوق الماء.

وبقطع النظر عن دقة هذا التقسيم، وبقطع النظر عن إشكالات الشرح والأمثلة؛ فإن الواقع يشهد بتقلُّص مساحات ما كان يسمى مستحيلاً - بقسميْه - لمصلحة الممكن والحادث والملموس، حيث نشاهد شخصاً الآن يجلس في غرفة وأمامه عدد من الشاشات التي تنقل له ما يجري في أماكن كثيرة قريبة وبعيدة، كما صار في إمكان المرء أن يتسوق من عشرات الملايين من المتاجر حول العالم بعد أن يشاهد كثيراً مما فيها، إنه في الحقيقة ليس موجوداً في أماكن عدة في وقت واحد، لكنه بسبب التقنية الحديثة صارت إمكانيته في الاستفادة من الأمكنة المتعددة على الرغم من أنه موجود في مكان واحد؛ أكبر مما لو كان يعيش في تلك الأماكن مجتمعة.

التقدُّم العلمي الحثيث يغيِّر في نظرة الناس إلى المستحيل العادي، فيتحول الكثير منه إلى دائرة الممكن والمألوف. أما المستحيل عقلاً فتضيق دائرته بطرق مختلفة من خلال الالتفاف المتنوع والمعقَّد حول ممانعات الأشياء وتأبِّياتها.

في عام (١٨٩٥م) علَّق اللورد (كليفن) رئيس الجمعية الملكية البريطانية على تجارب ومحاولات الطيران بقوله: «آلات أثقل وزناً من الهواء وتطير؟ هذا مستحيل!». وفي العام نفسه صدر عن اتحاد رجال الصناعة الأمريكية التالي: للتليفون عيوب وأوجه قصور مهمة، مما يجعل النظرة إليه بوصفه أداة اتصال غير جدِّية، إنه أداة يحكم تكوينها نفسه بعدم جدِّيتها! وفي عام ١٨٩٩م صرَّح (تشارلز دويل) مفوَّض المكتب الأمريكي لبراءات الاختراع أنه قد آن الأوان لإغلاق المكتب؛ لأن كل ما يمكن اختراعه قد تم اختراعه فعلاً!

لو كان هؤلاء أحياء اليوم فسوف يتأكدون أن نظرتهم كانت نابعة من محدودية الرؤية ومن إيحاءات البيئة والعادة. ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلينا جميعاً؟

إنه يعني الآتي:

إن الممكن الذي يعنينا في حياتنا العملية ليس منتَجاً عقلياً، وإنما هو منتَج ثقافي، بمعنى: أن الناس ينظرون إليه، ويدركونه عبر الثقافة التي تشبَّعوا بها، وعبر معارفهم وقدراتهم ودرجة ثقتهم بأنفسهم وليس عبر التركيب الفطري لعقولهم، ويمكن أن نستشفَّ هذا من الأجوبة التي تلقَّاها نبي الله سليمان - عليه السلام - على طلبه بإحضار عرش بلقيس: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠].

إن من المؤسف أن البنية العقلية العميقة للإنسان تميل إلى (الاستحالة)، فنحن نرى المستحيل والصعب بصورة أسهل

بكثير من رؤيتنا للقريب والسـهل والممكن، ولا يغيِّر في رؤيتنا هذه سوى النماذج العملية.

وسأضرب مثالاً شعبياً على هذا: عشرة أصدقاء في جلسة سمر قال أحدهم: وضعت مبلغاً من المال مضاربة عند أحد التجار، وقد أعطاني ربحاً عن سنة يعادل رأس المال ثلاث مرات. هنا سيقول معظم الحضور: هذا غير معقول، وإذا صح كلامك فإن تجارة الرجل لن تكون نظيفة، ولا بد أن هناك رشاوى تُدفع لتحقيق ربح غير مشروع أو هناك تجارة بشيء من الممنوعات... هنا يقول شخص آخر بين الجلساء: ما يقوله فلان صحيح، وأنا آخذ منه مثل ذلك الربح منذ خمس سنوات. ثم قال ثالث: هذا صحيح، وأنا أعمل محاسباً عند ذلك الرجل، وهو رجل مستقيم جداً، وأنا أعرف كيف يحقق ذلك الربح.

لا أشك في أن معظم الحضور سوف ينظرون إلى تلك النسبة العالية من الربح نظرة جديدة، وربما عتبوا على أصحابهم؛ لأنهم لم يخبروهم ذلك من قبل.

إن النموذج هو الذي جعل غير المعقول معقولاً، وليس أي شيء آخر.

إن البيئات المحطَّمة والجاهلة تقتل الطموح لدى الذين يعيشون فيها وتدفع بهم باستمرار نحو اليأس والقنوط، وتجعلهم يرضون بأقل القليل، وهذا يشكِّل معضلة حقيقية لكثير من الناس. والمشكل أننا حين نحلم بالمستقبل نجد أنفسنا أسرى للواقع، وحين يكون الواقع صعباً فإن طموحاتنا تكون صغيرة ومتواضعة. نحن لا نرى إلا جزءاً صغيراً من الواقع، ولا ندرك سوى قدر ضئيل من إمكاناته واشتباكاته، وليس من الصواب أن نقيِّد عُمْراً مديداً وعقلاً حرّاً برُؤى منقوصة ومحدودة، وإن كل العظماء وعلى مدار التاريخ كانوا ينظرون إلى إمكاناتهم الناجزة على أنها البذرة التي ستُولَد منها شجرة باسقة تحمل عشرات الألوف من البذور، كما أنهم لا يعرفون المشي ولا الجري، وإنما يعرفون القفز الفسيح، وإن ثقتهم غير المحدودة بكرم الله - تعالى - وسعة فضله تحفزهم دائماً على أن يطلبوا الكثير الكثير.

يذكرون أن كافوراً الأخشيدي دخل مع صاحب له على محل يبيع الشواء في مصر، فقال صاحبه - وكان عبداً -: أتمنَّى أن يشتريني صاحب هذا المحل حتى أشبع اللحم، فقال كافور: أما أنا فأتمنى أن أكون أميراً على مصر. وبعد مدة اشترى صاحب الشواء الرجل، وصار يعمل عنده في مطعمه، وصار كافور أميراً على مصر.

وقد أعجبني قول الجنيد - رحمه الله -: من طلب شيئاً بإخلاص وصدق نال كله أو بعضه.

جوال الدرر السنية

قنوات عدة .. في قناة واحدة

خدمة مقدمة من

مؤسسة الدرر السنية

بإشراف الشيخ

عَلَوي بِن عَبْدالقَادِر السَّقَّاف

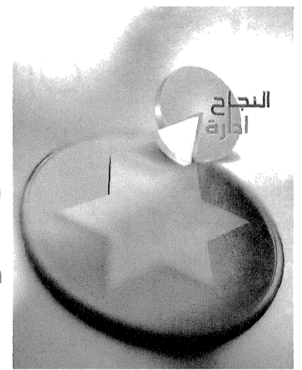
والخدمة موجهة إلى:

- طلبة العلم
- المربين
- الدعاة
- المثقفين

كما أنها تفيد عامة الناس

- تكلفة الاشتراك ٤٠ هللة يومياً
- للاشتراك أرسل ١ إلى ٨٠٢٨٠
- لمعرفة تفاصيل القنوات أرسل م إلى ٨٠٢٨٠
- لاستفساراتكم وخدمة المشتركين يمكنكم الاتصال ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠.
- الخدمة مقدمة حالياً لمشتركي شركة الاتصالات

موقع الدرر السنية :: مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة :: www.dorar.net



تجربة العمل (التطوعي) في الدولة الصهيونية

إبراهيم بن سليمان الحيدري(*)
alhaidari5@hotmail.com

إنه اختبار لقيمة العدل فينا؛ العدل الذي أمرنا الله - تعالى - أن نقيمه حتى مع الأعداء؛ عند الحديث عن تجربة الدولة الصهيونية في العمل التطوعي. فنحن أمام تجربة تقل مثيلاتها في العالم الحديث، ومسيرة يمكن الاستفادة منها مع مرارة طعمها. فدولة لم يمضِ على تكوُّنها سوى خمسين عاماً، وأمة تحسب أن كل صيحة عليها عدوٌّ منقضٌّ؛ تمكَّنت من تشييد قطاع تطوعي فاعل ومؤثر في أغلب جوانب حياة الإنسان اليهودي على أرض فلسطين المحتلة أو خارجها. مكامن قوة العمل التطوعي في الدولة الصهيونية تتضح في عدة نقاط، تشترك في بعضها مع العالم الغربي الذي تزدهر فيه صناعة العمل التطوعي، وتنفرد في بعضها عنه، فمن تلك النقاط:

● **حجم القطاع التطوعي:**

مع أن الدولة الصهيونية كانت وما زالت تعيش حالة حرب وهو الوضع الذي لا يشجع إطلاقاً على النمو والازدهار؛ إلا أن عدد المنظمات التطوعية فيها حالياً أكثر من ٤٠,٠٠٠ منظمة تطوعية وَفْقاً لآخر الإحصاءات. ولقد شهد هذا القطاع قفزة عددية في العقد الأخير؛ فقد كان لا يتجاوز عدد المنظمات التابعة له عام ١٩٩٩م ٢٧,٠٠٠ منظمة، وتتمركز أكثر هذه المنظمات التطوعية في مدينتي القدس وتل أبيب. ويعدّ عدد المنظمات التطوعية كبيراً جداً إذا ما أخذنا في الحسبان أن عدد المغتصبين اليهود في فلسطين المحتلة - حسب الوكالة اليهودية - قرابة خمسة ملايين نسمة.

● **أثر القطاع التطوعي على الاقتصاد الصهيوني:**

تُعدّ المساهمة التي يضيفها القطاع التطوعي إلى اقتصاد الدولة الصهيونية؛ فريدةً من نوعها؛ فهي الأبرز عالمياً، وقد شكلت هذه المساهمة عام ٢٠٠٦م ما نسبته ١٣,٣٪ من الناتج المحلي الإجمالي، حيث دعمت الاقتصاد الصهيوني بأكثر من ١٤ ألف مليون دولار أمريكي سنوياً، وهو ما يزيد عن ميزانية قطاعَيِ الصحة والخدمة الاجتماعية في دولة خليجية لعام ٢٠٠٨م والتي لا تتجاوز ١٢ ألف مليون دولار.

ليس هذا فحسب؛ بل إن عدد ما يوفره القطاع التطوعي من وظائف لأفراد الشعب الصهيوني يبلغ ٢٣٥,٠٠٠ وظيفة بدوام كامل، وهو ما يمثل نسبة ١٠٪ من إجمالي العاملين لديهم. ولقد أسهم القطاع التطوعي بشكل فاعل في تشييد البنية التحتية لما يسمى بالدولة الصهيونية.

● **مصادر تمويل العمل التطوعي:**

وَفْقاً لتقارير رسمية فإن هناك ثلاثة مصادر رئيسة تمدُّ المنظمات التطوعية في الدولة الصهيونية بالدعم المالي، وهي:

أولاً: عوائد عمليات بيع السلع والخدمات: فكثير من المنظمات التطوعية الصهيونية لها ذراع تجاري، ويمثل هذا المصدر نسبة ٣٦٪ من حجم الدعم المالي المقدَّم للمنظمات التطوعية.

ثانياً: التبرعات: التي يسهم بها الأفراد والمنظمات الأخرى، وتبلغ نسبتها في حجم الموارد المالية للمنظمات

(*) ماجستير في الإدارة، باحث في إدارة العمل الخيري.

التطوعية ١٣٪، وتُعَدُّ هذه النسبة الثانية على مستوى العالم بعد أمريكا، وهي تسبق بذلك بريطانيا، إلا أن الجدير ذكره أن الجزء الأكبر من هذه التبرعات يأتي من خارج الدولة.

ثالثاً: الدعم الحكومي: وهو أهم المصادر وأكثرها تأثيراً، إذ تبلغ نسبته في حجم التمويل ٥١٪، ومن أبرز صوره: الدعم المباشر، وشراء الحكومة للخدمات التي تقدِّمها المنظمات التطوعية. وهو ما يعكس صورة من صور دعم ومساندة الحكومات للعمل التطوعي، خلافاً لما تلاقيه المنظمات التطوعية في الوطن العربي من تهميش وتشكيك ومصادرة.

• التبرُّع والتطوُّع لدى الشعب الصهيوني:

إضافة إلى عدد الموظفين الدائمين في المنظمات التطوعية الصهيونية والذي يبلغ ٢٣٥,٠٠٠ موظف؛ فإن أعداداً متزايدة من الصهاينة ينخرطون في أعمال تطوعية، ففي عام ٢٠٠٦م بلغت نسبة المساهمين في أعمال تطوعية في المجتمع الصهيوني ٤٥٪. ويفسر أحد الباحثين ذلك الإقبال الكبير على العمل التطوعي بإيمان اليهود بالمسؤولية المشتركة تجاه بعضهم.

ومع أن هناك ارتباطاً منطقياً بين مستوى الدخل ومستوى العطاء في أي مجتمع؛ إلا أن الوضع في المجتمع الصهيوني لا يعكس ذلك بوضوح؛ فالأغنياء والفقراء - على حدٍّ سواء - يسهمون في التبرعات بشكل فاعل، فقد أوضحت إحدى الدراسات عام ٢٠٠٦م أن نسبة التبرع بين الأغنياء تصل إلى ٩٠٪ في حين أنها لم تقلَّ عن ٧٠٪ بين فقراء الشعب الصهيوني. ومن بين الأعراق المتنوعة عندهم فإن اليهود من أصول أوروبية وأمريكية هم أكثر الأعراق سخاء في التبرعات.

• الوضع القانوني للمنظمات التطوعية الصهيونية:

تأخذ منظماتهم التطوعية ثلاث صور قانونية عند التسجيل: الجمعيات، والأمانات، وشركات ذات غرض عام (غير ربحي). ولقد استفادت الدولة الصهيونية من تنظيم العمل التطوعي في بريطانيا وأمريكا. ووَفْقاً لتصنيف جامعة (جون هوبكنز) العالمي الذي يصنِّف المنظمات غير الربحية إلى ١٢ صنفاً؛ فإن المنظمات الدينية تمثل ما لا يقل عن ربع المنظمات التطوعية لديهم، بينما تتوزع البقية في الأصناف الأخرى؛ كالصحة والرفاهية، والتعليم والبحث، والثقافة، والدفاع عن الحقوق، والتطوير والإسكان، والاتحادات المهنية، وغير ذلك. ومع أهمية الدِّين في نشوء العمل التطوعي في أي دولة ومجتمع إلا أنه لم يكن المحرك الوحيد في التجربة الصهيونية، وهذا ما يفسر وجود أكثر من ٣٠,٠٠٠ منظمة تطوعية غير دينية في (الأرض المحتلة) مع أنها بالتأكيد سوف تدعم بشكل غير مباشر المشروع الديني والعقدي الذي تقوم على أساسه دولتهم. كما ينتشر بوضوح بين اليهود المقيمين في الخارج ما يسمى بالصناديق التطوعية التي تدير تبرعات أفراد وعائلات يهودية غنية.

وعند الحديث عن العمل التطوعي الصهيوني فإنه لا ينبغي إغفال الحديث عن امتداده خارج نطاق الدولة الصهيونية، فكما ذُكر سابقاً فإن أغلب التبرعات التي تحصل عليها المنظمات التطوعية الصهيونية تأتي من الخارج؛ ففي بريطانيا - على سبيل المثال - ما لا يقل عن ٢٣٠٠ منظمة تطوعية يهودية مسجلة جمعت في عام ٢٠٠٧م ما لا يقل عن ألف وأربعمائة مليون دولار، بينما لا يتجاوز ما جمعته ١٣٧٣ منظمة تطوعية إسلامية مسجلة في بريطانيا ٤٠٠ مليون دولار. وإن أبرز الدول التي تجعل جزءاً كبيراً من خيراتها للعمل التطوعي الصهيوني هي أمريكا التي يوجد فيها ما لا يقل عن ٥,٥٠٠,٠٠٠ يهودي أمريكي وهو الرقم الذي يوازي عدد سكان اليهود في الأرض المحتلة نفسها.

• المنظمات التطوعية اليهودية في أمريكا:

للمنظمات التطوعية اليهودية في أمريكا أثر كبير بين الجالية اليهودية التي لا تزيد نسبتها عن ٢٪ من حجم سكان أمريكا، ولها أثرها الكبير أيضاً في المجتمع الأمريكي وصنَّاع القرار أيضاً، ويكمن تأثيرها في إتقانها صنعة جمع التبرعات بطريقة احترافية بين الأفراد العاديين وبين الأغنياء أصحاب الثروات الطائلة، وفي قدرتها على توجيه هذه التبرعات بما يخدم دولتهم بالدرجة الأولى ومصالح اليهود داخل أمريكا وخارجها بالدرجة الثانية.

ويبلغ عدد المنظمات التطوعية اليهودية في أمريكا الآلاف، وهي في نموٍّ ملحوظ ومطرد؛ سواء كان في العدد أو في حجم الممتلكات والأصول. ومن بين أكبر ١٠٠ منظمة تطوعية أمريكية هناك ثماني منظمات تطوعية يهودية. ومن أبرز هذه المنظمات في أمريكا: منظمة (Annenberg Foundation) التي تبلغ أصول أموالها أكثر من ٢,٥ بليون دولار (أي: ألفين وخمسمائة مليون دولار)، ومنظمة (Weinberg Foundation) التي تبلغ أصول أموالها قرابة ألفي مليون دولار.

ولإلقاء نظرة سريعة على حجم وأوجه صرف التبرعات اليهوديـــة في أمريـــكا فيكفي أن نتأمل فـــي عوائد الحملة الســـنوية التي تقيـمها شـــبكة من المنـظمات اليهـودية في كل ولايات أمريـــكا والـتي تبلغ قرابة ألـــف مليون دولار. وفي دراسة شـــملت أكبر ٥٦ صندوقاً تطوعياً يملكه أفراد أو عوائـــل يهودية في أمريكا وتبلـــغ أصول أموالها مجتمعة ١٧ ألف مليون دولار؛ اتضح أنها تبرعت بما لا يقل عن ألف ومئتـــي مليون دولار خلال عـــام ٢٠٠٥م، وكان ربعها تقريباً موجهاً إلى منظمات يهودية، والتي ســـتصل - في الغالب - إلى الدولة الصهيونية بطريق من الطرق.

وهنـــاك ثلاث قنوات رئيســـة لإيصال تبرعـــات اليهود الأمريكيين إلى الدولة الصهيونية:

أمـــا القناة الأولـــى: فالكثير من الصناديـــق والمنظمات اليهوية تدعم الحكومة الصهيونية بشكل مباشر، وأما القناة الثانيـــة: فتتمثل فيمـــا تبعثه المنظمـــات التطوعية اليهودية الأمريكيـــة إلى المنظـمات التطـوعيـــة في الأرض المحـتلة، وأما القناة الثالثة: فإن لكثير من المنظمات اليهودية الأمريكية مكاتب رسمية تمثلها في الدولة الصهيونية وتنفذ من خلالها مشاريعها وبرامجها.

وبعـــد؛ فإن هذه الرحلـــة القصيرة في مســـيرة العمل التطوعي لدولة مثل الدولـــة الصهيونية لا تخلو من الأوجه التي يمكن الاســـتفادة منها من قِبَل القائمين على المنظمات التطوعية الإسلامية، ومنها: أنه ينبغي على الدعاة والمصلحين الانطلاق بالعمل التطوعي نحو آفاق جديدة ومجالات متنوعة تمسُّ حاجة المجتمعات وتتجاوز الصبغة التقليدية التي تطغى على أغلب أعمال المنظمات التطوعية في الدول الإسلامية، وأن تتحول ممارسات العمل التطوعي في البلدان الإسلامية إلى صناعـــة احترافية بعيداً عن إعطائـــه فضول الأوقات والجهود. ومنهـــا أيضاً: أن البعد الاســـتراتيجي في العمل التطوعي مطلب ملحٌّ وحاجة أكيدة سيجني المتطوعون ثمرته إذا ما تمَّ تطبيقه بشـــكل صحيح. كمـــا أن قدرة المنظمات التطوعيـــة اليهودية على امتصاص التبرعات من الشـــعوب الأخرى وتحويلها إلى دولتهم تؤكد أهمية أن لا ينساق محبُّو الخير من المسلمين وراء (المحلية) في العمل التطوعي، بل إن التوازن بين (المحلية والعالمية) في العمل التطوعي الإسلامي مطلوب؛ فقدرات ومقدرات الشعوب الإسلامية الغنية قادرة على المساهمة الفاعلة في سدِّ الثغرات وتلبية الحاجات في كلا المجالين.

وأبلغ ما يستفاد من هذه التجربة، والذي يؤكده كثير من التجارب الناجحة في دول الشمال، أن الحكومات بما تسنُّه من أنظمة مســـاندة ومطورة للعمل التطوعي ومنظماته هي الركيزة الأولى لنجاح القطـــاع التطوعي وقيامه بدور فاعل في مســـيرة التنمية والنهوض بعد إرادة الله تعالى. فنسأل اللـــه أن يلهم صنَّاع القرار في بلداننا الإســـلامية والعربية الرغبة الصادقة لفتح الباب الأوســـع لعمل تطوعي مستقل يتوافق مع قدرات أمة الزكاة والصدقة.

• المراجع:

Faith Groups: Jewish Charities (2007) In: www. charity-commission. gov. uk. Charity Commission in the UK.

The History of Jewish Giving in America (2007) by: Evan Mendelson. In: www. jewishvirtuallibrary. org/ jsource/ Judaism/ philanthropy. html.

Jewish Philanthropy in American Society (2006) by: Dr. Gary Tobin. Institute of Jewish and Community Research USA: San Francisco.

Mega-Gifts In Jewish Philanthropy (2007) by: Gary Tobin and Aryeh Weinberg. Jewish and Community Research. USA: San Francisco.

The New Jew: Blogging Jewish Philanthropy (2007) in: www. thenewjew. wordpress. com.

A Study of Jewish Foundations (2007) by: Aryeh Weinberg and Gary Tobin. Jewish and Community Research. USA: San Francisco.

The Israeli Third Sector (2007) The Israeli Center for Third Sector Research. Bin Grunion University of The Negev.

Israel Third Sector (2004) by: Nissan Limor.

Jewish Charity Guide (2006) in: www.jewishcharityguide. co. uk.

Jewish Charities of America (2007) in: www . jewishcoa. org.



الشمس تشرق من جديد

على الرغم من مرور ستين سنة على أهلنا في البلاد المقدسة - التي باركها الله - تحت الاحتلال اليهودي الذي يسومهم سوء العذاب، فيقتلون الرجال والنساء والأطفال، في وقت تخلّى عنهم الصديق والقريب، قبل الغريب والبعيد، وأصبح حال كثير من الدول العربية في محاولة الفرار من الارتباط بالأرض المقدسة؛ كما قال القائل: (انجُ سعد؛ فقد هلك سعيد!). ومع ذلك؛ فإن الفجر ينبلج، والشمس تشرق من جديد، والنور يعم الأرجاء، مهما حاول الأعداء وأحلافهم رده أو حجبه، وفي تاريخ المسلمين من ذلك عبر وعظات.

لقد استطاعت المقاومة الإسلامية المرتبطة بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ أن تحرر القضية الفلسطينية من مختطفيها الذين رهنوها وفق تصورات قومية أو علمانية، وحلول انهزامية، ومفاوضات عبثية، لتشهد هذه المقاومة النبيلة بما تقدمه من أرواح شهدائها والصمود أمام الحصار على التخاذل الشديد والانبطاح الكامل الذي ترتديه وتتزر به كثير من الدول والأنظمة، في مواجهة من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير، وعبد الطاغوت ولعنته أنبياؤهم، كما لُعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم.

وفي هذا الملف بمناسبة مرور ستين عاماً على النكبة المؤلمة؛ نحاول أن نلقي الضوء على معاناة أهلنا هناك، وأن نستشرف ما يمكن حدوثه في تالي الأيام:

ففي إدارة الصراع بين المسلمين واليهود؛ يلقي د. سامي الدلال الضوء على كيفية إدارة الصراع بين الطرفين وتفاوت الإرادات الفاعلة بينهما مع بيان أوجه الاختلاف، ثم يعرِّج على الدلالات والنتائج والتوصيات التي يمكن استخلاصها مما تقدم عرضه.

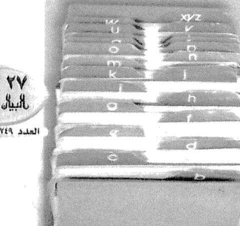
وعن وضع المخيمات الفلسطينية في الشتات؛ يحدثنا فرج شلهوب عن المعاناة المستمرة والهوية التي تتجاذبها الأهواء، ويقدم مقترحاته في التعامل مع هذه القضية ذات الأبعاد المتعددة.

ويحدثنا مكتب الجيل للصحافة في غزة في تتبع فريد عن المشروعات المتعددة للالتفاف على حق العودة للاجئين ومحاولة توطينهم في بلاد الملجأ، ويبين أن هناك أكثر من ٥٠ مشروعاً في ذلك يشارك في بعضها دول عربية، وقد تبين من العرض الموسع ثبات الموقف اليهودي الرافض للاعتراف بحق العودة؛ في حين تتراخى المطالب الفلسطينية ويُتنازَل عنها بالتدريج شيئاً فشيئاً.

وفي مواقف القمم العربية من قضية فلسطين؛ يحدثنا د: عبد العزيز كامل بسرد إحصائي لها ولنتائجها، ويدعو في نهاية مقاله أن يدع هؤلاء العروبيون القضية ويردُّوا الأمانات إلى أهلها.

وفي حوار مع المجلة؛ يبين الشيخ رائد صلاح الخطورة البالغة على المسجد الأقصى من خلال الحفريات التي لم تتوقف تحته، مما يهدد بسقوطه واستيلاء اليهود على مساجد المسلمين وتحويلها إلى كنائس أو أغراض أخرى، لكنه في المقابل يبشر بأن المشروع الصهيوني يشهد إخفاقاً ذريعاً في أراضي الـ ٤٨.

وهناك رسائل متعددة من لفيف من العلماء موجهة إلى الشعب الفلسطيني وفصائله وفعالياته المتعددة؛ تشد من أزره، وتدعوه إلى الثبات وعدم التخلي عن القضية، والتمسك في التعامل معها بالأحكام الشرعية، إلى غير ذلك مما تطالعه في هذا الملف المهم والمتميز.



ماذا تَبقّى في الجُعْبة العُروبية للقضية الفلسطينية؟



د. عبد العزيز كامل
kamil@albayan.co.uk

عبر ستين عاماً مضت من عمر الجامعة العربية، التي تأسست على خلفية معالجة الأزمات العربية الكبرى؛ وفي مقدمتها قضية فلسطين؛ كان أداء تلك الجامعة مبنياً على رابطة بديلة، وهي رابطة العروبة؛ فبعد أن كانت رابطة الإسلام هي الرابطة الوحيدة الجامعة بين المسلمين: عربهم وعجمهم؛ ابتكر نفر من نصارى العرب ومنافقيهم، أمثال: جورج أنطونيوس وميشيل عفلق وقسطنطين زريق؛ وأمين الريحاني وساطع الحصري، رابطة (القومية العربية)، وطوَّروها لتكون هي الرابطة الجامعة بين الناطقين بالعربية في بلدان العرب، بغضِّ النظر عن مِلَلهم أو نِحَلهم.

وأصل فكرة (الجامعة العربية) بوصفها منظمة جاءت من غير العرب، بل من غير المسلمين، مثلها مثل فكرة (القومية العربية) ذاتها ابتكرها نصارى الغرب. فعقب الحرب العالمية الأولى وما تلاها من سقوط الخلافة العثمانية، وبعد هزيمة تركيا في تلك الحرب؛ بذرت بريطانيا - راعية الفتن في العالم الإسلامي - أُولى بذور تأسيس تلك الجامعة ذات الرابطة البديلة لرابطة الإسلام؛ لتقطع الطريق على كل محاولة لإعادة (الجامعة الإسلامية) أو الخلافة. وكانت البداية خطاباً ألقاه (أنتوني إيدن) وزير خارجية بريطانيا في ٢٩ مايو ١٩٤١م، حثَّ فيه المتكلمين بالعربية بعد أن أطلق عليهم وصف (العالم العربي) على التجمع تحت لواء العروبة، بدلاً من التجمع تحت لواء الشريعة، وقال في خطابه: «إن العالم العربي قد خطا خطوات عظيمة منذ التسوية التي جرت عقب الحرب العالمية الماضية. إن كثيراً من مفكِّري العرب يرجون للشعوب العربية درجة من درجات الوحدة أكبر مما تتمتع به الآن، وإن العرب يتطلعون لنيل تأييدنا في مساعيهم نحو هذا الهدف، ولا ينبغي أن نغفل الرد على هذا الطلب من جانب أصدقائنا، ويبدو أنه من الطبيعي ومن الحق تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية، وكذلك السياسية بين البلاد العربية. وحكومة (صاحب الجلالة) سوف تبذل تأييدها التام لأيِّ خطة في ذلك الصدد»!

وبعد عامين من المساعي الداعية إلى إيجاد كيان تنظيمي يجمع العرب دون بقية المسلمين برعاية من بريطانيا الحقودة؛ أدلى رئيس وزرائها (إيدن) بتصريح أشبه بـ (تصريح بلفور) عن الوطن القومي لليهود، حيث قال في ٢٤ فبراير ١٩٤٣م: «إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ترمي إلى جمعهم في وحدة اقتصادية وثقافية وسياسية».

وتلقَّف تلك الدعوة ذات الصفة العَلْمانية المستبعِدة للدِّين؛ دعاة الفكر الليبرالي ورعاته في مصر، حيث دعا الرمز الليبرالي (مصطفى النحاس) رئيس الوزراء المصري في العهد الملكي، عدداً من المسؤولين العرب؛ للتباحث حول فكرة

(إيدن)، فاستجاب له - ويبدو على تنسيق سابق - مسؤولان (عربيان) قوميان، هما: (جميل مردم) رئيس الوزراء السوري الأسبق، و(بشارة الخوري) رئيس الكتلة الوطنية اللبنانية، وبحث ثلاثتهم في القاهرة فكرة عنوانها: «إنشاء جامعة عربية لتوثيق الصلات بين البلاد العربية المنضمَّة إليها».

بعد شهر تقريباً أعلنت الحكومة المصرية استعدادها لأخذ آراء الحكومات العربية في فكرة الجامعة العربية، وعقد مؤتمر لمناقشة الفكرة. وفي النهاية تجسدت تلك الفكرة، ووُلدت (الجامعة العربية) في السابع من أكتوبر عام ١٩٤٤م، بعد صدور (بروتوكول) خاص بها، عُرف بـ (بروتوكول الإسكندرية).

لست معنيّاً الآن بتفاصيل ذلك البروتوكول الذي لم يُشَرْ فيه إلى الإسلام من قريب أو بعيد بوصفه العروة الأوثق بين الجمهور الأعظم من العرب قبل كل العُرى والروابط والجامعات، ولكن اللافت فيه أنه أدرج منذ وقت مبكر قضية فلسطين، عادّاً إياها مسؤولية العرب جميعاً، وهو ما أعطى لتلك القضية مكاناً بارزاً في كل نشاطات الجامعة العربية وقراراتها، فهل حقّاً كانت الجامعة العربية وفيَّة لفلسطين؟ أو بتعبير آخر: هل كانت القومية العربية قادرة على حمل قضية كبرى كقضية فلسطين؟ وهل تقدمت الجامعة القومية بتلك القضية، أم أخَّرتها وتأخرت بها؟

• ماذا قدَّمت القومية العربية لفلسطين؟

الجامعة كانت على مدى أكثر من ستين عاماً هي الجهاز الرسمي المسؤول عن كل السياسات والتوجهات والفعاليات المعبرة عن فكر القومية العربية، وبالرغم من أن «الفكر القومي» لم يكن دستوراً نصيّاً لتلك الجامعة، ولا مذهباً فكريّاً لكل الأنظمة المنضوية تحتها؛ إلا أن (العروبة) كانت هي الراية الوحيدة المرفوعة والشعار الوحيد المعلن تحت سقف تلك الجامعة.

العجيب أن ركب المسيرة الثقيلة والهزيلة للقومية العربية خلال ما مضى من عقودها الطويلة؛ لا زال يكابر رغم شدة هزاله وكثرة هزائمه، فيحاول تجديد فكرة البائد ومتاعه الساقط، ويحاول أن يشدَّ تجاعيد وجهه الكئيب المشوب بألوان فاقعة وأصوات مفرقعة تحاول ترديد المزيد من نشيد: (أمجاد يا عرب أمجاد)، على لحن من القول، وعِوَج من العمل. فمؤخراً عُقد في سورية مهد الفكر القومي مؤتمر تحت عنوان: (تجديد الفكر القومي) تحت رعاية الرئيس السوري (بشار الأسد)، في الفترة من ١٥ - ١٩ آبريل ٢٠٠٨م، ومن الغريب أيضاً أن هذا المؤتمر قد جاء بعد آخر مؤتمر قمة عقد في دمشق، أطلق فيه الزعيم القومي العربي الوحدوي «سابقاً» معمر القذافي؛ ما يشبه المرثية البكائية على ظلال الأطلال العربية، حيث نعى للعالم القومية العربية في مؤتمر القمة العربي الذي عقد تحت شعار (التضامن العربي)! أما مؤتمر (تجديد الفكر القومي) فقد حاول (بعث) قيادة شجاعة جديدة من جبَّانة القومية العربية المتهالكة، حيث جاء في توصيات مؤتمر (التجديد) هذا، الدعوة إلى الإشادة والمساندة للقيادة السورية الساعية لتحقيق «التضامن العربي» بروح عالية، حيث تُوجِب مسؤولية القوميين العرب ذلك؛ لأنه «بغير ذلك سيكون مصيرنا إلى المزيد من التشتت والتمزق»! ونسي المؤتمرون أو تناسوا أن العصفور الجديد يجيد التغريد ولكن خارج السرب العربي!

• فلسطين .. والقمم القومية:

احتفى الفكر القومي بفلسطين كثيراً، فلا تكاد ترى رمزاً فكريّاً من رموز القومية، ولا زعيماً سياسيّاً من زعمائها، إلا وللقضية الفلسطينية في خطابه أعلى صوت وأكبر حضور، مع أن لهؤلاء الزعماء الفكريين والسياسيين الفضل المشؤوم في عزل قضية فلسطين عن بُعْدها الإسلامي الأصيل؛ بالبُعْد العروبي البديل.

لن أتحدث هنا عن تنظيرات فكرية، ولا سفسطات شعوبية، سوَّد بها هؤلاء طباق الأرض ورقاً، ولكن سأكتفي بالخلاصات «العملية» التي قدَّمتها الزعامات العربية لقضية فلسطين تحت راية وشعار (القومية العربية).

ولما كانت مؤتمرات القمة التي تعقدها الجامعة العربية بصفة دورية (عادية أو طارئة) هي أصدق تمثيل وتسجيل للمواقف الفعلية للعرب من قضية فلسطين؛ فسوف أستعرض تسلسل هذه المواقف وتتابعها فيما يتعلق بقضية فلسطين، لكني أرجو قبل متابعتها أن يلاحظ القارئ اتجاه الخط البياني النازل فيما يتعلق بالمواقف من النوازل التي

تزداد قوتها وشـدتها على أرض فلسطين، وأريده أن يراقب أين بدأ العرب في قضية فلسـطين؟ وكيف ساروا؟ وإلى أيِّ شـيء انتهوا فـي مسيرهم؟ وهـل لا يـزال لسيرهم هـدف أو غاية معقولة أو مقبولة، أو حتى مفهومة؟ وهل حقّاً صارت فلسـطين عبئاً علـى العرب أو بعض العـرب إلى درجة أن أحدهم اقترح تغيير حتى اسـمها فجدد في آخر قمة عربية رسمية مقترحه بتغيير اسم فلسطين إلى (إسراطين)، لتكون وطناً مشـتركاً و (ديمقراطيّاً) بـين الصهيونيين الغاصبين الصائلين، والفلسـطينيين المجني عليهم والمظلومين؟! أريد أيضـاً من القارئ أن يلاحظ معي كيـف أن تجـريد القضـية الفلسطينية من طبيعتها الإسلامية شيئاً فشيئاً قد جرَّدها أيضاً شـيئاً فشـيئاً من ثوابتها وحرماتها وحـدودها، حـتى صارت قضية بلا معالـم وبلا ثـوابت وبلا حرمات وبلا خطوط حمراء أو سوداء! لقد بدأت القضية كبيرة، بل كانت (الكبرى) بـين قضايا العرب، لكنهم ظلوا تحت رايات الفكر القومي العَلْماني يصغِّرونها ويجزِّئونها، حتى أصبحت معالمها لا تظهـر إلا في تصورات من لم يزالـوا محتفظين بصورة فلسـطين التاريخية؛ مسـرى الرسـول ﷺ؛ وفتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتحرير صلاح الدين رحمه الله.

وهذه أبرز اللقطات من فعاليات مؤتمرات القمة العربية، فيمـا يتعلق بقضية بيت المقدس ومسـجده الأقصى وأرضه المباركة، التـي اختصروها واختزلوهـا الآن في كلمة (أزمة فلسـطين)، علماً بأن مجلس الجامعـة العربية قد عقد على مستوى القادة العرب منذ إنشاء الجامعة وحتى مؤتمر دمشق الأخير ثلاثين مؤتمراً؛ منها (١٩) مؤتمراً عاديّاً و (١١) مؤتمراً غير عادي.

■ في مؤتمر القمة الأولى في أنشاص عام ١٩٤٦م عقد ذلك المؤتمر بدعوة من ملك مصر السابق (فاروق) في قصر أنشاص، وحضرته سبع دول عربية، هي التي أسست الجامعة العربيـة. وبالرغـم مـن أن حـرب النكبة لـم تكن قد وقعت، ولا دولة اليهود قد قامت؛ إلا أن المؤتمر أدرج قضية فلسطين في أول قراراته التي نلاحظ فيها ذلك الفرق الشاسـع بين شعارات الأمس وتنازلات اليوم:

فقد كان واضحاً أن قضية فلسطين كانت هي لُبُّ قرارات المؤتمر. حتى إنها اسـتحوذت على سـتة قرارات من ضمن تسـعة قرارات خرج بها المؤتمر، وهي قرارات تعتبر «قضية فلسـطين قلب القضايا العربية بوصفها قطراً لا ينفصل عن باقـي الأقطار العربيـة» وتطالب بـ «ضـرورة الوقوف أمام الصهيونية»، و «الدعوة إلـى وقف الهجرة اليهودية»، و «منع تسرُّب الأراضي العربية إلى أيدي الصهاينة»، و «العمل على استقلال فلسطين»، و «عدّ أي سياسة عدائية ضد فلسطين تأخذ بها حكومتا أمريكا وبريطانيا (سياسـةً عدوانية) تجاه دول الجامعة العربية كافـة»، وقرر المؤتمر «الدفاع عن كيان فلسطين في حالة الاعتداء عليه» و «مساعدة عرب فلسطين بالمال وبكل الوسائل الممكنة».

■ أمـا المؤتمـر الـثانـي المنعقد في بيروت عام ١٩٥٦م - أي بعـد حدوث نكبة فلسـطين بثمانية أعوام - فقد جاء بعد أن توسـع العدوان اليهودي ليشمل مصر في ذلك العام الذي وقع فيـه اعتداء على الجيش المصري، شـاركت فيه إنجلترا وفرنسا، لكن المؤتمر لم يُشِرْ في أيٍّ من قراراته إلى واجب العرب تجاه ما حدث في فلسطين.

■ وجـاء المؤتمر الثالث للقمة العربيـة الذي عقد في القاهـرة في ١٣ ينايـر ١٩٦٤م في مقـر الجامعة العربية في القـاهـرة؛ بـدعـوة مـن الرئيس المصـري الأسـبـق جمـال عبـد الناصر؛ لمواجهة مشـكلة تحويل مجرى نهر الأردن، و«تصفيـة الخلافـات العربيـة حتـى يمكن دفع العدوان الصهيوني عن العـرب»، وجاء في قرارات المؤتمر: «قيام الدولة الصهيونية خطر أساسـي يجب دفعه: سياسيّاً واقتصاديّـاً وإعلاميّاً»، وقرَّر المؤتمر: «إنشـاء قيادة عربية (موحـدة) لجيوش الدول العربية -... اللّه أكبر...!! - يبدأ تشكيلها في كنف الجامعة العربية في القاهرة»!

وقرَّر المؤتمرون: «إقامة قواعد سـليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني؛ لتمكينه من تحرير وطنه وتقرير مصيره»، وكان هذا الإجراء بداية لتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية.

■ في العام نفسـه عقد مؤتمر قمة آخر في ٥ سـبتمبر ١٩٦٤م في مصـر أيضاً، ولكن في مدينة الإسـكندرية، وقد حضره أربعة عشـر زعيماً عربيّاً، صدرت عنهم قرارات كبيرة - كالعـادة في ذلك الوقت - بشـأن فلسـطين، منها: «إقرار

خطة العمل العربي (الجماعي) لتحرير فلسطين عاجلاً أو آجلاً»، و«دعم قرار منظمة التحرير الفلسطينية بإنشاء (جيش التحرير) الفلسطيني»، و«مواجهة القوى المناوئة للعرب، وفي مقدمتها بريطانيا».

ولم ينسَ أعضاء المؤتمر الإشادة بالروابط الأخرى «البديلة» التي تجمع العرب بغيرهم من البشر؛ فأكَّد المؤتمر على «الإيمان بالتضامن الإفريقي الآسيوي، والاستبشار بنموِّ الوحدة الإفريقية»، وفي لهجة حاسمة تتناسب مع ذلك الزمان الثوري قرر المؤتمر: «تصفية القواعد الاستعمارية التي تهدد أمن المنطقة العربية»!

■ وفي ١٣ سبتمبر ١٩٦٥م عقد في الدار البيضاء في المغرب المؤتمر الخامس من مؤتمرات القمة العربية، وقد شاركت فيه لأول مرة (منظمة التحرير الفلسطينية)، إضافة إلى ١٢ دولة عربية، لكن تونس قاطعت ذلك المؤتمر؛ للخلافات التي نشبت بين بورقيبة وعبد الناصر. وفيما يتعلق بفلسطين قرر ذلك المؤتمر: «دعم منظمة التحرير وجيشها، وإقرار الخطة العربية الموحدة للدفاع عن قضية فلسطين في المحافل الدولية»، وقد كان بين قرارات ذلك المؤتمر قرار لافت للنظر ينص على «التخلِّي عن سياسة القوة وحل المشاكل الدولية بالطرق السلمية».. ولا أدري من هو ذلك «الزعيم» الذي فرض على بقية الزعماء إيراد ذلك القرار الغريب، بعد سبعة عشر عاماً من احتلال غالبية فلسطين، وقبل عامين من حرب ٦٧ التي أظهرت أن عدو العرب لم يتخلَّ لحظة عن «سياسة القوة» ولم يلجأ يوماً إلى حل المشكلات بـ «الطرق السلمية»؟

■ أما عام ١٩٦٧م الذي اشتهر بحرب الفضيحة العربية، التي خفَّف الثوريون وقعها بوصف «النكسة»، وكأن الهزيمة فيها كانت مثل نوبة برد سياسية، أو نزلة معوية دبلوماسية؛ فقد تنادى العرب لعقد تلك القمة في عاصمة السودان الخرطوم في ٢٩ أغسطس ١٩٦٧م، بعد الهزيمة بشهرين، وحضرت الدول العربية كلها ذلك المؤتمر، باستثناء سورية التي طالبت بالتخلِّي عن حروب الجيوش؛ لأن الجيوش العربية هزمت في تلك الحروب، واحتُلت القدس وسيناء والجولان وغزة، ونادت سورية بدلاً من ذلك بـ «شنِّ حرب تحرير شعبية ضد الدولة الصهيونية»!

أما القمة نفسها فقد صدرت عنها اللاءات الثلاثة الشهيرة المتعلقة بالتعامل مع العدو الصهيوني، وهي: (لا للاعتراف، لا للتفاوض، لا للصلح)! وقد أكد المؤتمر لأجل تنفيذ هذه اللاءات على: «تأكيد التضامن العربي» و«الالتزام بميثاق التضامن العربي» (أين هو..؟) من أجل «إزالة آثار العدوان على الأراضي الفلسطينية، والعمل على انسحاب القوات الصهيونية من الأراضي العربية»! لكن المؤتمر ومن باب «تلطيف الجو» قرر: «استئناف ضخ البترول إلى الولايات المتحدة الأمريكية» التي أقامت جسراً جوياً لدعم اليهود لاحتلال القدس وسيناء والجولان والضفة وغزة!

■ وجاء المؤتمر السابع الذي عقد في الرباط في ٢١ ديسمبر ١٩٦٩م، والذي شاركت فيه ١٤ دولة عربية؛ بهدف: «وضع إستراتيجية عربية لمواجهة الدولة الصهيونية»، ولكن يبدو أن الهدف المعلَن كان أكبر من طاقة المؤتمر، لذلك انفضَّ سامروه قبل أن يصدر عنه أي قرار أو بيان ختامي!

■ وفي عام ١٩٧٠م عقد في القاهرة مؤتمر (غير عادي) ليس لمواجهة اعتداءات جديدة على الدول العربية، ولا بسبب اغتصاب المزيد من الأراضي الفلسطينية، ولكن بسبب مصيبة ما عرف في التاريخ العربي المعاصر بأحداث (أيلول الأسود) التي نشبت فيها معارك طاحنة بين الأردنيين والفلسطينيين على مرمى حجر من دولة الكيان اليهودي، وقد جاء ذلك المؤتمر بغرض اتخاذ الإجراءات اللازمة للإنهاء الفوري لجميع العمليات العسكرية بين القوات المسلَّحة الأردنية، وقوات المقاومة الفلسطينية، وقد طالب المؤتمر بإنهاء ذلك القتال فوراً، وسحب القوات الفلسطينية خارج عمان، وإطلاق الأسرى من الجانبين.

■ وفي عام ١٩٧٣م وفي شهر نوفمبر منه عقد مؤتمر عربي بمناسبة نجاح عربية، وهي نصر أكتوبر، إلا أن دولتين عربيتين قاطعتا ذلك المؤتمر، هما العراق وليبيا، وهما الدولتان المؤسستان بعد ذلك لما سُمِّي بـ (جبهة الصمود والتصدي). لكن اللافت أن ذلك المؤتمر الذي جاء بعد ظهور إمكانية هزيمة الكيان الصهيوني إذا ما أخذ العرب بأسباب ذلك؛ كان أول مؤتمر عربي يتحدث فيه العرب عن

(الســلام مع اليهود)، وهذا ما أصبح نغمة ســائدة في كل المؤتمــرات التالية، لكن مع فارق التــدرُّج في الاقتراب من الصيغة الصهيونية لذلك الســلام. وقد اشترط العرب في ذلك المؤتمر بشــكل مبدئي على دولــة الكيان الصهيوني أن تنســحب من «جميع الأراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس»، ولم تذكر ذلك الاســتثناء الذي اشــتهر بعد ذلك وهــو: «المحتلة عام ١٩٦٧م»! وقد قرر المؤتمر: «تقديم جميع أنواع الدعم المالي والعســكري للجبهتين السورية والمصرية من أجل (استمرار) نضالهما ضد (العدو) الصهيوني»! وقد قرر المؤتمر أيضاً «استمرار استخدام سلاح النفط العربي»، وإرســال تقدير إلى جميــع الدول الإفريقيــة التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الدولة الصهيونية»!

■ بعد الحرب بعام وفي ٢٦ أكتوبر ١٩٧٤م عقد مؤتمر القمة العاشــر، وفيه بدأت عبارة (الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م) تأخذ طريقها إلى القمم العربية، فقد قرر ذلك المؤتمــر: «التحرير الكامل لجميــع الأراضي العربية المحتلة فــي عدوان يونيو - حزيران ١٩٦٧م، وتحرير مدينة القدس، وعــدم التنازل عن ذلك»! وهنا بدأ «نســيان» الأراضي التي احتلت (قبل) ١٩٦٧م وهي الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م! وبدأ الاقتراب من تحويل القضية الفلسطينية من قضية (قومية) تخص العرب جميعاً إلى قضية (وطنية) تخص الفلسطينيين وحدهــم، لذلك نصَّ أحد قــرارات المؤتمر علــى «اعتماد منظمة التحرير الفلســطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني»!

وقد كان هذا القرار تأسيســاً ســيِّئاً لمبــدأ: «ما يقبله الفلسطينيون سيقبله العرب جميعاً»، والمقصود بالفلسطينيين هنا: منظمة التحرير الفلسطينية العلمانية التي عرف الجميع بعد ذلك ماذا فعلت بالقضية الفلسطينية!

■ وقد عقد المؤتمر الحادي عشــر في الرياض في ١٦ أكتوبــر ١٩٧٦م لغرض جديد لا علاقــة له بتحرير الأراضي الفلســطينية قبــل ٦٧ أو بعدها؛ ولكن لفضِّ تنازع مســلح جديد بين الفلسطينيين واللبنانيين، وكان من قرارات المؤتمر: «تعهُّد عربي بتأكيد منظمة التحرير على احترام سيادة لبنان ووحدته»!

■ وفي عام ١٩٧٦م نفســه وفي شهر أكتوبر أيضاً عقد مؤتمر في القاهرة لاستكمال بحث الأزمة بين الفلسطينيين واللبنانيين، وأعاد المؤتمرون ما طالبوا به في المؤتمر السابق من فض النزاع المســلح بين الطرفين، لكن المؤتمر أصدر مع ذلــك قراراً - ويا للمفارقة - يطالــب العالم بإدانة العدوان الصهيوني على العرب.

■ وفي عام ١٩٧٨م كان النظام الرسمي في مصر قد خرج بالفعل من إطار المواجهة العسكرية للكيان الصهيوني بشكل نهائي ومُلزم، وذلك بتوقيع اتفاقية (كامب ديفيد) للسلام بين مصر والدولة الصهيونية، وقد جاء عقد المؤتمر تلبية لدعوة من العراق بعد توقيع تلك الاتفاقية، وشاركت فيه عشر دول عربية، قررت فيه: «عدم موافقة المؤتمر على اتفاقيتي كامب ديفيد» وأكدت «خطر عقد صلــح منفرد» ودعت إلى «دعم الجبهة الشــمالية والشــرقية ومنظمة التحرير الفلسطينية ماديّاً ومعنوياً» واتخذت قراراً جماعياً بـ: «نقل مقر الجامعة العربية من مصر، وتعليق عضوية مصر فيها»!

■ بعد (كامب ديفيد) بعام وتحديداً في عام ١٩٧٩م دعا الرئيس التونسي السابق (الحبيب بورقيبة) الذي كان أول من دعا إلى (سلام مع اليهود) إلى عقد قمة لبلورة موقف عربي موحــد لمواجهة «مؤامرة» كامب ديفيــد، وقد قرر المؤتمرون لمواجهة تلك المؤامرة ما يلي: «الصراع مع الدولة الصهيونية طويل الأمد، وهو عسكري وسياسي واقتصادي وحضاري»، «تجديــد الإدانة العربية لاتفاقية كامــب ديفيد»، «التصدي لمؤامرة الحكم الذاتي وتوســيع نطــاق التضامن العربي مع نضال الشــعب الفلسطيني من أجل إفشال مخططات العدو الصهيونــي وهزيمته»! وقرر المؤتمر أيضــاً: «التصدي لنقل العاصمة الصهيونيــة إلى القدس»، وقرر أيضاً: «إدانة قرار النظــام المصري بتزويد الدولــة الصهيونية من مياه النيل»، ودعا إلى «إحكام المقاطعة للنظام المصري».

■ فــي ٢٥ نوفمبر ١٩٨٠م عقد المؤتمر الخامس عشــر من مؤتمرات القمة العربيــة، وحضرته ١٥ دولة عربية، وقرر الحاضرون بالإجماع: «عزم القادة العرب على إسقاط اتفاقية كامب ديفيد للســلام مع الدولة الصهيونية»، و «التأكيد على أن قــرار مجلس الأمــن رقــم (٢٤٢) لا يتفــق مع الحقوق

العربية، ولا يشـــكل أساســاً صحيحاً لحلِّ أزمـة القضـية الفلسـطينية»، و «إدانة استمرار حكومة واشنطن في تأييد الدولــة الصهيونية وإلصاق صفــة الإرهاب بمنظمة التحرير الفلسطينية»، و «الموافقة على استمرار مقاطعة مصر»!

لكن يلاحظ في تلك القرارات أنها لم تعد تصف الدولة الصهيونية بـ (العدو)، وأنها لم تعد تسمي الأزمة معها (أزمة الشرق الأوســط)، بل (أزمة القضية الفلسطينية)، ويلاحظ أيضاً أن العرب كانــوا لا يزالون يملكون القدرة على «إدانة» أمريكا، وشجب وصفها للمقاومة بـ «الإرهاب»!

■ فــي ٢٥ نوفمبر ١٩٨١م عقد مؤتمـــر للقمة، بغياب مصـــر وعزلها بذنب (كامب ديفيـــد)، وقد عرضت في هذا المؤتمر مبادرة جديدة عربية للســلام، لكن سورية عارضتها بشــدة، وتســبَّب ذلك في إرجاء البتِّ في المبادرة، ومن ثم إرجاء أعمال المؤتمر إلى وقت آخر، حيث أوقفت أعمال هذا المؤتمر بعد خمس ساعات من انعقاده!

■ عــاد المؤتـمـر للانعــقاد فــي فـاس فـي المغـرب فـي ٦ ســبتمبر ١٩٨٢م بمشـــاركة أغلب الـــدول العربية، وبعدم حضور مصر أيضاً، لينســخ هذا المؤتمر الســادس عشــر في هدوء كل قرارات وشــعارات المؤتمرات السابقة، وذلــك باعترافه الضمني بوجود الدولـــة الصهيونية، حيث صـــدر عن ذلــك المؤتمر بيان ختامي تضمـــن مجموعة من القرارات، أهمها: (قرار مشروع «السلام العربي» مع الدولة الصهيونية) الذي يتضمن: «انســحاب الدولة الصهيونية من جميع الأراضي العربية التـــي احتلَّتها عام ١٩٦٧م» و «إزالة المستعمرات الصهيونية في الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧م»، و «قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس».

■ بعــد ثلاثة أعــوام من مبادرة فـــاس، وفي ظل عدم اســتجابة الكيان الصهيوني لجنوح العرب للسّــلم، وتواصل الاعتداءات الصهيونية على الفلسطينيين؛ عقد مؤتمر القمة الثامن عشر في الدار البيضاء في المغرب، وكان من قراراته «التنديد» بالإرهاب الصهيوني داخل فلسطين.

■ وفـي المؤتـمـر الثامن عشــر الذي عقد في عمان في ٨ نوفمبر ١٩٨٧م كان حظُّ قضية فلســطين من ذلك المؤتمر أن رُفع قســط آخر مـــن الحظر على مـــن اعترفوا بالعدو المحتل لها، فقد صدر عن ذلك المؤتمر قرار نصه: «العلاقات الدبلوماســية بين أي دولة عضو فـــي الجامعة العربية وبين مصر من أعمال السيادة، تقررها كل دولة بموجب دستورها وقانونها»! ولما كانت دســـاتير العرب كلها لا تجرِّم ولا تحرِّم الصلح مع عدو يحتل أرضاً للمســـلمين، فقد تسلسل العرب في إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر، مغيِّرين سياساتهم السابقة من النقيض إلى النقيض، دون أن يتغير حرف واحد في (كامب ديفيد)!

■ بعد إعادة العلاقات مع مصر رغم بقاء (كامب ديفيد)، وبعد أن أُسقط في أيدي الفلسطينيين عَلْمانيين وإسلاميين؛ بدأ الشعب الفلسطيني يتحرك براية جديدة، وغيـر معهـودة خـــلال عقود الصراع الماضيـــة، إذ بدأ ظهـــور رفـع الراية الدينية بظهور حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، واندلعت الانتفاضة الشــعبية الأولى، وكانت هناك بقية من «الحمية العربية» لدى بعض الأنظمة العربية، فصدر عن مؤتمر القمة المنعقد في الجزائر في ٧ يونيو / حزيران ١٩٨٨م قرار يدعو إلى «دعم الانتفاضة الشــعبية الفلسطينية، وتعزيز فعاليتها وضمان استمراريتها»، لكن المؤتمر المتردِّد بين أجواء الحرب وأوهام السلام قرر أيضاً: «المطالبة بعقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط تحت إشراف الأمم المتحدة»!

■ وفي ٢٣ مايو ١٩٨٩م عقد في الدار البيضاء المؤتمر العشـــرون للقمة العربية، وقد زفَّ الحضـــور للعالم العربي عـــودة مصر إلى الصـــف العربي، أو عـــودة الصف العربي إلى مصر، دون أن يســـأل أحد: لماذا أُخرجت من الجامعة، ولماذا أُعيدت، ما دامت المواقف العربية «متجانسة» إلى ذلك الحد؟! ومع هذا فقد قرر المؤتمر: «تقديم الدعم والمساعدة المعنوية والمادية للانتفاضة الفلسطينية»، ودعا المؤتمر كذلك الفلسطينيين إلى عدم الدخول في انتخابات بشأن قضيتهم إلا بعد انسحاب الدولة الصهيونية من الأراضي الفلسطينية في إطار «عملية سلام شاملة»!

■ في عام ١٩٩٠م وفي الثامن والعشرين من شهر مايو فـــي ذلك العام دعا العراق إلى عقـــد قمة عربية قبيل غزو الكويت لبحث الأخطار التي تهدد الأمن القومي العربي، وفي ذلك المؤتمر أيَّدت الأنظمة العربية استمرار دعم الانتفاضة

الفلسطينية، وأدانت قرار الكونجرس الأمريكي اعتبار القدس عاصمة للدولة الصهيونية، وقرر المؤتمر: «معارضة المحاولات الأمريكية إلغاء قرار اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال (الصهيونية)»، وفي ذلك المؤتمر أيضاً صدر قرار بانتظام انعقاد القمم العربية، على أن تكون البداية من مصر.

■ في ١٥ أغسطس ١٩٩٠م انعقد في القاهرة مؤتمر للقمة، كان هو مؤتمر تشييع جنازة التضامن العربي، حيث عقد ذلك المؤتمر للنظر في أمر اعتداء دولة عربية عضو في (الجامعة) على دولة عربية عضو فيها، واجتياح أراضيها، واحتلال عاصمتها، بغرض ضمها، وقد كان غزو العراق للكويت بداية تفكك عُرى النظام العربي، ولم يصدر عن المؤتمر الذي لم يحضره قادة دول الخليج ولا تونس أيُّ شيء، إلا ما يتعلق بإدانة غزو الكويت والدعوة إلى إرسال قوة عربية مشتركة إلى الخليج للمشاركة في تحرير الكويت. وطوال ست سنوات بعد الحرب الأمريكية على العراق بدعوى تحرير الكويت؛ كان الموقف العربي مشدوداً ومشدوهاً بمشهد سقوط صنم القومية العربية، بعد حدوث ذلك الصدع الخطير في معنى الفكر القومي ومبناه، ولعل هذا كان أحد أسباب عزوف القيادات العربية عن عقد أية مؤتمرات طوال تلك المدة، إلى أن انطلقت دعوة من الرئيس المصري (حسني مبارك) إلى جميع الدول العربية – باستثناء العراق – لعقد مؤتمر قمة في ٢١ يونيو ١٩٩٦م لبحث عدد من المشروعات «الكبرى»، ومنها: «إنشاء محكمة العدل العربية» (أين هي؟) وعمل «ميثاق الشرف للأمن والتعاون العربي» (أين هو؟) و «إنشاء آلية لجامعة الدول العربية لفضِّ النزاعات» (أين هي؟) و «الإسراع في إنشاء منظمة التجارة العربية» (أين هي؟)، إلا أن المؤتمر جدَّد التأكيد على مطلب السلام «الشامل» مع العدو الصهيوني – الذي لم يعد عدواً – بشرط أن يترك للعرب ما احتلَّه من أراضٍ في حرب عام ٦٧، وما اغتصب من المستوطنات على يد الحكومات المتعاقبة طوال الأعوام بعد تلك الحرب.

■ تجمَّدت مؤتمرات القمة مرة أخرى لمدة أربع سنوات، حتى عقد في القاهرة في ٢١ أكتوبر ٢٠٠٠م مؤتمر للقمة العربية عند اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية، التي تفجرت بعد زيارة مجرم الحروب (شارون) الاستفزازية لساحات المسجد الأقصى؛ تأكيداً على «يهوديتها» بعد فشل مؤتمر (كامب ديفيد) الذي عقد خصيصاً لانتزاع التنازل عنها، وقد صدرت عن ذلك المؤتمر قرارات «كبيرة» تطرح علامات استفهام كبيرة أيضاً عما يدور اليوم (عربيّاً) مع الفلسطينيين على أبواب الانتفاضة الثالثة، ومن تلك القرارات: إنشاء صندوق باسم (انتفاضة القدس) برأس مال ٢٠٠ مليون دولار لدعم أُسر الشهداء وتأهيل الجرحى والمصابين – وليس طبعاً لدعم المجاهدين أو تأهيلهم –، وكذلك صدر قرار بإنشاء صندوق باسم (صندوق الأقصى) برأس مال ١٠٠ مليون دولار؛ لدعم اقتصاد الشعب الفلسطيني، وقرار ثالث يسمح بإنعاش الاقتصاد الفلسطيني عن طريق «استيراد السلع الفلسطينية بدون كمية ولا نوعية». وقد تميز ذلك المؤتمر بإضافة مادة إلى ميثاق الجامعة العربية، تنص على أن يكون انعقاد القمة سنويّاً وبشكل دوري.

■ في ٢٢ أكتوبر ٢٠٠١م عادت القمة العربية العادية إلى الانعقاد، بعد أن كانت تعقد بصورة طارئة أحياناً، وبصور متقطعة أحياناً أخرى، وقد عقدت تلك القمة بعمان في الأردن، وتُعدّ هذه القمة هي الدورية الأولى، وكان من نصيب القضية الفلسطينية فيها: «إدانة العدوان الصهيوني (المتواصل) على الشعب الفلسطيني»، وإدانة «الاعتداءات المستمرة على المرافق الحيوية والمؤسسات الوطنية الفلسطينية».

■ وانعقد في ٢٨ مارس ٢٠٠٢م مؤتمر للقمة العربية في بيروت، وفيه أُطلقت مبادرة السلام العربية، وبينما رفضت الدولة الصهيونية هذه المبادرة وقت صدورها؛ فقد فسرتها الولايات المتحدة الأمريكية على أنها استعداد عربي شامل للتطبيع!

■ وفي الأول من شهر مارس عام ٢٠٠٣م عُقد المؤتمر الدوري العادي الثالث في منتجع شرم الشيخ في مصر، وذلك قبل شهر من غزو الولايات المتحدة للعراق، حيث رفضت القمة العربية (بالإجماع) ذلك الغزو الأمريكي «المحتمل».

■ وعقد في ٢٢ مارس ٢٠٠٥م في الجزائر المؤتمر الدوري الرابع، وقد شدد على ضرورة تفعيل المبادرة العربية

للسلام، ودعا إلى التمسك بـ «الشرعية الدولية» فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

■ في ٢٨ مارس ٢٠٠٦م عقد مؤتمر قمة تالٍ في الخرطوم، وقد ركَّز على (مركزية القضية الفلسطينية) بين القضايا العربية، إلا أنه شدَّد على أن السلام هو الخيار «الاستراتيجي» للعرب!

■ وفي ٢٨ مارس ٢٠٠٧م عقدت القمة العربية الدورية في الرياض، وقد أكدت على تمسك جميع الدول العربية بمبادرة السلام العربية، ودعت الدولة الصهيونية إلى قبولها. وقد تطرقت القمة للخلافات التي طرأت على الساحة الفلسطينية الداخلية، بين التوجهين: الإسلامي والعَلْماني، مؤكدة على الدعم الكامل (لاتفاق مكة) لحلِّ الخلافات بين الطرفين.

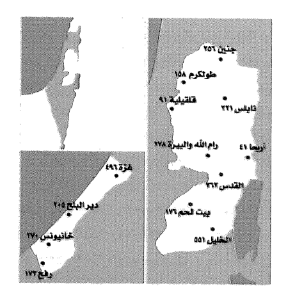
■ أما القمة الأخيرة التي انعقدت في دمشق بسورية في ٣٠ مارس ٢٠٠٨م، فرغم أنها كانت تظاهرة قومية جديدة بالرغم من مقاطعة الكثير من الدول العربية لها (بشكل غير رسمي)، إلا أنها كانت تظاهرة أيضاً ضد تلك القومية العربية، من واحد من أبرز رموزها «التاريخيين»، وهو العقيد الليبي (معمر القذافي)، فقد تذكَّر العقيد فجأة فلسطين التاريخية، وهاجم الزعيم القومي السابق كل الدول العربية؛ لأنها أصبحت تعد فلسطين هي: الضفة الغربية وقطاع غزة فقط، لكنه مع ذلك - وللعجب - جدَّد دعوته إلى إلغاء مسمى (فلسطين) لتصبح (إسراطين)، المكونة من (إسرائيل) و (فلسطين)! وعبَّر الزعيم السابق للقومية العربية عن الحقيقة المُرة التي آلت بها إليها القومية العربية، والتي لا شك أنه كان أحد أسباب مرارتها عندما قال: «لا شيء يجمعنا أبداً إلا القاعة هذه.. للأسف الشديد نحن أعداء بعضنا.. كلنا نكره بعضنا ونتخاصم مع بعضنا ونكيد لبعضنا، ونشمت في بعضنا، ونتآمر على بعضنا، نحن مخابرات على بعضنا، نحن عدو لبعضنا»!

وعزَّى العقيد العرب في وفاة العروبة في ذلك الاجتماع الرسمي لجامعة القومية العربية، وقال: «كرامة العرب راحت، ووجود العرب راح، وماضيهم راح، ومستقبلهم راح»! وزاد الزعيم في توبيخه جميع الزعماء العرب فعاب عليهم ترك المطالبة بما سبق احتلاله قبل عام ١٩٦٧م قائلاً: «من الممكن أن يتم احتلال جديد لأراضٍ عربية في عام ٢٠٠٨م مثلاً، وبعد سنوات ستطالبون أنتم بالعودة إلى حدود ٢٠٠٨م، ونعترف بالدولة الصهيونية وفقاً لهذا»!

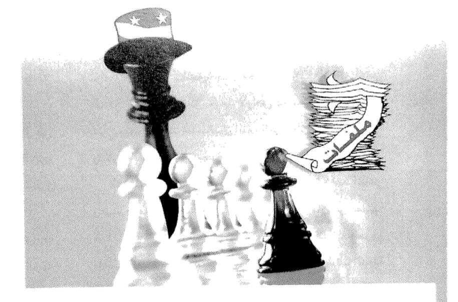
أما المؤتمر الذي خاطبه القذافي بما سبق، فقد أصدر رغم ذلك الهجوم عدة قرارات «مصيرية» كان من ضمنها مما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي: «الالتزام العربي بالسلام الشامل بوصفه خياراً إستراتيجياً»، وطالب الدولة الصهيونية بالانسحاب من الأراضي التي احتلَّتها منذ أكثر من أربعين عاماً في حرب ١٩٦٧م، وطالب بـ «دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس»، ولم ينسَ المؤتمرون أن يدعوا المنظمات والمؤسسات الدولية إلى «تحمُّل مسؤوليتها» في الحفاظ على المقدسات الإسلامية و «المسيحية»!

وأخيراً: أدان مؤتمر قمة دمشق «المساس بهوية القدس العربية»، التي تتعرض للتهويد والنهب المنتظم منذ أكثر من أربعين عاماً من زمن التيه القومي العربي!

أما آنَ لهؤلاء أن يتواضعوا فيردّوا الأمانات إلى أهلها، ويتركوا القضية التي لم يكونوا أهلاً لحملها ولا لحلِّها؟ أم أن الأمة ستنتظر معهم ستين عاماً أخرى من المؤتمرات والقرارات والتوصيات التي تستجدي وتطالب العدو المحارب بالسلام «الاستراتيجي» وهو في قلب المعركة؟!



عدد سكان محافظات الضفة الغربية وقطاع غزة (العدد بالآلاف)



إدارة الصراع بين اليهود والمسلمين

د. سامي محمد صالح الدلال

في ١٥/٥/٢٠٠٨م يكون قد مر على إنشاء دولة الكيان اليهودي ستون عاماً، ففي ١٥/٥/١٩٤٨م أُعلن قيام تلك الدولة. وبما أن ذلك كان كأنه غرز جسم غريب في الجسد الإسلامي المترامي الأطراف، وبما أن الجسد يقاوم ويمانع أي جسم غريب ينغرس فيه؛ فإن المحصلة الطبيعية هي صراع محتدم ومثير سيحدث بين الجسم الغريب ليثبت وجوده ويؤكد انغراسه وبين الجسد الأصيل. وهذا الذي حصل؛ فإن الصراع بين دولة الكيان اليهودي وبين الأمة الإسلامية لا يزال متأججاً منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا.

إن فحوى الصراع تنحصر في إرادة دولة اليهود تثبيت وجودها وتوسيع كيانها، وإرادة المسلمين قمع هذا الوجود وإلغاء كيانه. وهذه الدراسة المقتضبة تلقي ضوءاً على كيفية إدارة الصراع بين الطرفين وتفاوت الإرادات الفاعلة بينهما، ثم تبين أوجه الاختلاف بينهما مع تلك الكيفية، ثم تخلُص إلى نتائج ودلائل وتوصيات بشأن الموضوع المطروح.

إن التكييف العام لهذا الصراع قد ورد في آيات من سورة الإسراء، حيث ورد في ثلاثة مواضع:

الأول: لبيان الارتباط الرسالي بين القدس (وهي منطلق المعراج وعاصمة فلسطين) وبين مكة (مهبط الوحي وأم القرى). قال - تعالى -: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

الثاني: لبيان علو بني إسرائيل في الأرض وإفسادهم فيها ثم هزيمتهم واندحارهم في نهاية كل صراع. قال - تعالى -: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ④ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ⑤ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ⑥ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ⑦ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ⑧ ﴾ [الإسراء: ٤ - ٨].

الثالث: لبيان ارتباط نهاية الصراع مع قرب الآخرة بعد أن يتجمعوا من أنحاء الأرض. قال - تعالى -: ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء: ١٠٤]. قال الزجَّاج: اللفيف: الجماعات من قبائل شتى[١]. وقال الشيخ الدكتور محمد سليمان الأشقر في «زبدة التفسير»: «أي: الدار الآخرة وهو القيامة، أو الكرّة الآخرة التي ذكرت في أول السورة»[٢].

إن مساحات الصراع مع اليهود المغتصبين لفلسطين كثيرة ومتداخلة ومتسعة، فهي شاملة لمجالات الحياة كلها، وعلى البسيطة كلها، ومن ثم فإن هذا الصراع يأخذ أشكالاً شتى، ليشتد في بعضها ويتراخى في بعضها الآخر، وتتغير ألوانه وطبيعته في بعضها الثالث.

ولنلق الآن ضوءاً على إدارة هذا الصراع من قبل المتصارعين الرئيسين، اليهود والمسلمين (ولا سيما العرب والفلسطينيين).

(١) عبد الرحمن ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ٥/٩٥.
(٢) الشيخ الدكتور محمد سليمان الأشقر، زبدة التفسير، ص ٣٧٩.

اليهود وإدارة الصراع:

من خلال الاستقراء، فإننا نستطيع أن نبين إدارة اليهود لصراعهم مع العرب والمسلمين ضمن عدة محاور رئيسة، من أبرزها:

١ - **الجانب العقدي:** إذ يركز اليهود على عدِّ الانتماء العقدي اليهودي هو القاعدة في تحريك الباعث الذاتي للتوجه إلى فلسطين، وهي الأرض التي وعدهم الله أن يرثوها بزعمهم، ويدّعون أن ذلك مذكور في مواطن عديدة في توراتهم المحرفة. ويعدّون كل من وُلد من أم يهودية يهودياً، بغض النظر عن جنسيته الأصلية. ومن منطلق المرتكز العقدي؛ فإن بغضهم للمسلمين وعداوتهم لهم هي في صميم أفئدتهم. قال - تعالى -: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة: ٨٢]، ولذلك فإن إدارتهم للصراع ليس ظاهرة سطحية متعلقة بمجرد المصلحة، بل هي منبثقة من مكنون قلبي منطوٍ على شر مستطير. ولتأكيد الهوية العقدية اليهودية؛ فإن دولة الكيان اليهودي قامت بعبرنة كافة العلوم (أي: كتابتها باللغة العبرية)، وعدّت العبرية هي اللغة الأساسية في جميع مراحل التعليم بما فيها الجامعات والدراسات العليا.

٢ - **تأكيد تميزهم الاستعلائي على البشر كافة:** فهم أصحاب السيادة الإنسانية، وما خُلق سواهم من الناس إلا لخدمتهم والقيام بواجب إظهار العبودية المطلقة لهم، وما ذلك إلا لأن الله اصطفاهم على العالمين بحسب دعاويهم الباطلة، وأنهم قد استحقوا عند الله - تعالى - أن يكونوا شعبه المختار، فلا ينافسهم في هذه المكانة أحد، والذين لا يعترفون لهم بهذا الحق ولا يؤدون لهم هذا الواجب يستحقون التعذيب والإذلال والإهانة، بل القتل أيضاً. وهذا يفسر لنا الإجرام الوحشي الذي يقوم به اليهود ضد الفلسطينيين في الأرض المحتلة، وكذلك يفسر لنا استحواذهم على أموال الناس في أية أرض حلّوا بها؛ إذ إن تلك الأموال ينبغي ألا تتوزع بين أولئك العبيد من البشر، بل لا بد من استجماعهم لها في نهاية المطاف في خزائنهم. وقد فطنت شعوب الأرض لهذه الخاصية المستقذرة لدى اليهود، فنبذوهم وكرهوهم وأصبحوا محل الخيفة والتوجس لما عُلِم منهم من الغدر والكذب والأنانية واحتقار الآخرين وحب التسلط عليهم.

وقد عم إفسادهم روسيا وأوروبا والولايات المتحدة وكثيراً من الدول، وهم يسعون إلى تعميم نشر ذلك الإفساد في كل الأرض؛ لإضعاف الأمم وإبقاء التميز والعلو اليهودي، ويشمل ذلك الإعلام والتعليم والمرأة والاجتماع والثقافة والاقتصاد، (وبخاصة تعاطي الربا؛ من خلال البنوك والشركات والاستثمارات والبورصات). وهم شديدو الطمع والحرص على الدنيا، كما قال - تعالى - في وصفهم: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ [البقرة: ٩٦]، ولذلك فإنهم أسسوا الشركات العظمى للاستحواذ على الثروات في البلاد العربية والإسلامية، وبخاصة البترول والغاز.

٣ - **لا يزال اليهود يستحضرون التاريخ في صراعهم مع المسلمين:** فلا يكاد يغيب عن عقولهم وقلوبهم معارك الإسلام الأولى التي كانت تحت قيادة النبي محمد ﷺ في أرض الجزيرة العربية، تلك المعارك التي سقاهم الله فيها كؤوس الهزيمة مترعة في غزوات بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة وفي خيبر. وكذا وصية النبي ﷺ بإخراجهم من الجزيرة العربية كلها، التي حققها عمر - رضي الله تعالى عنه - إبّان خلافته. إن هناك شعوراً بالثأر يتأجج في صدور اليهود لا يزال يستعر وقوداً لهذا الصراع.

٤ - **أن استيلاء اليهود على فلسطين جاء من خلال تخطيط محكم وعمل دؤوب وتضحيات مالية ونفسية وإعدادات شتى على مستويات دولية، ولم يكن مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧م إلا نقطة البداية في ذلك العمل المنظم.**

لقد خاض اليهود صراعاً مريراً مع الدولة العثمانية - ممثلة في السلطان عبد الحميد - ليحصلوا على موقع قدم لهم في فلسطين فلم يفلحوا في ذلك، فأججوا الحرب العالمية الأولى التي كانت نتيجتها بداية نهاية الخلافة الإسلامية؛ التي أُعلِن سقوطها رسمياً في ٣ آذار عام ١٩٢٤م على يد مصطفى أتاتورك (من يهود الدونمة)، ثم خاضوا صراعاً في داخل فلسطين تحت غطاء وعد بلفور ١٩١٧م أثمر تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م ثم قيام دولتهم ١٩٤٨م، بدعم دولي عالمي من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وأوروبا.

نخلص من ذلك إلى أن اليهود امتلكوا زخم الصراع واندفعوا في مساربه بشكل واسع وكبير، في حين لم يستشعر العرب هذا الصراع إلا بعد قيام الدولة اليهودية، باستثناء بعض المناوشات والتقاتلات التي كانت بين عرب فلسطين واليهود، التي من أبرزها: تلك التي كان يقودها الشيخ عز الدين القسام؛ الذي استُشهد خلالها.

٥ - **أن اليهود يؤسسون دولتهم على أساس أن صراعهم مع المسلمين صراع بقاء أو فناء،** ولذلك فإن الإعداد النفسي

الذي يغرسونه في قلوب أبنائهم ينبني على أن الدولة اليهودية لا تحتمل هزيمة شاملة واحدة، بل ولا هزيمة محدودة، فهم يريدون استفراغ الجهد الممكن دفعه إلى ساحة الصراع من كل يهودي، سواء كان رجلاً أو امرأة، بل حتى طفلاً.

إن الشحن النفسي المستمر وإشعار يهود فلسطين كافة أنهم في خطر وأنهم مهددون بالاستئصال، وأن عدوهم يريد إبادتهم أو قذفهم في البحر؛ يُعدّ محركاً فاعلاً إيجابياً بالنسبة للحكومة اليهودية تستغله بفاعلية لتحقيق أهدافها الآنية أو الاستراتيجية. وإن فشل دولة الكيان اليهودي في تحقيق نصر ناجز في حربها على لبنان عام ٢٠٠٦م؛ قد أحدث فيها زلزالاً شديداً، وهي تستعد الآن لتعويض ما فاتها من تلك الحرب بما يعيد لها توازنها النفسي وهيبتها المهدرة. كما أن الأعمال الاستشهادية وصواريخ القسام قد أسهمت بدور فاعل في إيغار الاضطراب النفسي وتعميقه في قلوب اليهود، غير أنهم ما فتئوا يستغلون ذلك أمام العالم ليظهروا أمامه كالمعتدَى عليهم. ولذلك فإنهم يرفعون شعارات الدعوة إلى السلام. وهم فعلاً يريدون توقيع اتفاقيات سلام مع الدول العربية والإسلامية كافة إن أمكنهم ذلك؛ بغية الحفاظ على وجودهم، ولكن في كل الأحوال؛ فإن نظرتهم إلى السلام ليست استراتيجية؛ لأن ذلك يعوق توسُّعهم، بل هي تكتيكية ريثما يكتسبون المزيد من القوة والتمكّن.

٦ - **حددت دولة الكيان اليهودي عدوها الأساسي بأنهم المسلمون كافة:** أي جميع الدول الإسلامية؛ ليس حكوماتها فقط بل شعوبها أيضاً. ولهذا فقد سعت لأن تحوز التفوق الاستراتيجي على هذه الدول مجتمعة وفي المجالات كافة. وقد دلت الإحصاءات الرقمية أن هذه الدولة قد حققت ذلك واقعياً، سواء على المستوى العسكري أو الاقتصادي أو التقني أو الإداري أو غير ذلك من مرافق تكوين الدولة. وقد أصبحت دولة الكيان اليهودي من الدول المصدِّرة للسلاح ذي التقنية العالية والفاعلية المتميزة، ولها تفوق مشهود في كثير من المجالات العلمية؛ كالطب، والهندسة، والعلوم الذرية، وعلوم الفضاء، والزراعة، والصناعة، وتعد جامعاتها من الجامعات المتقدمة على مستوى العالم. وبالمقابل، فإنها أيضاً تبذل جهوداً مضنية لمحاربة التقدم في هذه المجالات في العالم الإسلامي، حتى إن كان ذلك باغتيال الفعاليات العلمية الإسلامية؛ فإنها لا تتوانى عن فعله، وقد ثبت أن الموساد هو الذي قام بتصفية عدد كبير من العلماء المسلمين؛ كعالم الذرة المصري يحيى المشد، وآلاف من علماء العراق، وأكثرهم ممن حازوا على درجة أستاذ (بروفيسور)، ويدرسون في مختلف الجامعات العراقية في بغداد والموصل والبصرة وغيرها.

٧ - **في خضم الصراع، وضعت دولة الكيان اليهودي لها هدفاً استراتيجياً؛ وهو هدم المسجد الأقصى وتشييد الهيكل على أنقاضه**، وقامت بالحفريات اللازمة تحت أساساته، وباتت تنتظر اللحظة الحاسمة للتنفيذ، ولا يُستبعد أن يستغل اليهود حرباً متوقعة في المنطقة لتحقيق هذا المأرب؛ إذ سيكون الجميع منشغلين في تلك الحرب، ومن ثم سيكون هدم المسجد الأقصى مجرد تحصيل حاصل، ولن تقوم أي جهة بتهديد اليهود بشن حرب عليهم لهدمهم المسجد؛ إذ إن الحرب قائمة فعلاً.

٨ - **لقد فتحت دولة الكيان اليهودي باباً واسعاً للصراع،** فهي إلى الآن لم تحدد لنفسها حدوداً جغرافية، ولم تعترف بدولة فلسطينية، وتقوم مخططاتها الفعلية على مبدأ: «حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل» وهي اللوحة المعلقة على مدخل الكنيست. وبناء على ذلك؛ فإن جميع الإعدادات في داخل تلك الدولة مبرمجة على السير وفق ذلك الاتجاه التوسعي االذي سيستغرق زمناً طويلاً، حيث إنه ليس سبيلاً سالكاً، بل فيه موانع ومصادٌّ على المستويات العسكرية والاقتصادية والسياسية لا بد من إزالتها سلماً أو حرباً.

٩ - **يتطلب الصراع لأجل البقاء ثم لأجل التوسع؛ استقدام أكبر عدد ممكن من المهاجرين اليهود المنتشرين في أرجاء المعمورة.**

وتبذل القوى اليهودية الصهيونية جهوداً خارقة لإغراء هؤلاء اليهود بالهجرة إلى فلسطين تحقيقاً لموعود التوراة بزعمهم. ولأجل استيعاب هؤلاء المهاجرين؛ تقوم دولة الكيان اليهودي بالتوسع في بناء المستوطنات، وبخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وترمي حكومتهم من ذلك إلى تحقيق هدفين: **الأول:** موازنة العدد السكاني في الضفة الغربية بما يعادل أو يقترب من عدد المسلمين فيها. **الثاني:** جعل استرداد الفلسطينيين للضفة الغربية والتفرد بحكمها؛ أمراً مستحيلاً بحكم وجود الأعداد الكبيرة من المستوطنات والمستوطنين فيها. ومن هذا المنطلق؛ فإن حق عودة اللاجئين إلى فلسطين يعد عند دولة الكيان اليهودي مرفوضاً بالكلية، ولا تقبل إدراجه على مائدة أي مفاوضات مستقبلية، بل تطرح بديلاً له وهو زعزعة توطين اللاجئين؛ خشية أن يكون استقرارهم سبباً

لالتقاط أنفاسهم؛ فيخططون للعودة من جهة، ويدعمون أهلهم في الأرض المحتلة مادياً من جهة أخرى. وضمن هذه المعادلة؛ فإن دولة الكيان اليهودي تنشئ الحروب في أماكن وجود الفلسطينيين ليواصلوا حمل عصا الترحال عبر عقود الزمان، وهذا ما حصل لهم في لبنان من خلال الحرب الأهلية، ثم في الكويت بعد أن غزاها بعثيّو العراق، وكذا ما حصل لهم في العراق بعد الغزو الأمريكي، وربما رُحّلوا بقرارات سياسية كما حصل لهم في ليبيا. وفي كل ذلك أشغلوهم بأنفسهم بدل أن يتفرغوا لدعم أهليهم في الأراضي المحتلة، أو يستغلوا هجرتهم لإعداد أنفسهم عملياً وعلمياً ليكونوا روافد دعم للجهاد ضد اليهود ومكافحة احتلالهم.

١٠ - **يعُد اليهود إضعافَ العرب والمسلمين من أهم عناصر كسب الصراع لصالحهم**، ومن أبرز معالم ذلك ما يلي:

- إبعادهم عن عقيدتهم الإسلامية، وذلك من خلال نشر الأفكار العلمانية والمبادئ الشيوعية والوجودية والديمقراطية والاشتراكية والحداثية وغيرها.
- إنشاء أحزاب وجماعات وإعداد شخصيات ومؤسسات؛ تتبنى تلك الأفكار والمبادئ الهدامة وتدعمها وتنشرها.
- نزع الحجاب عن المرأة المسلمة واضطرارها إلى الخروج عن مهمتها التربوية إلى أسواق كسب العيش، بما أدى إلى انتشار الاختلاط بشكل واسع جداً وأصبح غير مسيطر عليه، مع ما يتبع ذلك من علاقات مردودة أو محرمة أو مشبوهة، قادت في مجملها إلى خراب كثير من البيوت المستقرة وتفتيت وحدتها وتشتيت شملها وتفريق اجتماعها.
- نشر ألوان الفساد الخُلقي والإباحي بين صفوف المسلمين.
- نشر البنوك الربوية التي إن دخلت بلداً أتلفته ومزقت بنيانه وهدت كيانه.
- تفريق المسلمين وغرز الأسافين بينهم ودس عوامل التفتيت في صفوفهم، من خلال إبراز الانتماءات الوطنية والحزبية والطائفية والعرقية والقبلية، والنفخ في كيرها حتى تتأجج ويضطرم أوارها، كما حصل في لبنان، وكما يحصل الآن في العراق وفي بعض دول المنطقة.
- نشر الثقافة الهابطة والأدبيات الساقطة، ودس السم في تاريخ المسلمين الناصع من خلال استغلال كتابات المستشرقين والمستأجرين.
- دعم مؤسسات العولمة، وترويج منتجاتها السلبية في صفوف الأمة الإسلامية بغية السيطرة على عقولهم وقلوبهم، مع محاولة حجب المسلمين عن الاستفادة من المنتجات الإيجابية لها، وبخاصة في مجالات العلوم والتقنية والإدارة.
- دعم كافة الجهات التي تتبنى الحكم بغير ما أنزل الله وتحارب تطبيق التشريع الإسلامي في حياة الناس، سواء كانت تلك الجهات دولاً أو مؤسسات أو جمعيات أو هيئات أو أشخاصاً.
- السيطرة على ثروات بلاد المسلمين من خلال الشركات العالمية. ونتج عن ذلك أمران: **الأول**: إفقار المسلمين وتأخير إنجاز مشروعاتهم التنموية بما يؤدي إلى الجهل والجريمة. **الثاني**: الاستفادة من أموال المسلمين لتحقيق المشروعات اليهودية والصهيونية سواء كانت اقتصادية أو عسكرية أو تنموية.
- تأليب الحكومات على الحركات الإسلامية لشل فاعليتها وصرفها عن أهدافها، وللتضييق على أفرادها، ومصادرة ممتلكاتها، وفتح السجون لناشطيها.
- تشويه سمعة العرب والمسلمين والتركيز على وصمهم بالإرهاب وتعميم ذلك عالمياً.

١١ - **في صراعها العام مع المسلمين؛ لا تعتمد دولة الكيان اليهودي على قدراتها الخاصة فقط بل تعمل جاهدة على تجييش القوى المساندة لتتقوى بها وتتدرج بإمكاناتها.**

وفي هذا الإطار، تعقِد الاتفاقيات الاستراتيجية مع الدول الهامة في العالم، كالولايات المتحدة والمنظومة الأوروبية وتركيا والهند، وتمد جسور التعاون مع دول أخرى كالصين وروسيا. وقد كان للدعم العسكري الأمريكي المباشر في حرب ١٩٧٣م، الأثر البالغ في تغيير دفة الحرب لصالحها. وأيضاً فإنها لأجل ضمان مواقف تلك الدول معها في سَرَّائها وضَرَّائها؛ فإنها استطاعت أن تسيطر على مفاصل القرار في كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا. وقد كان لنفوذها القوي في زمن (غورباتشوف) الأثرُ الفاعل في تفكيك الاتحاد السوفييتي لصالح فتح بوابة الهجرة الجماعية اليهودية إلى الأراضي المحتلة، وبخاصة من أهل الخبرات والاختصاص.

١٢ - **استطاع اليهود أن يوجدوا شبكة اقتصادية هائلة** تتكون من: البنوك العالمية، والشركات الدولية، والمعامل، والمزارع، والاستثمارات المعلوماتية، والصناعات المنوعة، والمؤسسات التجارية، والبورصات القارِّيَّة، وسوى ذلك مما له علاقة بالمنتج الاقتصادي، ثم وظفوا هذه الشبكة الهائلة لصالح تحقيق مخططاتهم وبرامجهم. وتعد منظمة

«إيباك» من أشهر منظمات اللوبي اليهودي الأمريكي، وتضم حوالي ١٠٠ ألف عضو، ويقول عنها إيهود أولمرت رئيس وزراء دولة الكيان اليهودي: «الحمد لله أن لدينا إيباك!».

١٣ - استطاع اليهود أن ينقلوا الصراع من دائرته الإسلامية إلى دائرته العربية ثم إلى دائرته الفلسطينية، وتمكنوا من توقيع اتفاقات سلام مع مصر والأردن فأخرجتهما من دائرة الصراع، وحصلت على اعتراف عربي عامٍّ بها من خلال قرارات الجامعة العربية، وأصبح وجودها ليس محل نقاش أو جدل، بل غاية ما هناك هو المفاوضات بخصوص الرجوع إلى حدود ١٩٦٧م. وقد تمكن اليهود من إحكام السيطرة على الضفة الغربية وغزة من خلال اتفاقات أوسلو تحت مسمى الحكم الذاتي، وهم الآن يعرقلون أي توجه محلي أو إقليمي أو دولي لقيام دولة فلسطينية مستقلة على الأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧م، وقد فشلت جميع الجهود الدولية المناصرة لقيام هذه الدولة في حث دولة الكيان اليهودي على قبول ذلك. وفي الإطار العربي؛ فإن التطبيع الشامل هو غاية ما يعمل اليهود لأجله.

١٤ - يعُد اليهود مرحلةَ الصراع القادمة والهامة والفاصلة هي في الإجهاز على المنظمات الفلسطينية التي تهددها بالسلاح، وتُعدّ حماس في مقدمتها.

ولذلك؛ فإن محاصرة حماس والإجهاز عليها، سواء في غزة أو في الضفة الغربية، من أولى أولويات دولة الكيان اليهودي. وقد نجحت حماس من خلال العمليات الاستشهادية والصواريخ البدائية أن تقوّض نظرية الأمن اليهودي وتحدّ من الهجرة إليها، وتدفع بالهجرة المعاكسة إلى التفاقم، مما يترتب عليه إخلال ببرامجها التنموية ودق مسامير في نعش كيانها المسخ، بسبب ما يحدثه ذلك من انهيار نفسي، إضافة إلى الهروب من المستوطنات القديمة والمستحدثة ومن المدن المتاخمة للضفة الغربية وغزة.

إن الولايات المتحدة والدول الأوروبية تضع ثقلها كله في دعم الكيان اليهودي لتحقيق هدف القضاء على حماس، بل تدعم أيضاً السلطة الفلسطينية ممثلة في محمود عباس ومنظمة فتح لتحقيق هذه الغاية. والكلام في هذه المسألة له تفصيل ليس محله هذه الدراسة المقتضبة.

١٥ - يقتضي المشروع اليهودي الصهيوني إسقاط بعض الأنظمة التي تراها تشكل خطراً مستقبلياً عليها.

ولذا؛ فإن إسقاط نظام الحكم في العراق وكذلك نظام حكم طالبان؛ كان مطلباً يهودياً صرفاً. أما الدول المتاخمة لفلسطين؛ التي لم تنطلق منها طلقة واحدة في اتجاه اليهود؛ فإن حكومات اليهود لا تسعى لإسقاط أنظمتها، بل العكس. أما إيران فإن اليهود يرون أن مشروعها النووي يعد خطراً ماحقاً وحقيقياً، ولذلك فإن ضربها عسكرياً من قبل دولة الكيان اليهودي بمساعدة الولايات المتحدة ومساندتها أو انفراد الولايات المتحدة بذلك؛ أمر لا مفر منه. وقد يحدث ذلك في مدة قريبة لا تتجاوز نهاية هذا العام، والله - تعالى - أعلم. إن خوض الحروب يعد عند دولة الكيان اليهودي هدفاً بحد ذاته؛ وذلك لإبقاء حالة الجاهزية في صفوف الشعب اليهودي ناجزة؛ حيث إنه شعب مجيّش، يضم في صفوفه جميع الطاقات البشرية.

١٦ - يقوم اليهود بمد الجسور في إطار اتصالات سرية مع بعض الزعامات في البلاد الإسلامية والعربية، ومع العناصر الفعالة فيها في كافة المجالات: السياسية، والعلمية، والاقتصادية، والأدبية. ويقومون بنشر الجواسيس وجمع المعلومات المنوعة عن قدرات العالم الإسلامي وطاقاته، ويرمون من ذلك إلى وضع المخططات لإعاقة تقدمه وبث الفرقة والاختلاف بين مكوناته، وزرع عملاء لهم في مواقع صنع القرار؛ ليأمنوا على أنفسهم وعلى سلامة تنفيذ مخططاتهم.

١٧ - وظّف اليهود في صراعهم مع العرب والمسلمين دعوى (الهولوكوست)؛ ليستدرّوا العطف العالمي عليهم، وأنهم أمة مظلومة ويجب مساعدتهم والوقوف معهم؛ ليعوضوا ما نزل بهم من محرقة النازيين (بحسب زعمهم). وقد انطلت الخدعة على الغرب، فهبّوا لدعمهم والانتصار لهم ضد المسلمين بحجة تكفير ذنب (الهولوكوست).

١٨ - استعمل اليهود في صراعهم مع الفلسطينيين جميع أنواع الأسلحة الفتاكة، من: قاذفات، ودبابات، وصواريخ، وقنابل نابالم، وقنابل فراغية وعنقودية، وغازات سامة، ورصاص حي ومطاطي، وهدموا البيوت على أهلها، وجرفوا الأراضي، وأحرقوا المزارع والبساتين، وحاصروا المدن والقرى، وبنوا الجُدُر الضخمة والممتدة لتقسيم الضفة الغربية، وفتحوا السجون، واستخدموا أساليب التعذيب والقمع الوحشية، وأكثروا من المجازر، وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ فضلاً عن الشباب، واغتالوا المجاهدين أرضاً وجواً وبحراً، وقصفوا المدنيين والمستشفيات ومراكز الإيواء والمساجد، وسرقوا الأموال، ودمروا الممتلكات، وأفسدوا الحرث والنسل، وعاثوا

في الضفة الغربية وغزة فساداً، وشردوا الأهالي، وأجاعوا السكان، وأفزعوا الآمنين، ولم يتركوا وسيلة من وسائل الدمار والتدمير إلا استخدموها؛ كل ذلك لإخضاع الفلسطينيين وإجبارهم على الركوع والاستسلام، لكنهم فشلوا في كل ذلك بسبب الصمود والتحمُّل والصبر، والتضحية والاستبسال والبذل، والفداء، والتواصي والتكافل، والتعاضد والتعاون، وحسن التوكل على الله والأمل بنصره وتثبيته، وقد شمل ذلك معظم الفلسطينيين؛ وفي مقدمتهم المجاهدون في سبيل الله من أفراد حماس والجهاد الإسلامي وغيرهم ممن باعوا أنفسهم لله. ولا يزال اليهود يحاولون إخضاع الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة ولكن من دون جدوى، بل إن التمرد على غزوهم واحتلالهم يزداد اتساعاً ويتعمق تأثيراً.

١٩ - نجح اليهود في تأليب العالم على الإسلام، وبخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م؛ حيث استغلوه أيما استغلال بادعاء تبني المسلمين للإرهاب، وكان احتلال أفغانستان والعراق تعبيراً خطيراً عن هذا الاستغلال، وقد تشجعت جهات كثيرة - اليهود من ورائها - في إظهار حربها الضروس على الإسلام. وما الرسوم الدانماركية، والفيلم الهولندي، وآيات شيطانية، وغير ذلك كثير؛ إلا نتيجة مباشرة لذلك التأليب.

العرب والمسلمون وإدارة الصراع:

ابتداءً؛ فإني أتحفظ على استعمال كلمة الصراع من جانب العرب والمسلمين إزاء اليهود، ولكن سأستعمله مجازاً في محاولة مني لمقابلة استعمال المصطلح بين الطرفين (أي: العرب والمسلمون من جهة، واليهود من جهة ثانية):

باستثناء الموقف المعلن من إيران (وربما سراً خلاف ذلك) إزاء الكيان اليهودي؛ فإنه بإمكاننا استبعاد الدول الإسلامية كافة من مفهوم الصراع معه؛ إذ اكتفت معظم الدول الإسلامية بعدم إعلان اعترافها به ثم لم تحرك بعد ذلك ساكناً، ومثل ذلك يقال عن الدول العربية أيضاً.

يمكننا رصد وضع العرب والمسلمين إزاء االصراع مع اليهود ضمن النقاط الآتية:

١ - الاستبعاد الكلي للإسلام من الصراع واستبدال الشعارات القومية والوطنية به، وبهذا فقد العرب المكوِّنَ الأساسي والباعثَ العقدي من الصراع مع اليهود، مما أوجد وضعاً غير متكافئ في ميزان الثقل بين الطرفين لصالح اليهود الذين عدّوا المحورَ العقدي هو المحور الرئيس في صراعهم مع العرب والمسلمين. ولم يكن استبعاد العرب والمسلمين الإسلامَ فقط في صراعهم مع اليهود، بل استبعدوه كلياً في حركتهم الحضارية البائسة، وقد شمل ذلك مرافق الحياة كافة: التعليمية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والقانونية، وغيرها. وأدى ذلك إلى إفراغ ساحة الصراع من القوى العربية والإسلامية الفاعلة والمؤثرة وذلك لصالح ملئها بالقوى اليهودية الفاعلة والمؤثرة؛ وكذلك بأعوانهم وعملائهم، وحُكِمت البلاد الإسلامية بالقوانين الوضعية بديلاً من الشريعة الإسلامية، وحاربت الأنظمةُ الدعاةَ إلى الله محاربة شديدة يعلمها القاصي والداني، وكل ذلك أدى إلى إضعاف الدول الإسلامية وإخراجها من دائرة الصراع المؤثر والفاعل.

٢ - لم تسعَ الدول العربية والإسلامية إلى الاستفادة من ثرواتها لبناء قواها وتنمية قدراتها الذاتية، بل بقيت عبئاً على ما تتصدق به عليها الدول الغربية أو الشرقية من الأسلحة التي تجاوزتها التقنية وأصبحت من الفائض الذي ينبغي تصريفه؛ الذي يخضع هو أيضاً للابتزاز وللشروط القاهرة والمذلة، مع استغلال ذلك للسيطرة على التوجهات السياسية لتلك الدول والتحكم بها في مرافق أخرى؛ كالاقتصادية والإعلامية وسواها.

إن الاكتفاء التصنيعي العسكري الذاتي هو من أهم ما ينبغي توفره لدى الدول العربية والإسلامية؛ لتكون مؤهلة من هذا الوجه للنزول إلى حلبة الصراع مع اليهود. لقد نجحت باكستان في الجانب المختص بالقوى النووية، وهي الدولة الوحيدة من الدول الإسلامية التي أفلتت من الطوق الصليبي الذري، غير أن ذلك السلاح - إلى الآن - ليس موجهاً لاستخدامه في الصراع مع اليهود. ومع ذلك؛ فإن دولة الكيان اليهودي لن تتوانى عن ضربه وتدميره إذا سنحت لها الفرصة. وأما التوجه الإيراني لتسخير الذرة في المجال العسكري؛ فإنه سيكون مخترقاً للخط الأحمر اليهودي، ولذلك سيصار إلى ضربه، حتى إن أدى ذلك إلى قيام حرب في المنطقة.

٣ - من المؤسف القول: إن الدول العربية بمؤسساتها الرسمية وغير الرسمية تشعر بالضعف والدونية إزاء تفوق دولة الكيان عليها جميعاً! لم يأتِ هذا الشعور من فراغ، بل هو محصلة طبيعية لانشغال القائمين على أمور تلك الدول عن القيام بمسؤولياتهم والمهام المنوطة بهم واهتمامهم بتثبيت زعاماتهم وتنمية مواردهم الخاصة، وبث نفوذهم في الشرائح الفاعلة في المجتمع لتكون لهم الساعد الأيمن والرديف المعاون والمشجع. وكلٌّ يكسب ما عدا الشعوب؛ فإنها تخسر عزتها

وكرامتهـا وتحيا حياة الفقر والذل، فكيف لهذه الشـعوب أن تكون إيجابية العطاء في الصراع الشامل مع اليهود وأعوانهم وهم يصطفون طوابير طويلة لسـاعات عديدة للحصول على رغيف خبز؟!

٤ – من أهـم ما ينبغي توفره في الصراع مع اليهود وحدةُ الكلمة واجتمـاع الصفوف، وهـذا ما تفتقـده الدول العربية والإسـلامية، بل حالها على عكس ذلك، إذ سـريعاً ما تتبدى بينها العداوة وتشيع في صفوفها البغضاء، فتترامى الاتهامات عبر وسـائل الإعلام، مما يعكس ذلك على الشـعوب العربية والإسـلامية كراهية بعضها بعضاً، فيفتّ في عضدها ويبعثر قواها ويشتت شملها. لقد حاول العرب أن يوحدوا كلمتهم من خلال الجامعة العربية ومؤتمرات القمة، وحاول المسـلمون من خلال مؤتمر منظمة العالم الإسـلامي ولكن من دون جدوى، وقد اسـتغل اليهود هذه الفرقة بين العرب وكذا بين المسلمين أيما استغلال؛ فنفخوا في كيرها وزادوها استفحالاً واشتعالاً.

٥ – إن أبـرز ما اسـتثمرته دولة الكيـان اليهودي أنها اسـتطاعت أن تُخرج مصر والأردن من الصراع، وذلك بتوقيع اتفاقيات سـلام وتطبيع شـامل معهما. وقـد أخلّت هاتان الاتفاقيتان بميزان القوى المتصارعة لصالح اليهود.

ولا يزال اليهود يطمعون في مزيد من اتفاقيات السـلام؛ ليأمنوا على مسـتقبلهم، وليتفرغوا إلى بناء واقعهم وتطويره؛ ليحققوا مزيداً من الرفعة والعلو على العالمين العربي والإسلامي على سواء. لقد تمكن اليهود من استقطاب بعض القوى الفاعلة في البلاد العربية لصالح إقناع الشـعوب العربية والإسلامية بأهمية سـيادة السلام مع دولة الكيان اليهودي، وأن في ذلك تنمية للمنطقة العربية من خلال استثمار الطاقات والخبرات اليهوديـة. وقد كان ذلك بالفعل، فكم من الشـركات العربية والإسـلامية يعمل فيها يهود بجوازات أجنبية! بل إن منهم من وصل إلى سدة التدريس في بعض الجامعات العربية.

إن مـن أخطر الإفرازات لهذا التطبيع المعلن وغير المعلن، هو نشر الفساد في بلاد المسلمين، ولا سيما من خلال استغلال جسـد المرأة، وتشـييد المجمعات الكبيرة التي تضم كثيراً من السينمات والمسارح، والملاهي الليلية، وحانات الخمور، ومواقع العربدة. لقد تمكن اليهود من خلال هذه المسارب من اختراق المقاطعة العربية الاقتصادية للمنتجات اليهودية؛ بمجرد تغيير بعض أسماء الماركات وإعادة تصديرها من بلاد أخرى بدلاً من التصدير المباشر من دولة الكيان اليهودي.

٦ – لم يكتفِ بعض العرب بالتطبيع مع اليهود، بل أسهموا بشـكل فعال في إحكام الحصار على الفلسطينيين، فحجبوا عنهم الدعـم وتركوهم يلاقـون مصيرهم فـي صراع غير متكافـئ مع العدو اليهودي الصهيونـي. ومن المفارقات حقاً؛ أن تُستَغَل هذه القضية المصيرية الخطيرة للمتاجرة بشعاراتها لتأكيد الوطنية والدعاوى القومية! إن مشاهد استغاثة النساء الفلسـطينيات بالعرب وبزعمائهم التي تُعـرض يومياً على الفضائيات؛ لَتقطّع نياط كل قلب حي، ولسان حالها يقول:

لـقـد أسـمـعـتَ لـو نـاديـتَ حياً
ولـكـن لا حـيـاة لمـن تـنـادي

إن عَمُّوريةً واحدةً أشعلت حرباً ضروساً في عهد المعتصم، ولكن في زمـننا فإن مئات العموريات لم تسـتطع أن تشـعل حرباً واحدة.

٧ – لقد وقع عبء الصراع كله على الفلسطينيين فحسـب، فقاموا بانتفاضاتهم المتكررة؛ عُزّلاً من السلاح، أيديهم فارغة مـن المال، بطونهم خاوية من الطعام، أجسـادهـم ترتجف من البرد، أبدانهم تكسوها الثياب المهلّلة، لا يأمنون على أنفسهم ولا على نسـائهم ولا أبنائهم، بيوتهم مسـتباحة، شبابهم في المعتقـلات، الخوف يملأ قلوب الأمهـات والأطفال، وأوباش اليهود يقتحمون المنازل وينشـرون الرعب، وطائراتهم تواصل القصف بالصواريخ وتهدم المنازل على أصحابها، وهم في كل ذلك: صامدون، صابرون، مجاهدون، محتسبون.

ولكـن مع ذلك؛ فإن اليهود قد وجدوا لهم من بين صفوف هؤلاء أتباعاً تسـربلوا بالوطنية وتدثروا بمسـميات الكفاح والنضـال، وأضحوا منفّذيـن لخطط اليهـود ضد أهليهم ومواطنيهم. وإن خضوع السلطة الفلسطينية لابتزازات اليهود، ودورها الإجرامـي في محاولاتها لتصفيـة حماس والجهاد الإسـلامي؛ يصب في صالح العدو اليهودي بلا شـك، وقد تنبّه بعض الأفراد والقيادات من فتح والمنظمات الفلسـطينية الأخرى لهذه المواقف المشينة، فانشقوا عن جماعاتهم، وآثروا المحافظة على أن تلوث ثيابهم بوصمة العمالة والنذالة.

٨ – إن مـن الطامات الكبرى فـي الصراع مع اليهود؛ أن كثيراً من الدول العربية توطد أحسـن العلاقات، وتبرِم أكبر الصفقات، وتقدِّم أوثق التعهدات مـع الدول التي تتبنى دعم دولة الكيان اليهودي وتمدها بالعون المالي والعسكري وتزودها بالخبرات، وتوفِّر لها أدق المعلومات، وتكشف لها أخفى الأسرار المتعلقة بكل دولة من الدول العربية والإسلامية. ولا تتوانى تلك

الدول الداعمة للكيان اليهودي عن الكيد لهذه الدول التي تمد لها يد الصداقة، وتقدم لها التسهيلات العسكرية في برها ومياهها وأجوائها؛ بل تجعل من أراضيها مستودعات ومخازن وممرات لتلك القوات؛ لتتمكن من إحكام غزوها واحتلالها بعض البلاد العربية والإسلامية.

٩ - إن إرادة تحرير فلسطين غير موجودة في أنظمة الحكم في البلاد العربية والإسلامية. وبناء عليه؛ فإنه لا توجد لديهم أي استعدادات متعلقة بهذا الموضوع، وأقصى ما يصْبون إليه هو توفير قوى عسكرية تحُول بين دولة الكيان اليهودي وبين احتلال المزيد من الأراضي العربية. ولأجل تأمين بلادهم من ذلك؛ فإنهم يسارعون إلى توقيع اتفاقيات السلام مع ذلك الكيان، ومن لم يوقع بعد فإنه سيوقع فيما بعد. إن سبب تأخير ذلك هو أن الشعوب العربية والإسلامية غير مهيأة لهذه الخطوات الاستسلامية حالياً. وحالما تُروّض هذه الشعوب الترويض اللازم؛ فإن تلك التواقيع سرعان ما ستجد لها أوراقاً وثائقية كثيرة لتنطبع فوقها.

١٠ - تعتقد كثير من أنظمة الحكم العربية والإسلامية أن وضع الجهود في بوتقة إرادة تحرير فلسطين؛ يحمّلها عبئاً ثقيلاً، وأن ذلك سيكون على حساب اهتماماتها الداخلية وخططها التنموية (إن وجدت). ولذلك؛ فإن البلاد العربية والإسلامية كلٌّ منها منكفئ على نفسه؛ متقوقع على ذاته. إن بعض الدول تحمِّل الفلسطينيين منّة الدفاع عنهم وخوض الحروب لأجلهم، وواقع الحال أن جميع الحروب التي حصلت بين البلاد العربية ودولة الكيان اليهودي كانت للدفاع عن النفس لا أكثر، ولم يسجل التاريخ منذ عام ٤٨م أن دولة عربية شنّت حرباً على دولة الكيان اليهودي بغيةَ تحرير الأراضي الفلسطينية، ولا ننسى أبداً أن دولة الكيان اليهودي ما قامت إلا على أنقاض الشعار الشهير في حرب ٤٨: (ماكو أوامر). نعم! كان بالإمكان دحر اليهود في ذلك الوقت، ولكن (ماكو أوامر) بهذا الخصوص، فكان الاحتلال، وأعلنت الدولة، واعترف بها العالم بأسرع من هبة الريح.

١١ - أنزل العرب مصائبهم في استيلاء اليهود على فلسطين واحتلالها على الأمم المتحدة، وباتوا يتمرغون على أعتاب مجلس الأمن الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة، في الوقت الذي كانت دولة الكيان اليهودي تضرب بقراراته عرض الحائط، ولا يزال قرار (٢٤٢) الشهير محلَّ اختلاف على (أل) التعريف منذ أربعين عاماً. وفي السنوات الأخيرة، عجز هذا المجلس الكئيب عن إصدار مجرد إدانات، وليس قرارات، لما يقوم به اليهود من جرائم وحشية بحق الفلسطينيين، وللأسف لا يزال العرب يتعلقون بذيل عريته!

الفلسطينيون والصراع مع اليهود:

لم يكن للفلسطينيين أي دور مؤثر في الصراع مع اليهود منذ عام ١٩٤٨م إلى عام ١٩٦٥م. وفي ١٩٦٥/١/١م حدثت أول عملية عسكرية فلسطينية ضد اليهود. ثم جاءت حرب ١٩٦٧م ليفقد الفلسطينيون الضفة الغربية (التي كانت تحت الرعاية الأردنية) وغزة (التي كانت تحت الرعاية المصرية). ثم سجل الفلسطينيون أول حضور انتصاري في الصراع مع اليهود في معركة الكرامة التي تلت حرب ٦٧م.

لقد وافق مؤتمر القمة العربي في عام ١٩٦٣م على تكوين منظمة التحرير الفلسطينية، التي ضمت فيما بعد حوالي ١٣ منظمة فلسطينية، من أشهرها فتح والجبهة الشعبية، وكان كل منها رأس حربة لصالح أحد الأنظمة العربية ليكون لها موقع مؤثر في القرار الفسطيني. وقد تناحرت تلك المنظمات فيما بينها، ثم جاءت الحرب الأهلية في لبنان، وقُضي على بعض المخيمات الفلسطينية، وقُتل معظم من فيها، ومن أشهرها: مخيم تل الزعتر، ومخيم جسر الباشا. وتسلطت الكتائب (النصرانية) على مخيم (تل الزعتر) بتغطية من القوات اليهودية بزعامة شارون، فقضت على الآلاف من الفلسطينيين في مجازر وحشية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً. وفي أواخر الثمانينيات، بدأ ظهور (حماس) على السطح ممثّلة للتيار الإسلامي، وشيئاً فشيئاً بسطت نفوذها على الساحة الفلسطينية وازدادت جموع الفلسطينيين المنتسبين إليها. وفي بدايات القرن الحادي والعشرين، فازت بمعظم مقاعد المجالس البلدية، ثم فازت بعد ذلك بمعظم مقاعد المجلس التشريعي وكوّنت الحكومة؛ لأنها تمثل الأغلبية. لقد شقّت حماس طريقها في الشارع الفلسطيني شقاً، حيث اجتمعت على مناوأتها وصدِّ الناس عنها جميعُ المنظمات الفلسطينية الأخرى التي تمثل الخط القومي واليساري، ولكن من دون جدوى؛ حيث كان لحماس مركز الثقل في الانتفاضات الفلسطينية والعمليات الاستشهادية. لم تكن حماس، وكذلك منظمة الجهاد الإسلامي، محلَّ القبول من قِبَل الدول العربية، فضلاً عن دولة الكيان اليهودي والولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي. لقد كانت حماس محارَبة من جميع دول العالم من دون استثناء - ولا تزال كذلك - ما عدا إيران

وسورية؛ إذ لكل منهما حساباتها الخاصة في الاستفادة منها. ولما أصبح القضاء على حماس متعسـراً؛ لكونها تبوأت المقعد السيادي الأساسي وهو رئاسة الوزراء، وكذلك رئاسة المجلس التشريعي؛ كان لا بد من ممارسـة اللعبة الانقلابية المعروفة التي جُرِّبت بنجاح باهر في كثيـر من الدول العربية. وهكذا أُعِدَّ للانقلاب على حماس من خلال المؤسسـات العسـكرية التي تسيطر عليها فتح، ومن أبرزها: الأمن الوقائي الذي يقع تحت نفوذ دحلان. لكن سـرعان ما كُشفت مؤامرة الانقلاب، فسـارعت حماس لإجهاضه، فانقلب السـحر على الساحر، وسـيطرت حماس في غـزة على جميع الأجهـزة الحكومية والأمنيـة والعسـكريـة، وهنا قـررت دولـة الكيـان اليـهـودي - بمباركة من الولايات المتحدة ودعم غير معلن من بعض الدول العربية - محاصرةَ غزة، ثم شـرعت في الضغط على حماس مـن خلال قطع الكهرباء والماء، وباتت حماس عاجزة عن دفع رواتب الموظفين، فاسـتفحل الأمر. غير أن (حماساً) تمكنت من الصمود؛ فقررت دولة الكيان اليهودي التدخل العسـكري المباشر لإسـقاط حماس، فباشـرت عملياتها العسكرية في فبراير عام ٢٠٠٨م، وأغارت إغارات جوية همجية ووحشـية على الأهالي والممتلكات، ثم شـرعت في محاولة احتلال غزة، وبدأت بشـمال (جباليا)، لكنها تفاجأت ببسالة قوات حماس ومستوى تدريبها العالي، فلم تتمكن من إنجاز مهمتها، فأعلنت وقف العمليات العسكرية البرية، وانسحبت تجر أذيال الخيبة والهزيمـة. ولا تزال حماس تمثِّـل الرقم الصعب في الصراع الفلسـطيني اليهودي، وبخاصة بعد أن حازت على الالتفاف الشامل للشعب الفلسطيني حولها.

إن الوضع الحالي الفلسـطيني وضع متـأزم، ولم تقدم الأطراف المختلفة إلى الآن مشـروعاً واقعيـاً لفك الأزمة أو حلحلتها. إن السـلطة الفلسـطينية الحالية تتلقى دعماً من الحكومة اليهودية ومن الولايات المتحدة ومعظم الدول العربية، في حين تقف حماس وحدها.

إن على قيادة حماس أن تترسـم مواقف مشـابهة مرت على صراع المسلمين مع أعدائهم، ونحن ننصحهم بأن يلتزموا المعاني الأساسـية التي تليق بالمجاهدين، ومن أبرزها: التزام مقومات التوحيد، وتحقيق مقتضيات الولاء والبراء مع حسن التوكل على الله والالتجاء إليه، وأن يكونوا صريحين وواضحين في رفع راية الإسـلام، وأن يكونوا على مسـتوى المسـؤولية الشـرعية في هذه الأوقات الحرجة والدقيقة، وأن يستجمعوا الطاقات الفلسـطينية ويمدوا الجسور مع الجهات التي يمكن أن تدعمهم دعماً غير مشروط، وليعلموا أن الصبر والمصابرة وتقديم الخدمات للشـعب الفلسـطيني من الوسائل الناجعة للخروج من عنق الزجاجة.

إن على حماس أن تضع الخطط المناسـبة لإلحاق الضفة الغربية بغزة، وأن تكون السـلطة الفلسـطينية تحت أيديهم، وأن يسـعوا إلى تغيير لوائح منظمة التحرير الفلسطينية بما يتناسـب مع متطلبات الصراع مع اليهود من منطلق إسلامي وليس من منطلقـات وطنية وقومية، وأن يسـتمروا في رفع راية الجهاد وفي إجهاض نظرية الأمن اليهودي، وفي إشـاعة الخـوف والفزع بـين صـفوف اليـهود سـواء في المسـتوطنات أو في المدن، وألا يتنازلوا عن شبر واحد من فلسطين وبخاصة القدس؛ فـلا اعتراف بقرار مجلس الأمن (٢٤٢) ولا بتوابعه، وأن يكون مشروع التحرير الشامل هو المشروع المعلن.

إننا نعلم أن هذا الأمر سيستغرق زمناً طويلاً وربما عقوداً عديدة، ولكن هذه هي طبيعة الصراع؛ فأرض فلسـطين أرض وقفيـة لا يملك أحد التصرف بهـا أو التنازل عن أي ذرة من ترابها.

تفاوت معالم النظرة إلى الصراع:

بعد أن بيَّنا نظـرة الأطـراف المختلفة إلى الصراع؛ فإننا نسجل الملاحظ الآتية:

أ - **معالم النظرة اليهودية:**

تتسـم النظرة اليهودية إلـى الصراع بالسـمات العامة الآتية:

١ - عدّه صراع بقاء أو فناء، من منظور عقدي.

٢ - القدس هي العاصمة الأبدية لدولتهم.

٣ - الجدية في إدارته.

٤ - جمع المهاجرين وتوظيف يهود العالم في الصراع.

٥ - الاسـتيلاء على المفاصل المحلية والإقليمية والعالمية التي تحكم الصراع، ومن أبرزها: الأعوان، والاقتصاد، والقوة العسكرية.

٦ - توقيـع اتفاقات سـلام مرحلية مـع المحافظة على الإعداد المستمر للتوسع.

ب - **معالم النظرة العربية والإسلامية:**

تتسم النظرة العربية والإسلامية للصراع بالسمات الآتية:

١ - أن هذا الصرع عبء عليها.

٢ - أن المعنيين به هم الفلسطينيون.

٣ - أن الالتجـاء إلى الأمم المتحـدة ومجلس الأمن هو المخرج من ضغط الشعوب العربية والإسلامية عليها بخصوص القضية.

٤ - أن إصدار البيانات هو أقصى ما يمكن فعله.

٥ - أن دعم السـلطة الفلسـطينية مهم في هذه المرحلة لسحب البساط من تحت أقدام حماس.

٦ - أن أفضل شـيء للخروج مـن الصراع هو الاعتراف الكامل بدولة اليهود وتوقيع اتفاقيات سلام معها.

٧ - استمرار الاختلاف بين الدول العربية في أولويات تقديم صكوك الاستسلام العربي والإسلامي لليهود.

ج - سمات النظرة الفلسطينية للصراع:

١ - اختلاف الفلسطينيين على طريقة مجابهة اليهود.

٢ - اعتراف السلطة الفلسطينية بدولة الكيان اليهودي، ورفض حماس لذلك.

٣ - أن العالم متّحد على تصفية قضيتهم لصالح اليهود.

٤ - أن الصراع مع اليهود يمر عبر تضحيات جسيمة.

٥ - أن حسم الصراع سيستغرق أجيالاً.

٦ - ليس ثمة اتفاق على المنطلق العقدي في إدارة الصراع؛ حيث إن منظمة التحرير الفلسطينية منطلَقها علماني، بينْما حماس منطلقها إسلامي.

٧ - يسعى الفلسطينيون إلى توسيع دائرة الصراع للاستفادة من العمق العربي والإسلامي.

نتائج مهمة:

١ - أن اليهود ماضون في تنفيذ مخططاتهم.

٢ - أن العرب والمسلمين لم يرتقوا بعد إلى مجابهة الخطر اليهودي.

٣ - أن تحسس العرب لهذا الخطر ليس على درجة واحدة، بل هو متفاوت.

٤ - أن بعض الدول العربية والإسلامية تقدم دعماً حقيقياً لدولة الكيان اليهودي.

٥ - أن الشعوب العربية والإسلامية ترفض التطبيع مع اليهود، وأن ما تفعله حكوماتها لا يعبر عن إرادتها.

٦ - أن الأمم المتحدة ولا سيما مجلس الأمن، هي من أبرز الداعمين لدولة الكيان اليهودي.

٧ - أن اليهود يوسعون دائرة الصراع فيما هو لصالحهم ويضيقونها فيما هو لصالح الفلسطينيين.

٨ - لا يُحسم الصراع لصالح العرب والمسلمين والفلسطينيين؛ إلا بالعودة إلى الإسلام وعدِّه المنطلَق في الصراع.

توصيات:

١ - أنْ تُولي الجماعات الإسلامية اهتماماً خاصاً بقضية الصراع مع اليهود، وتجعله من أهم مباني التربية في داخل صفوفها.

٢ - أن تتحول قضية الصراع مع اليهود إلى قضية إسلامية وليس وطنية أو قومية، وهذا يعني توجيه وسائل الإعلام وغيرها بكافة الاختصاصات لبيان هذه القضية وخطورتها على مستقبل العرب والمسلمين.

٣ - أن تجتمع كلمة العرب والمسلمين على العودة إلى الإسلام حكماً وإلى الجهاد سبيلاً.

٤ - أن تكون الحرب مع اليهود شمولية في المجالات كافة، ولا سيما العسكرية والاقتصادية منها.

٥ - أن تكون قضيةُ تحرير فلسطين واسترجاع القدس والمسجد الأقصى من أولى مهمات التخطيط العربي والإسلامي.

٦ - أن تُدعم حماس لتتمكن من مواصلة الصمود والجهاد، وأن تُقطع الصلات مع العملاء في السلطة الفلسطينية.

٧ - أن تُنقِّح حماس منهجها من الناحية العقدية، وأن تتخلى عن المنهاج الديمقراطي لصالح المنهاج الإسلامي.

٨ - يُعد المنافقون من أخطر جنود العدو. لذا؛ ينبغي الاحتراس الشديد من كيدهم، وإيقاع أشد العقوبات بمن يثبت اتفاقه وصلاته مع العدو اليهودي الصهيوني.

٩ - إن اختراق نظرية الأمن اليهودي وإسقاط حوائطها وهدم جدرانها، سواء بالعمليات الاستشهادية أو بالصواريخ والقذائف وغيرها؛ تعد حجر الزاوية في تقويض البنيان اليهودي، فلا بد من توسيعها ومد نطاق تأثيرها، مع تحمُّل ردود الفعل اليهودية الصاخبة في هذا المجال. قال - تعالى -: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

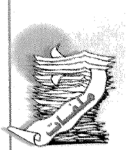
١٠ - لا بد لكل مسلم أن يقدِّم ويبذل ما يستطيع من مال وجهد لصالح هذه القضية الإسلامية، وألا يتوانى عن حثّ أبنائه على الجهاد في سبيل الله لتحرير الأرض المباركة.

وفي الختام: ما كان من حق فمن الله وحده لا شريك له، وما كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم.



(*) باستثناء القدس المحتلة.
(**) يعمل فيها ٣١٣,٥٠٦ فلسطيني.





جهود كان مصيرها الفشل

أكثر من ٥٠ مشروعاً لتوطين اللاجئين الفلسطينيين وخفايا غير مجهولة

إعداد: مكتب الجيل للصحافة في غزة

قضية اللاجئين الفلسطينيين وحق العودة هي حق أصيل ومكوِّن أساسي من مكونات السيادة الفلسطينية، فالقضية الفلسطينية برُمّتها قضية لاجئين، وإقامة الدولة الفلسطينية مع انتفاء حق اللاجئ في العودة يعني أن أكثر من نصف الشعب الفلسطيني لن يعود إلى أرضه.

مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين لم تتوقف يوماً؛ فمنذ اليوم الأول للنكبة وثمَّة قرارات تدور في الخفاء والعلن تلتفُّ على حق العودة، صاغت تلك المشاريع أياد كثيرة رأت في عودة اللاجئين خطراً حقيقياً يُهدد الوجود الصهيوني، وقد وصف أول وزير لخارجية الدولة الصهيونية (موشيه شاريت) طردَ السكان العرب من فلسطين بأنه «أهم حدث في التاريخ المعاصر لفلسطين وأكثر إثارة من إنشاء الدولة اليهودية».

على مدار الأعوام الستين الماضية ومشاريع التوطين تتوالى، فهناك أكثر من ٥٠ مشروعاً طُرح على طاولة البحث بأسماء وعناوين مختلفة كلها ضربت بعرض الحائط قرار الأمم المتحدة الذي ينصُّ على عودة اللاجئين إلى ديارهم.

أحدث مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين هو ما جرى كشفه مؤخراً من اجتماعات في السفارة الكندية في برلين حيث يجري وضع اللمسات الأخيرة على مشروع توطين اللاجئين في لبنان وسائر الدول العربية.

وقد كشف عن هذا المخطط معارض لبناني طلب عدم ذكر اسمه لوكالات الأنباء، مؤكداً استمرار الاجتماعات في مقر السفارة الكندية، وأن هذه الاجتماعات تجري برعاية أوروبية وأمريكية ومشاركة من بعض الدول العربية التي تتمثل فيها بمبعوثين وفعاليات سياسية ودبلوماسية على مستويات مختلفة، لافتاً إلى أن المشروع المعدّ لهذه الغاية بات جاهزاً.

• مشروع برلين:

ويتضمن المشروع حسبما جرى الكشف عنه عدة محطات مفصلية، أبرزها: تأمين الأرضية في الدول المعنية بالتوطين، وعلى رأسها لبنان التي باتت أرضاً خصبة لتمرير هذا المشروع، لا سيما بعد الشرذمة السياسية الضاغطة، وكذلك الانفلات السياسي والإعلامي والأمني، بما يمكّن الدول المخططة لهذا المشروع من تنفيذ كل ما تصبو إليه في

ظل فراغ سياسي ومعنوي لافت، وكذلك في ظل أزمة مالية متفاقمة، وهو ما يجعل من لبنان مفاوضاً ضعيفاً لا يملك أية ورقة سياسية أو اقتصادية تمكّنه من تحسين شروطه.

المشروع المعدّ لتوطين الفلسطينيين في لبنان سيجري تنفيذه على مراحل؛ فالمرحلة الأولى: تقضي بإحلال الفوضى المنظَّمة، ورفع نسبة الدَّيْن العام، بما يشكل أوراق ضغط على اللبنانيين، ويدفعهم إلى الانقسام حول الإبقاء على الدَّيْن العام أو خفضه في مقابل تقديم بعض التنازلات بهذا الخصوص.

وتبدأ الخطوة الثانية بإعطاء الفلسطينيين المقيمين في لبنان أوراقاً ثبوتية بمنزلة إقامة دائمة تعطيهم الحق بالعمل أسوة بالعمال الأجانب في مقابل إعفاءات ضريبية يدفعها العمال الأجانب في لبنان عادة.

وتتضمن هذه المرحلة أيضاً إعداد مجمعات سكنية مدنية بالكامل بإشراف السلطات اللبنانية وهو ما يمنع من تشكُّل أحزمة فقر وعصيان وما شابه ذلك من عوامل تؤدي إلى التسلُّح، ومن ثم تأمين المدارس والظروف الطبية الملائمة، وكل ذلك وَفْق شرعية حقوق الإنسان المعمول بها في دول العالم كافة.

وفي الخطوة الثالثة: يجري دمج الفلسطينيين بالمجتمع اللبناني من خلال حق الجنسية لمستحقيها ممن التزموا القوانين اللبنانية لعشر سنوات متتالية بما فيها قانون الضرائب، مع الإشارة إلى بعض التسهيلات بالنسبة إلى قانون الأحوال الشخصية على غرار السماح بالجنسية للولادات من أمهات لبنانيات.

مُراقبون رأوا أن استعداد بعض الأطراف الفلسطينية لتقديم تنازلات في ملف اللاجئين الفلسطينيين؛ دفع المتآمرين على القضية الفلسطينية إلى السعي للتفكير بتوطين اللاجئين.

• مشاريع دولية:

منذ احتلال الصهاينة لفلسطين عام ١٩٤٨م والمشاريع المطروحة لتوطين اللاجئين في الأماكن التي لجؤوا إليها لم تتوقف. بعض تلك المشاريع خلّفت وراءها الكثير من الجدل.

ولم تخرج مشاريع التوطين من الأروقة الدولية فحسب، بل خرجت أيضاً من المحافل العربية والفلسطينية بمساعدة صهيونية.

ومن أبرز مشاريع التوطين الدولية:

مشروع (ماك غي):

توجَّه مستشار وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط (ماك غي) إلى بيروت سنة ١٩٤٩م لشرح خطته التي تعدّ من أقدم المشاريع لتوطين الفلسطينيين في أماكن وجودهم، وهي الخطة التي طرحتها الولايات المتحدة الأمريكية من خلال لجنة التوفيق الدولية التي تأسست بموجب قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ لتوفير الحماية للاجئين الفلسطينيين، وتألَّفت من مندوبي الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا.

واستندت الخطة إلى إنشاء وكالة تتكون من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة تهتم بتقديم المساعدات الكفيلة بإنشاء مشاريع تنموية لاحتواء اللاجئين في الدول التي يمكنها القيام بذلك.

ونصت خطة (ماك غي) - بالإضافة إلى إعادة مائة ألف لاجئ إلى الأراضي المحتلة - على توطين باقي اللاجئين في عدد من البلدان.

وفي الوقت الذي أعلنت الولايات المتحدة استعدادها لتحمُّل التكلفة المالية؛ اشترطت الدولة الصهيونية في المقابل اعترافاً كاملاً بها من جهة، وإعادة توطين المائة ألف لاجئ حيث يتوافق ومصالحها من جهة أخرى.

بعثة (غوردن كلاب):

أرسلت الأمم المتحدة سنة ١٩٤٩م بعثة للأبحاث لدراسة الحالة الاقتصادية لعدد من البلدان العربية وقدرتها على استيعاب اللاجئين الفلسطينيين. وقدمت اللجنة - التي سُمِّيت باسم رئيسها غوردن كلاب - تقريرها للأمم المتحدة سنة ١٩٤٩م، حيث أوصت الجمعية العامة بإيجاد برنامج للأشغال العامة مثل: الري وبناء السدود وشق الطرق وحِرَف أخرى للاجئين.

وقد شرعت بتأسيس صندوق لدمجهم بكلفة وصلت إلى ٤٩ مليون دولار، تساهم فيها الولايات المتحدة بنسبة ٧٠٪ لإقامة مشاريع تنموية.

مشروع (جون بلاندفورد):

تقدَّم (جون بلاندفورد) المفوض العام السابق لوكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٥١م بمشروع من عدة جوانب، من بينها:

ما اقترحه ضمن تقريره حول تخصيص ميزانية قوامها ٢٥٠ مليون دولار لدمج اللاجئين في الدول العربية.

مشروع (إريك جونستون):

توجه (إريك جونستون) مبعوث الرئيس الأمريكي (أيزنهاور) إلى الشرق الأوسط في الفترة ما بين سنة ١٩٥٣م – ١٩٥٥م للقيام بمفاوضات بين الدول العربية والدولة الصهيونية.

وحمل معه مشروعاً لتوطين الفلسطينيين على الضفة الشرقية للأردن، أطلق عليه مشروع (الإنماء الموحد لموارد مياه نهر الأردن)، وينفَّذ على خمس مراحل تستغرق كل مرحلة سنتين أو ثلاثاً، وتخصيص مساحات كبيرة من الأراضي المرويَّة في الأردن للاجئين الفلسطينيين. إن مشروع (جونستون) هو استمرار لمشاريع سابقة تركِّز على التنمية الاقتصادية بوصفها مدخلاً للتوطين.

دراسة (سميث) و (بروتي):

أرسلت لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب الأمريكي بعثة استقصاء إلى الشرق الأوسط بداية سنة ١٩٥٤م، وأصدر عضوَا البعثة النائبان (سميث) و (بروتي) من ولاية (فيرمونت) تقريراً في أواخر شباط/فبراير ١٩٥٤م، يوصي بممارسة الضغط على الدول العربية لتفتح أبوابها أمام استيعاب اللاجئين.

وأرادت البعثة تحديد سقف زمني لوقف معونة الأمم المتحدة للاجئين، لتقوم الولايات المتحدة بتقديم المعونة إلى الدول التي توفر مساكن للاجئين وتمنحهم حق المواطنة.

وقد أوصت بعثة تالية سنة ١٩٥٥م الولايات المتحدة بتخفيف معاناة اللاجئين وتحمُّل مسؤولية إعادتهم إلى وطنهم أو توطينهم.

مشروع (جون فوستر دالاس):

ألقى وزير الخارجية الأمريكي (جون فوستر دالاس) إثر قيامه بجولة في الشرق الأوسط خطاباً سنة ١٩٥٥م، تطرَّق فيه إلى رؤية الإدارة الأمريكية إلى مستقبل التسوية في المنطقة.

وطرح قضية اللاجئين بوصفها إحدى أهم القضايا، مقترحاً إعادة بعضهم إلى فلسطين بشرط أن يكون ذلك ممكناً، وقيام الدولة الصهيونية بتعويض بعضهم الآخر، وتوطين العدد المتبقي في البلدان العربية في أراضٍ مستصلحة عن طريق مشاريع تموِّلها الولايات المتحدة. وقد لقي المشروع معارضة من دول عربية مثل: مصر وسورية.

مشروع (جون كينيدي):

ألقى الرئيس الأمريكي (جون كينيدي) خلال المؤتمر القومي للنصارى واليهود؛ خطاباً سنة ١٩٥٧م عكس بعض تصوراته للصراع العربي الصهيوني في الشرق الأوسط.

واقترح بشأن اللاجئين الفلسطينيين عودة من يرغب منهم في العودة ليعيش في ظل الحكومة الصهيونية باسم الصداقة الوفية، وتعويض من لا يرغب منهم في العودة، وتوطين اللاجئين الآخرين عبر القيام بمشروعات اقتصادية في المنطقة.

مشروع (داغ همرشولد):

قدَّم الأمين العام للأمم المتحدة (داغ همرشولد) ورقة إلى الجمعية العامة في دورتها الرابعة عشرة سنة ١٩٥٩م التي تحمل رقم أ/٤١٢١ تتضمن مقترحات بشأن استمرار الأمم المتحدة في مساعدة اللاجئين الفلسطينيين.

واقترح فيها توسيع برامج تأهيلهم وتعزيز قدراتهم على إعالة أنفسهم، والاستغناء عن المساعدات التي تقدمها إليهم وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، وتوطينهم في الأماكن التي يوجدون فيها، مع مناشدة الدول العربية المضيفة للاجئين للتعاون مع الوكالة الدولية.

مشروع (مارك بيرون):

طرح الدبلوماسي الكندي (مارك بيرون) سنة ١٩٩٣م لدى ترؤسه الاجتماع الخامس في تونس لمجموعة عمل اللاجئين؛ رؤية كندا لحلِّ أزمة اللاجئين في الشرق الأوسط عبر التوصل إلى ما سماه شرقَ أوسطٍ جديداً من دون لاجئين.

وذلك من خلال منح الهوية لمن لا هوية لهم، وتوطين الفلسطينيين في دول اللجوء الحالية بحيث يتمتعون بالحقوق الاقتصادية والمدنية كاملة.

رؤية (بيل كلينتون):

طرح الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلينتون) أواخر سنة ٢٠٠٠م فكرة توطين الفلسطينيين في الخارج في أماكن إقامتهم ضمن رؤيته لحلِّ هذه الإشكالية، في سياق حلول أخرى مثل:

- توطينهم في دولة فلسطينية جديدة.

- توطينهم في الأراضي التي ستُنقل من الاحتلال إلى الفلسطينيين.

- توطينهم في الدول المضيفة لهم.

- توطين قسم آخر في دولة ثالثة تقبل بذلك.

مشروع (إلينا روز لشتاين):

قدَّمت (إلينا روز لشتاين) عضو مجلس النواب الأمريكي ورئيسة اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط ووسط آسيا مع عدد من أعضاء مجلس النواب مشروعاً إلى الكونغرس سنة ٢٠٠٦م في محاولة لصناعة قرار يدعو الرئيس الأمريكي (جورج بوش) إلى مطالبة الدول العربية باستيعاب الفلسطينيين المقيمين على أرضها، وحلّ وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، ومعالجة قضايا اللاجئين الفلسطينيين بواسطة المفوضية العليا لشؤون اللاجئين.

• مشاريع صهيونية وعربية:

أما أبرز مشاريع التوطين الصهيونية والعربية فهي:

لجنة (ديفيد بن غوريون):

عيَّن رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق (ديفيد بن غوريون) لجنة في أغسطس/آب سنة ١٩٤٨م وكانت مهمتها منع عودة الفلسطينيين.

وكان من ضمن توصياتها في تقريرها الأول: توطين اللاجئين في البلدان المضيفة؛ كسورية والأردن، بمساعدة من الأمم المتحدة، ويفضَّل في العراق.

وقد اقترح (بن غوريون) ذلك أيضاً على (غي موليه) رئيس وزراء فرنسا الأسبق أثناء اجتماعه به سنة ١٩٥٦م.

مشروع (الجزيرة):

أعلن (حسني الزعيم) الذي قاد انقلاباً في سورية عام ١٩٤٩م قبولَه توطين ثلاثمائة ألف لاجئ في منطقة الجزيرة في شمال سورية.

وكان مشروع منطقة الجزيرة الذي اتفقت عليه وكالة الغوث الدولية مع الحكومة السورية سنة ١٩٥٢م بمنزلة حل اقتصادي لمسألة توطين الفلسطينيين الموجودين في تلك المنطقة.

وقد رفض (بن غوريون) هذا المشروع؛ لأن (حسني الزعيم) ربط ذلك بالمطالبة بتعويض اللاجئين وتقديم مساعدة لهم.

ويضاف إلى ذلك اتفاق آخر أُبرم بداية سنة ١٩٥٣م بين الولايات المتحدة وحكومة (أديب الشيشكلي) لتوطين الفلسطينيين في سورية.

وقد رصدت وكالة الغوث ميزانية للقيام بمشاريع تهدف إلى تأهيل الفلسطينيين الموجودين هناك، منها مشاريع زراعية.

لكنها توقفت عند المراحل الأولى؛ لكون الأرض التي وضعتها سورية تحت تصرف وكالة الغوث كانت غير قابلة للاستثمار، مع ارتفاع التكلفة.

مشروع (سيناء):

وافقت الحكومة المصرية على مشروع توطين قسم من لاجئي قطاع غزة في سيناء في الفترة بين ١٩٥١-١٩٥٣م، وعقدت اتفاقاً مع وكالة الغوث يمنحها إمكانية إجراء اختبارات على ٢٥٠ ألف فدان يقام عليها عدد من المشاريع.

وقد واجهت الحكومة المصرية مقاومة شعبية للمشروع، لتصدر بياناً سنة ١٩٥٣م تتراجع من خلاله عن موضوع التوطين، وعدَّت المشروع غير ذي جدوى. ويعدّ هذا المشروع من أهم المشاريع التي قدمت لتوطين اللاجئين الفلسطينيين من مدخل اقتصادي، وما زال هذا المشروع يعاد طرحه بين الفينة والأخرى، آخرها ما سُرِّب عن مشروع لتوطين مليون فلسطيني في صحراء سيناء.

مشروع (ليفي أشكول):

تقدَّم رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق (ليفي أشكول) في إحدى جلسات الكنيست سنة ١٩٦٥م بمشروع نصَّ على توجيه جزء من الموارد الكبيرة للمنطقة باتجاه إعادة توطين اللاجئين ودمجهم في بيئتهم الوطنية الطبيعية التي حصرها في الدول العربية، واستعداد الدولة الصهيونية للمساهمة المالية إلى جانب الدول الكبرى في عملية إعادة توطين اللاجئين بوصف ذلك حلاً مناسباً لهم وللدولة الصهيونية.

مشروع إيجال ألون:

طرح (إيجال ألون) وزير الخارجية في الحكومة الصهيونية مشروعاً متكاملاً للتسوية مع الأردن سنة ١٩٦٨م. وقال (ألون) في مشروعه: إن الدولة الصهيونية وحدها لا تستطيع حل المشكلة بأسرها، أو الجزء الأكبر منها؛ اقتصادياً وسياسياً وديموغرافياً.

والمشكلة كما يراها (ألون) تكمن في خانة تبادل السكان؛

فقد استوعبت الدولة الصهيونية اليهود، وتستطيع الدول العربية أن تستوعب اللاجئين العرب.

دراسة (شلومو غازيت):

أصدر مركز جافي للدراسات الإستراتيجية في جامعة تل أبيب سنة ١٩٩٤م دراسة لـ (شلومو غازيت) رئيس الاستخبارات الصهيونية الأسبق، بعنوان: «قضية اللاجئين الفلسطينيين.. قضايا الحل الدائم من منظور صهيوني».

وتناولت الدراسة حلَّ قضية اللاجئين من خلال عودة بعض لاجئي سنة ١٩٤٨م ونازحي سنة ١٩٦٧م إلى مناطق الحكم الذاتي وَفْقاً للاتفاقيات الموقعة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الصهيونية، ويجري استيعاب الباقين في الدول العربية المضيفة.

ويضيف (غازيت): إنه يجب حل وكالة الغوث الدولية ونقل صلاحياتها إلى السلطة الفلسطينية والدول المضيفة.

أما في جانب التعويض المادي عن حق العودة؛ فقد قسمه إلى: تعويض جماعي لتطوير ودمج اللاجئين في أماكن إقامتهم، وتعويض شخصي يُصرَف للعائلات ويقدَّر بعشرة آلاف دولار للعائلة الواحدة؛ بصرف النظر عن قيمة الممتلكات المفقودة.

وثيقة (أبي مازن وبيلين):

جمعت مباحثاتٌ كلاً من رئيس السلطة الفلسطينية الحالي (محمود عباس) و (يوسي بيلين) وزير العدل في حكومة (إسحق رابين)، ووصفت هذه المباحثات بكونها غير رسمية، وعقدت عقب توقيع اتفاق أوسلو.

وكان يفترض أن يعلن عنها رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق (إسحق رابين) لاحقاً ضمن البرنامج الانتخابي لحزب العمل المقرر في الانتخابات التشريعية لسنة ١٩٩٦م، لكن حادث اغتيال (رابين) سنة ١٩٩٥م ساهم في بقاء الاتفاق قيد الكتمان.

وبالإضافة إلى التأكيد على مسألة الاعتراف المتبادل بين الدولتين، وعدّ مدينة القدس عاصمة للدولتين؛ تعترف الدولة الصهيونية بأن العودة حق مبدئي للفلسطينيين، بالإضافة إلى التعويض عن الخسائر الناتجة عن حربي ١٩٤٨م و١٩٦٧م؛ لكن بشرط اعتراف الجانب الفلسطيني بأن العودة كما نص عليها القرار ١٩٤ صارت أمراً غير عملي.

وكذلك تمت الإشارة إلى تشكيل لجنة دولية للإشراف على تأهيل اللاجئين وإدماجهم حيث يوجدون.

مشروع (يوسي بيلين) ووثيقة جنيف:

أعلن (يوسي بيلين) برفقة (ياسر عبد ربه) أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الحالي تصوراً للحل النهائي لإشكالية اللاجئين سنة ٢٠٠٣م؛ من خلال وثيقة جنيف التي اعتبر أنها ستكون مرجعاً مهماً للمفاوضين السياسيين حول الحل النهائي.

ومن ضمن ما تناولته الوثيقة أن تَحُلَّ هيئة دولية جديدة محلَّ وكالة غوث اللاجئين، وإعادة تأهيل واستيعاب اللاجئين في دول وأماكن إقامتهم، وتطوير أوضاعهم المعيشية وتذويبهم في الحياة اليومية للمجتمعات التي يعيشون فيها.

مشروع (سري نسيبة) و (عامي إيالون):

استضافت وزارة الخارجية اليونانية سنة ٢٠٠٢م مباحثات بين الجانب الفلسطيني ممثلاً بـ (سري نسيبة) مسؤول ملف القدس في منظمة التحرير الفلسطينية، ومن الجانب الصهيوني (عامي إيالون) الرئيس السابق لجهاز الأمن الداخلي في الدولة الصهيونية.

وحضرها إلى جانب هؤلاء مسؤول العلاقات الخارجية في الاتحاد الأوروبي (خافيير سولانا).

وأسفر اللقاء عن وثيقة حملت أسماء الحاضرين عرفت باسم وثيقة (نسيبة - إيالون). وأهم ما ورد فيها: إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح على أجزاء من الضفة وغزة، وإسقاط حق عودة اللاجئين وحقوقهم المترتبة على تهجيرهم، والبحث عن أماكن لإيواء اللاجئين بتوطينهم في مكان إقامتهم أو في بلد ثالث أو بعودة محدودة لمن يتاح لهم ذلك إلى الدولة الفلسطينية.

وثيقة (إكس آن بروفانس):

نشرت صحيفة (هآرتس) الصهيونية يوم ٢٤ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٧م وثيقة صهيونية فلسطينية تحت اسم (إكس آن بروفانس)، وتطرقت إلى عدد من القضايا المصيرية؛ كالوضع النهائي لمدينة القدس ومشكلة اللاجئين.

واقترحت حلاً لمشكلة عودة اللاجئين الفلسطينيين، يتمثل في إسقاط هذا الحق مقابل التعويض. وبحسب الوثيقة فإن تكلفة حل مسألة العودة تتراوح بين ٥٥ و٨٥ مليار دولار.

وذكرت (هآرتس) أن الوثيقة شاركت في صياغتها مجموعة فلسطينية، منها: صائب بامية المستشار الاقتصادي

للاتحاد العـام للصناعات الفلسـطينية، ووقَّع عليها كذلك القائم بأعمال رئيس الوزراء الصهيوني (حاييم رامون).

ومن بين ما تقترحــه الوثيقة: توطين عدد من اللاجئين في الأماكن التي يوجـدون فيها حالياً، مع تلقِّيهم تعويضات مالية.

• غير قانوني:

ومع بروز المشـاريع الرامية إلى إبقـاء هؤلاء المهجرين خارج فلسطين تعالت أصوات رجال القانون تؤكد على بُطلان أي مشروع من مشاريع التوطين.

وأكَّد (صلاح عامر) أسـتاذ القانون الدولي في جامعة القاهـرة أن قضية توطين اللاجئين الفلسـطينيين تصطدم بالقرار ١٩٤، وهو مرجعية أساسـية من مرجعيات القضية الفلسـطينية، وهو قرار صادر عن الجمعية العامة في الأمم المتحدة، يقرر حق الفلسـطينيين في العودة إلى ديارهم التي غادروها، وتعويضهم عما قاسوه.

وأكَّد أيضاً أن حق العودة بالنسـبة للفلسـطينيين حق ثابت يتعارض كليـاً مع محاولات توطين هؤلاء اللاجئين في بلدان خارج فلسـطين، فهؤلاء لهم حق ثابت في العودة إلى ممتلكاتهم وتعويضهم عن هذه الممتلكات.

وشـدَّد علـى أن الإعلان بقبـول توطـين اللاجئين الفلسـطينيين أو بعضـهم منـاقـض لمبدأ أساسـي من مبادئ القانـون الدولي المتعلق بحق العـودة، وهو حق غير قابل للتصرف، وأشـار إلى أن معنى حق غير قابل للتصرف أن القانـون الدولي يكفله، وأن أحداً لا يسـتطيع أن يتنازل عنه؛ لأن المجتمع الدولـي عليه أن يضمن هذا الحق ويعمل على ذلك.

• اللاجئون في عمليات التسوية:

منـذ أن انطلقت ما اصطلح عليه بـ «عملية السـلام» برزت أهمية قضـية اللاجـئين وموقـعها المحـوري الذي لا يمكن تجـاوزه من أجل الوصول إلى السـلام، خاصة أنهـا تمثل القضية الأهـم فـي ملـف الصراع العربي - الصهيوني بشـكل عام والصراع الفلسـطيني - الصهيوني بشكل خاص.

المشـاريع التي طرحـت لتصفية قضيـة اللاجئين كان مصيرهـا الفشـل، وقد لاقـت المصير نفسـه الجهود السياسـية التي بُذلت منذ انطلاقة عملية التسـوية في مدريد عام ١٩٩١م وصولاً إلى مفاوضات كامب ديفيد وطابا وما بينهما وبعدهما من مشاريع ومبادرات، وغنيٌّ عن القول: أنَّ فشل تلك الجهود والمقترحات يعود إلى سبب أساسي هو تعنُّـت الدولة الصهيونية وتجاهلها حقَّ اللاجئين في العودة، وتمسك اللاجئين بهذا الحق واستعدادهم للتضحية من أجله وَفْق ما تؤكده استطلاعات الرأي التي أظهرت أن ٩٥,٤٪ من اللاجئين مصرُّون على التمسك بحق العودة والتعويض، رغم استمرار رفض الدولة الصهيونية حقَّ اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم، واسـتمرار مطالبتها بإسـقاطه، وهي مدعومة بذلك من الإدارة الأمريكية، وهو الذي تجلَّى بأوضح صوره من خلال الضمانات التـي قدَّمها الرئيس الأمريكي (جورج بوش) لرئيس الحكومة الصهيونية السـابق (شارون) في ٢٠٠٤/٢/١٤م.

لذلك تسـعى الحكومات الصهيونية المتعاقبة إلى طيِّ صفحـة اللاجئين إلى الأبـد، وقد وصل الأمـر بحكومة (شـارون) إلى حدِّ المناداة العلنية بتنفيـذ عمليات توطين اللاجئـين حيث هم في أماكن اللجوء وبمسـاعدات دولية وعربية، وعُدَّ مؤتمر هرتسـيليا الخامس - الذي عقد بين ١٤- ١٦ كانـون الأول / ديسـمبر ٢٠٠٤م - ذروةَ الهجوم الصهيونـي علـى حق العـودة بمطالبة واضحـة بتوطين اللاجئين قبل حل القضية الفلسـطينية، وجعل ذلك شرطاً لإمكانية التوصل إلى تسـوية مع السلطة الفلسطينية، فقد قال (سيلفان شالوم) وزير الخارجية الصهيوني الأسبق في خطابـه أمام المؤتمر: إن «حجر الأسـاس المركزي في بناء الثقـة كان وما زال مطالبة الفلسـطينيين بـ (حق العودة) واسـتخدام (الإرهاب)؛ لذلك علينا أن نعمل من أجل إزالة حجر الأساس الكامن في ادِّعاءات العودة الفلسطينية، وإن الطريق للقيام بذلك هو بواسطة أقوال وأعمال فلسطينية، بـأن يقول الفلسـطينيون: إنهـم ينوون ترميـم مخيمات اللاجئين في الأماكن التي توجـد فيها اليوم، وعلى العالم أجمع أن يسـاهم في ذلك، فثمَّة فائـدة كبيرة في الجهود لترميم مخيمات اللاجئين؛ للفلسطينيين ولنا وللعالم». وأكد حقيقة الغاية الصهيونية من الحل الذي تسعى إلى تحقيقه بطـيِّ صفحة اللاجئين عبر قولـه: «إن ثمة حاجة إلى أن يقول الفلسـطينيون بوضوح: إن تطلعاتهم الوطنية لا تشمل عودة اللاجئين إلى تخوم الدولة الصهيونية».

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

• أوسلو واللاجئون:

من المعروف أن عملية التسوية التي انطلقت في مدريد عام ١٩٩١م أفضت إلى التوصل إلى ما عُرف بـ (اتفاق أوسلو) (إعلان المبادئ) الذي تم التوقيع عليه في البيت الأبيض في واشنطن في١٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣م، وقد ترك هذا الاتفاق القضايا المركزية - مثل: قضية اللاجئين - لما يسمى (مفاوضات الحل النهائي) والحل النهائي على الطريقة الصهيونية هو «توطين اللاجئين».

ولن تُتناول قضية اللاجئين إلا وفقاً لما جاء في القرار ٢٤٢ الصادر عن الأمم المتحدة والذي يتجاهل المرجعية القانونية الواضحة لحق العودة المتمثلة بالقرار ١٩٤، وقد اقتصر إعلان المبادئ الموقع بين الحكومة الصهيونية ومنظمة التحرير على الاتفاق بتأجيل مناقشة قضية اللاجئين إلى مفاوضات الحل النهائي التي انطلقت في بداية السنة الثالثة من المرحلة الانتقالية.

وَفْقاً لتلك الاتفاقات فقد جرت مناقشة قضية اللاجئين عبر مسارين، هما: مسار المفاوضات المتعددة (لجنة اللاجئين في المفاوضات المتعددة والتي ترأسها كندا). والمسار التفاوضي الثنائي بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني.

(المفاوضات المتعددة مجموعة عمل اللاجئين) التي بدأت أعمالها في أيار ١٩٩٢م؛ ركزت على المشاريع الإنسانية وتحسين الظروف المعيشية للاجئين، وتجاهلت القرار ١٩٤ بوصفه أساساً لحلِّ قضية اللاجئين، وقدمت لجنة اللاجئين نفسها عملياً بوصفها آلية لاجتماعات تنسيقية لأكثر من ٤٠ دولة تهدف إلى تحقيق أمور خدماتية بعيدة عن الجوهر السياسي لقضية اللاجئين، وتَمَثَّل ذلك في: تطوير البنية الاجتماعية والاقتصادية لتجمعات اللاجئين بالتعاون معهم ومع الدول المضيفة، ودعم حل سلمي عبر توفير مقومات التأهيل والتوطين حيثما يتفق عليه.

وكانت الريبة والشك من اتفاقية أوسلو كبيرين في أوساط اللاجئين الفلسطينيين، الذين رأوا فيها تنكُّراً جديداً لوضع نهاية عادلة لمشكلتهم، خاصة بعد وضعها في قائمة القضايا المؤجلة للحل الدائم، ورأوا كذلك أن الدولة الصهيونية تخلق وقائع جديدة على الأرض للحيلولة دون تنفيذ ما اتفق عليه في حدِّه الأدنى.

ومما زاد من ريبة اللاجئين وخوفهم هو الخطاب الفلسطيني الرسمي بعد اتفاقية أوسلو، وخاصة بعد عودة جزء من القيادة الفلسطينية وأنصارها من المنافي إلى جزء من أراضي قطاع غزة والضفة الغربية، حيث خلا الخطاب الرسمي الفلسطيني من أيِّ ذكر - لا بالتلميح ولا بالتصريح - لقضية اللاجئين الفلسطينيين، فاعتقد بعضهم أن هذه القضية لم تكن عفوية؛ فانتقدها بشدة.

ولعل ذلك ساهم في إيجاد قيادات للاجئين الفلسطينيين تنادي بأن يأخذ اللاجئون زمام قضيتهم بأيديهم، وأن يعملوا على إيجاد أطر خاصة بهم في الداخل والخارج، تعبِّر عن طموحهم وآمالهم وتمسكهم بحقهم الأبدي في العودة إلى ديارهم. لقد رأى اللاجئون بأمِّ أعينهم كيف أن مؤسسات منظمة التحرير تنهار الواحدة بعد الأخرى، وأن هناك بديلاً جاهزاً لهذه المؤسسات، ولم يعد مبرراً ذوبان مؤسسات المنظمة في السلطة الوطنية الناشئة، التي تقيدها اتفاقيات ظالمة، تخص جزءاً من الشعب الفلسطيني وليس كله.

• مفاوضات ثنائية:

أما على صعيد المفاوضات الثنائية فتجدر الإشارة إلى أنه قبل أن تبدأ المفاوضات الثنائية بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الصهيونية؛ توصلت الحكومة الأردنية والحكومة الصهيونية إلى اتفاق وادي عربة الذي نص في مادته الثامنة على أن التفاوض حول اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الأردن يجري بشكل ثنائي وبالاستناد إلى القانون الدولي، ولم يشر مطلقاً إلى القرار ١٩٤ وحق اللاجئين في العودة، مما يعني إخراج الكتلة الأكبر من اللاجئين - الذين يربو عددهم عن مليون وثمانمائة ألف لاجئ تقريباً - من دائرة التفاوض بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الصهيونية.

وعلى الصعيد الثنائي بين الطرفين: الفلسطيني والصهيوني، بدأت المفاوضات في الثامن من تشرين الثاني لعام ١٩٩٩م؛ لمناقشة أكثر القضايا حساسية والمتمثلة في: القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين، وأية قضايا ذات اهتمام مشترك. وفي أول جلسة رسمية من هذه المفاوضات قدَّم الوفد الفلسطيني الذي كان يرأسه ياسر عبد ربه ورقة رسمية تطالب بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وتعويضهم طبقاً للقرار ١٩٤ وتحميل الدولة الصهيونية المسؤولية التاريخية والسياسية والأخلاقية والقانونية عن نشوء قضية اللاجئين، إلا أن الجانب الصهيوني الذي كان يرأسه (عوديد عيران) رفض هذه الورقة بشكل مطلق، وهو الأمر الذي أدى إلى فشل تلك الجولة وَفْق ما أشارت إليه

المواقف التي صدرت عقب ذلك من الطرفين.

وبعـد ذلك عُقدت عدة جـولات تفاوضية بدأت تتضح من خلالها معالم الحلول الصهيونية المطروحة لقضايا الحل النهائي، وتتمثل في مجملها فـي: تصفية قضية اللاجئين، وإلغـاء حق العـودة، والتركيز على التوطين، وفي أحســن الحـالات العودة إلى أراضـي الدولة الفلسـطينية وتحت إشـراف ورقابة صهيونية كاملة، وقد عبَّر حينها عن الموقف الصهيوني رئيس الحكومة (إيهـود باراك) آنذاك الذي بدأ لاءاته الخمسـة بـ (لا لعودة اللاجئين)، وتابع (باراك) قوله: على الفلسطينيين أن يتخلصوا من الأفكار التي تراودهم في مطالبة الدولة الصهيونية بتنفيذ القرار ١٩٤ على المسـاحة القليلة التي سـتبقى لها بعد تقديم التنازلات الإقليمية. كما أكد موقفه هذا بحرمان اللاجئين الفلسـطينيين من حقهم بالعودة مقابل حصولهم على تعويضات دولية، وأكد استعداد دولة الاحتلال لتحمُّل جزء من المسؤولية التاريخية في إطار المسـاهمة بالتعويضات، علاوة على إمكانيـة الموافقة على عودة اللاجئين إلى الأراضي الفلسـطينية التي ستقام عليها دولة فلسـطين. ولكن تجدر الإشارة إلى أن وزارة الخارجية الصهيونية اقترحـت حينذاك وضع القيود حتى على دخول اللاجئين إلى الأراضي الفلسطينية، وربطت ذلك بموافقتها وبقدرة السـلطة على الاسـتيعاب. كما تضمنت مقترحات الخارجيـة الصهيونية توطين أغلبيـة اللاجئين في الأردن وسـورية ولبنان وتشـكيل هيئة دولية لتعويـض اللاجئين وتأهيلهم في أماكن إقامتهم.

• كامب ديفيد:

وفي ظل التدهور السياسي والتفاوضي وفشل الطرفين في دفع عملية التسـوية إلى الأمام بعد أوسـلو ومباحثات طابا؛ نشط الجانب الأمريكي في نهاية عهد كلينتون لترسيخ تسوية سـلمية في منطقة الشرق الأوسط؛ وهو الأمر الذي أدَّى إلـى عقد لقاء كامب ديفيـد الثاني في ١١ – ٢٥ تموز عام ٢٠٠٠م، الذي جمع رئيس السـلطة الفلسطينية آنذاك ياسـر عرفات ورئيس الـوزراء الصهيونـي (إيهود باراك) بحضور الرئيـس الأمريكي (بيل كلينتـون)، وعقد الرئيس الأمريكي عدة لقاءات مع الجانب الفلسـطيني والصهيوني لوضع حل وسط يتوافق مع الطرفين، وكانت هذه المفاوضات معقدة نظـراً إلى التعنت الصهيوني الـذي كان يدور تحت سقف لاءات (باراك) التي تتحدث عن نفسها في عدم عودة دولة الاحتلال إلى حدود ١٩٦٧م وجمع المستوطنات في كتل كبيرة، وعدم السـماح بعودة اللاجئين، وعدم السماح بفرض سيادة على القدس الشرقية خلافاً للسيادة الصهيونية التي أقرَّتها الشرعية الدولية، وعدم التجاوب مع مقتضيات الحل النهائي. وفي ظل هـذه الأجواء التي تميزت بتباين المواقف وتباعدهـا بين الطرفين وفي ظـل التعنت الصهيوني وعدم قدرة رئيس السـلطة على التنازل أكثر؛ فشـلت مفاوضات كامب ديفيد، واندلعت انتفاضـة الأقصى الثانية وتدهورت الأوضاع السياسية والأمنية.

• مفاوضات طابا:

ولوضع حدٍّ لهذا التدهور والبحث عن مخرج لإحياء عملية التسوية؛ انطلقت جولة المفاوضات التي عقدت بين الطرفين في طابا في كانون الأول عام ٢٠٠١م، حيث تمت صياغة بيان يرفع عن كاهل «الاحتلال» المسـؤولية القانونية والأخلاقية والسلوكية في عمليات الإبادة الجماعية والتدمير والتطهير العرقي من خلال الجرائم التي شـنَّها ضد الفلسطينيين في إمعانه في سياسة القتل والتشريد «بالتعبير عن الأسف» بدل تحميله كامل المسؤولية عن ذلك، حيث إن اتفاق طابا شَرْعن وقنَّن قضية اللاجئين، على أن يتم تشكيل هيئة دولية لمتابعة هذه القضية، لتعرض على اللاجئ خمسة خيارات، هي:

- التوطين في مكان إقامته الحالي.
- الحصول على جنسية الدولة الموجود فيها.
- استيعابه في الدولة الفلسطينية المزمع إقامتها.
- الهجرة إلى خارج المنطقة.
- أو العـودة إلى داخل «الدولـة الصهيونية» من خلال قضايا لمِّ الشمل لأعداد محدودة.

وتكـون الهيئة الدوليـة معنية بجمع الأمـوال وإعطاء التعويضـات مقابل الأملاك غير المنقولة الشـخصية التي اغتصبت من اللاجئين.

وطالبـت دولة الاحتلال بوضع سـقف عام للتعويضات ليتحول إلى تسـوية دائمة، أي: أن يتحدد التعويض بشـكل فردي من دون سـقف، لإيجاد مشكلة بين اللاجئين والجهاز الإداري الذي سيسعى إلى خفض قيمة أملاكهم.

ولم تسـفر مفاوضات طابا عن أي نتائـج عملية؛ لأن الموقـف الصهيوني لم يخرج عن إطـاره التقليدي في عدم الاعتـراف بحق اللاجئين بالعودة إلـى ديارهم التي هجِّروا منها، وبذلك فشـلت في إيجاد حـل لهذه القضية التي تعد جوهر القضية الفلسـطينية، وإن أي حل لها لا بد أن يراعي مطلب اللاجئين في العودة إلى ديارهم لكونه خطاً أحمـر

لا يمكن لأحد ولا يحق له مهما علا شأنه أن يتنازل عنه أو يمسه بسوء.

• خريطة الطريق:

خريطة الطريق هي التي نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية في ٣٠ من نيسان/ إبريل ٢٠٠٣م والتي وافقت عليها السلطة الفلسطينية بوصفها قضية مؤجلة إلى المرحلة الثالثة، وبصيغة بعيدة كل البعد عن حق العودة، وتتجاهل القرار الدولي ١٩٤ بوصفه مرجعية للحل، وبقيت قضية اللاجئين موضوعاً تفاوضياً بين الدولة الصهيونية والدولة الفلسطينية وليس مع منظمة التحرير الفلسطينية، باتجاه البحث عن حلول التوطين والتهجير مقابل التعويض.

• تناغم لتصفية القضية:

المتتبِّع لمشاريع التسوية لتصفية اللاجئين يلاحظ تشكُّل محور دوليّ ائتلافي (أمريكي - أوروبي - عربي) يتناغم معه فريق فلسطيني يسعى إلى طرح مشاريع حلول وأوراق عمل، تمسُّ بشكل خطير مجمل الحقوق الوطنية الفلسطينية وبشكل خاص قضية اللاجئين الفلسطينيين وحقهم في العودة، حتى بات يدفع باتجاه إسقاط حق العودة، على الرغم من اعتراف هذه الأطراف بالقرار ١٩٤ بوصفه أساساً لحلِّ قضية اللاجئين، فإنها تلجأ إلى تأليف تفسير جديد لهذا القرار يتناقض مع تفسير الأمم المتحدة له، كما يتناقض مع مبادئ حقوق الإنسان، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، ويتبنّى ضمنياً الموقف الصهيوني الداعي إلى حل يحفظ للدولة الصهيونية هويتها بوصفها «دولة يهودية».

هذه الأطراف بدأت تعطي لحق العودة تفسيراً بديلاً يختصر هذا الحق «بالعودة إلى الدولة الفلسطينية»، والذي يعني عملياً توطين لاجئي الضفة والقطاع (قرابة مليون ونصف المليون لاجئ).

وتكمن الخطورة في هذا المنحى القائم على مقترحات (كلينتون) وتفاهمات طابا يناير ٢٠٠١م الداعية إلى عودة قسم من اللاجئين إلى الدولة وتوطين الباقي حيث هم أو في بلد ثالث؛ بوصف ذلك إطاراً لحلٍّ تجري محاولة فرضه من جانب الإدارة الأمريكية، بديلاً عن حق العودة إلى الديار الأصلية الذي يكفله القرار ١٩٤ بوصفه حقاً راسخاً تاريخياً وقانونياً وسياسياً.

الخطورة في هذه السياسة ليس لكونها تستجيب للموقف الصهيوني المعروف، بل في مجموعة من المواقف السياسية التي صدرت عن جهات فلسطينية رسمية وغير رسمية، ذات منحى تنازلي عن حق العودة.

وبعدها جاء البيان الفلسطيني في قمة العقبة عام ٢٠٠٣م التي جمعت رئيس السلطة محمود عباس - عندما كان رئيساً للوزراء - ورئيس الحكومة الصهيونية (أرئيل شارون) والرئيس الأمريكي (جورج بوش)، بالإضافة إلى العاهل الأردني عبد الله الثاني، وكان لافتاً خلوُّ البيان الذي تلاه عباس من أي ذكر لحق العودة والقرار ١٩٤، في الوقت الذي تضمَّن بيان الرئيس (بوش) كلاماً له دلالات خطيرة عندما تحدث عن الدولة الصهيونية بوصفها «دولة يهودية» انسجاماً مع التحفظات الصهيونية على خريطة الطريق، حيث تتجلى خطورة إعلان الرئيس (بوش) ليس من زاوية إغلاق الباب أمام عودة اللاجئين إلى ديارهم فحسب، بل يؤسس لإعفاء الدولة الصهيونية من مسؤوليتها الأخلاقية والتاريخية عن طرد الشعب الفلسطيني وعمليات التطهير العرقي التي ارتكبتها بوصفها جرائم يعاقب عليها القانون الدولي.

• مفاوضات الحل النهائي:

مع انطلاق مفاوضات الحل النهائي على المسار الفلسطيني - الصهيوني؛ تعود القضايا الأساسية لتصعد إلى سطح الاهتمامات المشتركة، مغادرةً دائرة التجاهل وعدم الاهتمام، لتذكِّر الأطراف أنه بدون حلِّها لن يكون هناك أي حل.

وهذه القضايا هي القدس واللاجئون ومن ثم حق العودة والمستوطنات والدولة الفلسطينية المستقلة ارتباطاً بحدود الانسحاب، وهي طبعاً القضايا الأكثر إستراتيجية والتي يرتكز أي سلام مستقر ودائم على مدى ما يتحقق من حلِّها.

بالنسبة للدولة الصهيونية فإنها قامت ومنذ البداية بإقصاء كلمة (العودة) من قاموسها - ما عدا - طبعاً - ما يخص القانون الملفَّق لعودة اليهود - ليحل مكانها مصطلح «الدمج والتوطين».

يرتكز الموقف الصهيوني من مسألة اللاجئين على أربعة عناصر شكلت ثوابت هذا الموقف منذ ١٩٤٨م:

العنصر الأول: أن قضية اللاجئين ليس لها أي شيء خاص، وهي نتيجة طبيعية للحرب.

العنصر الثاني: أن مشكلة اللاجئين هي من صنع العرب؛ لأنهم اعتدوا على (الدولة الصهيونية)، وهي ناتجة عن العمليات الحربية للجيوش عام ١٩٤٨م، ومن دعوة القيادات العربية السكانَ الفلسطينيين آنذاك إلى مغادرة قراهم لتسهيل تقدُّم القوات.

العنصر الثالث: أن العرب يتعمَّدون إدامة مشكلة اللاجئين ويستخدمون الفلسطينيين سلاحاً في صراعهم مع الدولة الصهيونية.

العنصر الرابع: أن اللاجئين هم من العرب، وأن العرب يملكون من الموارد ما يكفي لاستيعابهم وتوطينهم في بيئة مشابهة لبيئتهم الأصلية وفي إطار ثقافي اجتماعي مماثل.

و تتلخص الرؤية «الصهيونية» لحل قضية اللاجئين بالتالي:

- عدم عودة اللاجئين إلا لأعداد بسيطة من خلال لمِّ الشمل.
- توطين اللاجئين أو ترحيلهم.
- تعويض اللاجئين بمبالغ ضئيلة، ويموِّل هذا المشروع من قِبَل الدول الغربية ودول النفط العربي.

• موقف السلطة الفلسطينية:

الوصول عبر التفاوض إلى حلٍّ عادل ومتفق عليه لمشكلة اللاجئين؛ في إطار قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ لسنة ١٩٤٨م، وفي إطار المبادرة العربية التي أقرَّتها قمة بيروت عام ٢٠٠٢م، وخريطة الطريق التي أعلنها الرئيس (جورج بوش) عام ٢٠٠٢م.

ولم يوضح المفاوض الفلسطيني بدقة المقصود بعبارة (حل عادل ومتفق عليه)، ولم يستخدم مصطلح حق العودة أثناء حديثه عن قضايا الحل الدائم، ولم يوضح المكان الذي يمكن لهؤلاء اللاجئين العودة إليه داخل فلسطين، وما إذا كان سيشمل المدن والقرى التي هُجِّروا منها عامي ١٩٤٨م و١٩٦٧م بما فيها الجليل الغربي ويافا التي كانت ضمن حدود الدولة الفلسطينية وفقاً لقرار التقسيم عام ١٩٤٧م فضلاً عن القدس الشرقية التي كانت بحوزة الفلسطينيين والعرب حتى عام ١٩٦٧م، أم سيكتفي فقط بعودة اللاجئين إلى الأراضي التي ستسمح بها الدولة الصهيونية للسلطة الفلسطينية لإقامة الدولة عليها.

• خاتمة:

يتضح من خلال جولات المفاوضات أن الموقف الصهيوني حافظ على ثباته الرافض بحق الاعتراف بحق العودة ورفضه القرار ١٩٤، وفي المقابل كانت المطالب الفلسطينية تتراخى وتتنازل بالتدريج عن مواقفها.

وبينما لا تتوقف المساعي الدولية لإعادة اللاجئين العراقيين والأفغان، وإعادة لاجئي الشيشان وكوسوفو وتيمور وغيرها؛ تطبيقاً للقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية؛ يجري الامتناع في المقابل عن تطبيق القرارات الدولية ذات الصلة بالنسبة للاجئين الفلسطينيين وتأمين حقهم في العودة إلى ديارهم بوصفه حقاً راسخاً وثابتاً كفله القرار ١٩٤ الذي تعيد الجمعية العمومية للأمم المتحدة التصويت عليه سنوياً وجرى تأكيده في قراراتها أكثر من ١١٠ مرات حتى الآن، وهذا يعكس ازدواجية المعايير الأمريكية والانحياز السافر للإدارة الأمريكية إلى جانب الكيان الصهيوني وتشجيعها على التنكر للمجتمع الدولي وقراراته، وتأمين الغطاء والحماية لها بوصفها دولة فوق القانون.

لقد دلَّت التجربة الممتدة لأكثر من سبعة عشر عاماً من المفاوضات السياسية التي كانت تجري على أكثر من مستوى للبحث في حلٍّ لقضية اللاجئين الفلسطينيين؛ على أهمية هذه القضية وعدالتها. ولأن ما طرح من مشاريع لحلٍّ هذه القضية كان يتجاهل حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم؛ فقد آلت جميعها إلى الفشل الذريع.

تضحيات انتفاضة الحجارة

١٩٨٧/١٢/٨م - ١٩٩٤/٦/٣٠م

الشهداء	١٣٩٢*
الجرحى	١٣٠ ألفاً
المعتقلون	١٥ ألفاً
منازل مدمرة	١٢٢٨
أشجار مدمرة	١٤٠ ألفاً

(*) منهم ٢٤١ طفلاً.

محطات الانتفاضة الأولى

- انطلقت حماس بعد يومين من بدء انتفاضة الحجارة.
- تكونت كتائب عز الدين القسام عام ١٩٩٢م.
- أول عملية استشهادية كانت في مدينتي العفولة والخضيرة في ١٩٩٤/٤/٦م، قتل فيها ١٣ جندياً صهيونياً.
- اغتيل المهندس يحيى عياش رحمه الله في الخامس من ديسمبر عام ١٩٩٦م.

رسالة إلى حركة فتح

الشيخ أ. د. سعود الفنيسان(*)

إن الاهتمام بقضية فلسطين واجب شرعي على كل مسلم، بل على كل عاقل على البسيطة كلها. والقضية هي قضية الأمة، وهي القضية المركزية للعالمين العربي والإسلامي بل للعالم أجمع، وستبقى القضيةَ الأولى في التاريخ على مستوى القضايا العالمية في العالم من شرقه وغربه، وهذا كله يعود إلى أمور؛ أهمها: أن في فلسطين المسجد الأقصى فهو القبلة الأولى، وهو مسرى النبي ﷺ حيث يقول الله - سبحانه -: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، وقوله ﷺ في زيارة المسجد الأقصى كأخويه المسجد الحرام والمسجد النبوي: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى».

وإن الفلسطينيين بشتى فصائلهم واتجاهاتهم وتياراتهم على مسرح هذه القضية يتحملون وزر التفريط بهذه القضية، وأكثرها منظمة فتح، حيث إنها التي رمت نفسها في المسرح الدولي لبيع القضية حين مدت يدها إلى القوى العالمية، ولقد سجَّل التاريخ لهذه المنظمة خصوصاً مواقف سوداء؛ لأنها لم تبذل كل إمكاناتها لطرد العدو وتصحيح المسار في هذه القضية. إن مدَّ يد منظمة فتح وفصائلها إلى العدو الصهيوني أو إلى من وراءه من أمريكا والدول الغربية عامة، وارتماءها في أحضان أولئك؛ هو الذي جعل الفلسطينيين يعيشون عيشة غير سعيدة وغير مرضية لأهلها ولا للمسلمين عموماً. وإن جميع علماء الإسلام ومفكري الأمة وقادة الحركات والمنظمات الإسلامية والقوى الوطنية والرموز المهنية والثقافية؛ يحمِّلون تلك المنظمة وزر التخلف والتأخر وما لحق بالمسلمين في فلسطين من تقتيل وتشريد وضياع للأخلاق وذوبان للقيم، وإنهم لا يعفون غيرها من المنظمات، لكن تلك المنظمات والتيارات لا تمثل مثل ما تمثله منظمة فتح في هذه القضية. وإن منهج التسوية التي هي في الحقيقة تسوية مرفوضة من القوى الإسلامية والتي هي مصادرة للحقوق والحريات للشعب الفلسطيني؛ لن تنهي الحرب بين اليهود والمسلمين، ولن تستقر أرض فلسطين إلا بالجهاد الإسلامي الذي تُرفع فيه راية الحق: لا إله إلا الله محمد رسول الله. إن هذا بلا شك هو الذي أخبرنا به نبينا محمد ﷺ كما في الحديث الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل اليهود المسلمين - أو قال: العرب - حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول: يا مسلم! يا عبد الله! إن خلفي يهودياً تعالَ فاقتله، إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود فإنه يخنس».

(*) أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

رسالة إلى حركة حماس

رائد شفيق حليحل(*)

إخواني قادة حماس وأفرادها ومناصريها!

أنتم اليوم أمل الأمة، جاهدتم يوم أن استسلم الناس، وثبتم يوم أن غيَّر آخرون وبدَّلوا.

تتعرضون لضغوط كثيرة داخلية وخارجية؛ مرة بالترهيب وأخرى بالترغيب، ولكنكم لم تصلوا إلى ما أنتم فيه إلا بوضوح الرؤية لديكم وثباتكم على درب الجهاد.

إذا كان الله معكم فمن ذا الذي يقدر عليكم أو يغلبكم والله غالب على أمره؟ فلتستمدوا عونكم منه، واعلموا أن الفرج مع الشدة، وأن مع العسر يسراً، فلا يحملنكم ضيق الحال أحياناً إلى اللجوء إلى من يستفيد منكم أكثر من استفادتكم منه، واعلموا أن النصر صبر ساعة.

والله لأنتم اليوم كالإمام أحمد بالأمس، ثبت عند المحنة العظمى «فتنة خلق القرآن» فثبت بثباته كثيرون ورفع الله شأنه وخلَّد ذكره. وأنتم اليوم إن ثبتم في زمن المتغيرات وسبحتم عكس التيار فلا شك أنكم ستعانون، لكن العاقبة للمتقين، وسيندم الكثيرون يومها ويقولون: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٣].

والله إننا لنخجل أن نسهم بمدادنا في وقت تبذلون أنتم فيه دماءكم، ولكن الواجب يحتِّم علينا نصرتكم يوم أن خذلكم الناس بل أرادوا تخويفكم، فهم ينطبق عليهم قول الله - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وإني لأرجو أن ينطبق عليكم قوله - سبحانه -: ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

أسأل الله العلي القدير أن يكون معيناً لكم وناصراً، وأن يهديكم سبيل الرشاد، وأن يوحد صفكم، ويجمع شملكم، ويلمَّ شعثكم، ويعلي رايتكم. وأسأله كما حباكم إحدى الحسنيين (الشهادة) أن يكرمكم بالثانية (النصر)، إنه جواد كريم.

وفقكم الله، وأفرغ عليكم صبراً، وثبت أقدامكم، ونصركم على القوم الكافرين، آمين.

(*) مدير معهد الأمين للعلوم الشرعية، ومؤسس اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية.



اجعل القرآن رفيقك
في شهر رمضان

بصوت الشيخين: ـ عبدالرحمن السديس وسعود الشريم

مميزات الجهاز:

- مختصر تفسير ابن كثير
- رياض الصالحين
- حصن المسلم (صوتياً)
- دعاء ختم القرآن (صوتياً)
- أسماء الله الحسنى (صوتياً)

١٨٠ ريالاً

- حجم صغير ٥×٨ سم
- صوت واضح.
- سعر مناسب.
- سهولة تحديد السورة والآية.
- تكرار مستمر.
- شاحن كهربائي.
- إضاءة ليلية.
- سماعات أذن.

متوفر مع الترجمة
* الإنجليزية صوتيا
* الأردية صوتيا
(٢٠٠ ريال)

٣٠٠ ريال

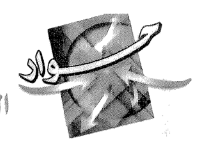
متوفر مع الترجمة
* الإنجليزية صوتياً
* الأردية صوتياً
(٣٢٠ ريال)

- أوقات الصلوات
- اتجاه القبلة
- مسجل الصوت
- الساعة
- بطارية صالحة للشحن
- جودة الصوت

المكتب الرئيسي الرياض: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٤٠٤٣٤٣٢ -١- ٠٠٩٦٦ فاكس: ٤٠٢١٦٥٩
Email: darussalam@awalnet.net.sa Website: www.dar-us-salam.com
الفروع: العليا: ٤٦١٤٤٨٣ الملز: ٤٧٣٥٢٢٠ السويلم: ٢٨٦٠٤٢٢ جدة: ٦٨٧٩٢٥٤
الخبر: ٨٦٩٢٩٠٠ المدينة المنورة: ٨٢٣٤٤٤٦-٠٤ الشارقة: ٥٦٣٢٦٢٣-٦-٠٠٩٧١

PeaceTech

دار السلام للنشر والتوزيع



في حوار مع مجلة (البيان)

الشيخ رائد صلاح: الحفريات وصلت إلى عمق المسجد

- الحفريات الصهيونية تتجه إلى أسفل المسجد الأقصى والأحياء السكنية المحيطة به.
- الدولة الصهيونية تسيطر على الوقف الإسلامي في فلسطين وتحول مساجده إلى كنائس ومراكز دعاية انتخابية ونوادٍ ليليَّة.
- مستقبل الفلسطيني الذي يعيش على الأرض المحتلة عام ٤٨ واعد، ونشهد فشلاً ذريعاً للمشروع الصهيوني.

كشف الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ٤٨ أن الحفريات الصهيونية في القدس تتجه نحو مبنى المسجد الأقصى المبارك.

وقال الشيخ رائد صلاح في مقابلة خاصة مع مجلة (البيان) بمناسبة مرور ٦٠ عاما على النكبة: إن هذه الحفريات تسبَّبت في حدوث انهيارات في الساحات الخارجية للمسجد والمنازل القريبة منه.

يسعدنا أن نرحب بفضيلته، ونبدأ معه الحوار:

حاوره: نائل نخلة(*)

البيان: ما آخر الحفريات التي تقوم بها السلطات الصهيونية؟

■ هي ما يلي:

أولاً: يحفرون نفقاً يمتد من حي سلوان باتجاه المسجد الأقصى المبارك، وقد أدَّى هذا النفق إلى تصدُّع بعض بيوت الأهالي في حي سلوان، وأدَّى أيضاً إلى تصدُّع مسجد سلوان.

ثانياً: يحفرون نفقاً يمتد من حمام العين باتجاه المسجد الأقصى، ويُعدُّ أخطر نفق تمَّ حفره حتى الآن، وقد تسبَّب بتصدُّع البيوت الملاصقة للحائط الغربي للمسجد الأقصى، وأدَّى إلى انهيار عند حمام العين.

(*) مراسل (البيان) في فلسطين.



ثالثاً: كشفت مؤسسة الأقصى خلال الأيام الماضية عن وجود حفريات تتجه نحو المسجد الأقصى من جهة ثالثة. وهذا يعني أن هذه الحفريات لا تزال مستمرة منذ عام ١٩٦٧م حتى الآن.

البيان: هل تعتقدون أن الاحتلال يقوم بحفريات أسفل المسجد الأقصى غير معلن عنها، أي: سرّية؟ وإن كان ذلك فما حجمها؟

■ مع كل أسف نحن نجزم بذلك؛ لأن من يقوم بالحفريات هم صنفان: الصنف الأول: هو ما يُعرف بـ (سلطة الآثار الصهيونية)، وهي التي تقوم بحفريات وتحاول التستُّر عليها ولا تُعلن عن بعضها إلا إذا أُحرجت وكُشِفَ الغطاء عن أعمالها. أما الصنف الثاني: فهو الجمعيات الاستيطانية، مثل: جمعية العاد وعطرات كوهانيم، التي تقوم بحفريات سرية، وهي أخطر حفريات تنفَّذ تحت المسجد الأقصى خلال السنوات الماضية، ونحن على علم أن هذه الحفريات قد وصلت إلى عمق المسجد تحت الأرض؛ وبالتحديد وصلت إلى المنطقة المسمَّاة بـ (الكأس) والتي تقع ما بين قبة الصخرة وما بين مبنى المصلَّى الجامع الذي يقع في مقدمة المسجد الأقصى جنوباً.

البيان: لماذا تخشى الدولة الصهيونية الكشف عن هذه الحفريات؟

■ لا تزال حكومة الاحتلال تُصِرُّ على فرض سيطرتها الاحتلالية على كل مجريات الأمور في المسجد الأقصى؛ سواء في المستوطنات أو ما يجري من حفريات تحت المسجد الأقصى، وهي تدرك أنها تلعب بالنار، وأنها تحاول أن تعتدي على قضية قد تثير العالم الإسلامي وتقلب الأمور رأساً على عقب؛ لذلك هي تحاول أن تنفِّذ مؤامراتها المتواصلة بالسرِّية والصمت، ولكن باتت أعمالها معروفة.

البيان: كيف تشكل هذه الحفريات الخطر على أساسات المسجد الأقصى؟

■ هذه الحفريات باتت تسبِّب انهيارات يوماً بعد يوم، وفي بدايات عام ٢٠٠٠م وقع انهيار كبير عند باب المغاربة، ثم بعد ذلك وقع انهيار خطير جداً في ساحات المسجد الأقصى الداخلية عند سبيل قاتباي، ثم وقع انهيار ثالث خارج المسجد الأقصى ولكنه قريب من الحائط الغربي للمسجد عند حمام العين، وها هي التصدُّعات – كما ذكرت آنفاً – تظهر في البيوت الملاصقة للحائط الغربي للمسجد الأقصى وكذلك في البيوت التي تقع في حي سلوان، ومسجد سلوان، وكل ذلك ما هو إلا نتيجة للحفريات المتواصلة تحت المسجد. بالإضافة إلى ذلك نحن نذكر أن اليونسكو في إحدى زياراتها كتبت تقريراً خطياً أكدت فيه أن الاحتلال يستعمل في حفرياته الحوامض الكيماوية، وهذا يعني أن هذه الحوامض تتغلغل في عمق الأرض تحت المسجد الأقصى وهي بذلك تشكل خطراً كبيراً جداً على الأركان التي يقوم عليها المسجد.

البيان: هل ترى أن هناك تقصيراً من قِبل السلطة الوطنية الفلسطينية تجاه هذه الحفريات؟ وكيف تتعامل السلطة مع هذه الحفريات؟

■ إذا أردت التحدث عن التقصير فهناك تقصير من كل العرب والمسلمين بما فيهم السلطة الوطنية الفلسطينية، وأنا على يقين أنه بإمكاننا أن نفعل الكثير لنصرة المسجد الأقصى، ولكن هناك ردود فعل ضعيفة جداً لا تتناسب مع مأساة المسجد، وعلى سبيل المثال: فإن الموقف الإعلامي ليس كما يجب أن يكون لنصرة المسجد الأقصى، فبإمكان الإعلام الإسلامي والعربي والفلسطيني أن يتحدث أكثر عن المسجد الأقصى وعن مؤامرات الاحتلال تجاهه، ولكن يؤسفني أن أقول: إن الدور الإعلامي دور ضعيف جداً رغم أننا أصحاب الحق الوحيدون في المسجد الأقصى. في المقابل نرى للإعلام العبري دوراً كبيراً محلياً وعالمياً، وهو على باطل، ويحاول أن يدعي أن المسجد الأقصى قد بُني على آثار الهيكل الأول أو الثاني المزعومين. أما بالنسبة للسلطة الوطنية الفلسطينية فأنا أتمنَّى منها أن تقوم بنصرة المسجد الأقصى بشكل متواصل، ولا سيما أنها ترى عن قرب ما يحدث في المسجد خصوصاً وما يحدث في القدس المحتلة عموماً.

البيان: في نظرك: أين تقع القدس في أجندة المفاوض الفلسطيني الذي يفاوض اليوم عليها؟

■ واقع الحال مأساوي، ويتألَّم الإنسان منه، فيقول: إن قضية القدس هي قضية تكاد تكون مستثناة من قِبَل المفاوضين، منذ التسعينيات الميلادية من القرن العشرين وحتى الآن. وإن الأمور تزداد سوءاً في القدس، والاحتلال يمتد أكثر فأكثر، والمضايقات تتزايد تجاه الفلسطينيين في

بيوتهم وعائلاتهم ولقمة طعامهم. والخطر يزداد على القدس يوماً بعد يوم، ولم توضع حتى الآن شروط فلسطينية واضحة وملموسة من أجل الحفاظ على قضية القدس، ولكننا نسمع حكومة الاحتلال قد أعلنت خلال الأيام الماضية أنها مستمرة في تكثيف مشــروعات الاســتيطان في القــدس، حتــى تحقّـق ما تســميه بـ (القدس الكبرى)، وهو مشروع تدميري لن يبقيَ على أيِّ متر مربع واحد إذا تم تنفيذه بحذافيره.

البيان: مـا المطلوب اليـوم من العالم الإسـلامي والعربي لنصرة الأقصى؟

■ أنا لا زلت أقول: إننا نطمع أن يتعامل الإعلام الإسلامي والعربي مــع قضية القدس على أنهــا قضيته الخاصة به، قضيته التــي يجب أن ينتصر لها. نحــن نتألم عندما نرى الإعلام العربي والإســلامي يتعامل مــع قضية القدس من بــاب المناصر لها والمتعاطف معهــا كأنها قضية غيره، وهنا يكمن الخطر. وأقول أيضاً: إن قضية المسجد الأقصى قضية كل مســلم وعربي، ولذلك لا نقبل أن يقف الجميع مكتوفي الأيدي. لقد آن الأوان أن نخرج من هذا الصمت، وأن نفرض قناعة عند العرب والمســلمين أن قضية القدس والمســجد الأقصى هما قضية الجميع بدون استثناء.

البيان: لـماذا تغيِّبـون السـاحة القضائيـة والقانونية والتوجـه إلى المحكمة العليـا الصهيونيـة أو حتى محاكم دولية وأجنبية؟

■ إن التوجــه إلى القضاء الصهيوني أمر مســتحيل، بل هــو خيانة ولا نتردَّد في ذلك؛ لأن معنى التوجه إلى القضاء الصهيوني هو إقرار بوجود ســيادة احتلالية صهيونية على المسجد الأقصى وعلى القدس الشريف. أما بالنسبة للقضاء الدولي فدعني أقول: إن المواقف لا تشجِّع على التوجه، وقد حصل التوجــه فيما مضى في موضوع الجــدار العنصري الــذي يُبنى حتى الآن على امتداد حدود القدس الشــريف وعلــى امتداد حدود الضفة الغربية، والمحاكم الدولية أدانت هــذا العمل وطالبت بوقف هذه الإجــراءات الاحتلالية، إلا أن قرارها - بالنســبة لحكومة الاحتلال الصهيونية - أُلقي في ســلة المهملات، وذلك يعني أن الخطأ كل الخطأ فيما لو ظننا أننا سوف ننتصر في حال توجهنا إلى المحاكم الدوليّة، والخطــر كل الخطر فــي أن نتواكل ونعتمــد على المحاكم الدولية معتقدين أنها سوف تردُّ إلينا حقوقنا. الحل المطلوب هو مناصرة الأقصــى بإمكانياتنا المتوفرة، وعندها يمكن أن نتوجه إلى المحاكم الدولية.

البيان: كل مراقـب يـرى الإهمال الحاصـل في الحارات والبيـوت المحاذيـة للمسـجد الأقصـى المبـارك؛ لماذا لا تخصصون موارد خاصة لترميم المسجد الأقصى والقدس القديمة؟

■ المشكلة ليســت في المصادر المالية، فالأموال متوفرة، ولكن حكومة الاحتلال الصهيونية لا تزال تصعِّد من هجمتها الاحتلالية على المســجد الأقصى، وهــي بذلك تمنع القيام بأعمال إعمار في المسجد الأقصى أو في محيطه، إلى درجة أنها باتت تمنع مشاريع الإعمار التي تقوم بها هيئة الأوقاف ولجنة الإعمار. والمطلوب اليوم هو كسر السيادة الاحتلالية، وبعد ذلك سيتاح بناء الأقصى وإعماره.

البيان: هل تخشى أن يكون موعد انهيار المسجد الأقصى بات قريباً؟

■ إن المخططــات الاحتلالية تقول: إنها باتت تعجل بهذا الهدف الأســود الحاقد وذلك من خلال مواصلة حفرياتهم التي أصبحت تمثِّل شــبكة أنفاق تحت المســجد الأقصى، بدليــل وقوع الانهيــارات المتزايدة يوماً بعــد يوم في داخل المسجد ومحيطه، وكل ذلك عبارة عن إضاءة الضوء الأحمر التحذيــري، وهذا يقتضي منا أن نتدارك الأمر قبل حصوله فتكون بذلك الطامة الكبرى.

البيان: خـلال الشـهر القـادم تمـر بنـا ذكـرى النكبـة الفلسطينية؛ كيف تمر بكم هذه الذكرى؟

■ تمــر بنا ونحن نؤكد أنــه لا عوض عن القدس، ونحن نؤكد على عودة اللاجئين الفلسطينيين، فهذا حق قائم ثابت لا يمكن لأحد أن يغيِّره أو يبدِّله، ونحن من أجل الحفاظ على هذا الحقِّ في قلوب الجميع؛ فقد أعددنا - نحن في الحركة الإسلامية - سلسلة برامج من أجل مواصلة النشاطات التي ســتمتد إلى أشهر بل ســنوات قادمة، منها ما هو إعلامي وشــعبي، وأخرى ســيُعلن عنها في وقتها، وهي ستصب في موضوع نصرة حق العودة.

البيان: لـماذا يُعـدُّ الفلسـطينيون الذيـن يعيشـون في أراضي ٤٨ شوكة في حلق الكيان الصهيوني بعد مرور ستين عاماً على دولة الاحتلال؟

■ لقــد ظنت المؤسســة الصهيونية أن هــذه القلّة التي

بقيت على أرضها بعد عام ٤٨ يمكن أن تقتلعها، وظنت أنه يمكنها أن تهوِّد هذه الأقلية وأن تذيب عربيتها وإسلاميتها. والحقيقة تقول: إن هذه الأقلية ما عادت أقلية، بل أصبحت ذات نفوذ وامتداد سكاني كبير يمتد على صعيد النقب والمثل والجليل، وبات يقارب مليوناً وثلاثمائة ألف فلسطيني، وهو مرشَّح للزيادة خلال الأعوام القادمة. وإن الصهاينة أنفسهم يقولون: بعد ٧ سنوات سيصبح عدد الفلسطينيين في الداخل مساوياً لعدد اليهود، وهذا ما يخيفهم كثيراً.

البيان: كيف ترى الدولة الصهيونية من الداخل اليوم؟

■ أنا أراها من خلال ما أقرأ من أقوال وتصريحات قيادات كبيرة في المشروع الصهيوني، والتي تُظهِر أن المشروع الصهيوني فشل، وهو ينهار يوماً بعد يوم.

البيان: بعد مرور ستين عاماً على النكبة: ما مستقبل الأقلية العربية في الداخل، وما الأخطار التي تواجههم؟

■ مستقبلهم هو مستقبل واعد، أنا متفائل بهذا المستقبل، سنبقى في أرضنا، وفي بيوتنا، ومؤسساتنا، سنبقى نبني مجتمعنا، مجتمعاً عصامياً يملك القدرة على أن يوفر ما يحتاج من خدمات يومية على كل الأصعدة، وأنا أشعر أننا نتقدم إلى الأمام بهذا الاتجاه، وهذا التقدم ليس خالياً من المخاطر، بل هو محفوف بها، وأخطرها وجود الإجماع الحالي بين القوى السياسية كافة في المجتمع الصهيوني على تنفيذ مخطط تهجيرنا، وهذا بات واضحاً يتحدثون به.

البيان: العربي الفلسطيني الذي يعيش في النقب والجليل: ماذا عن هويته وانتمائه؟

■ هو مسلم عربي فلسطيني، يعيش على أرضه وفي بيته، وله الحق الأبدي في أرضه ووطنه، وسيبقى هذا الحق الأبدي حاضراً ومستقبلاً، وهذا المواطن يتمسك بارتباطه الطبيعي مع المجتمع العربي والإسلامي والفلسطيني، ويرى في ذلك التحقق الصادق بهويته.

البيان: الحكومة الصهيونية تحاول طمس كل ما هو فلسطيني وإسلامي: كتحويل المساجد والمقابر إلى بيوت دعارة أو فنادق: حدثنا عن ذلك؟

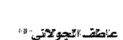
الدولة الصهيونية لا تزال مستمرة في ظلامها، ولا تزال تتمسك بمصادرة كل الأوقاف الإسلامية، وهذه الأوقاف تأخذ مساحة ١٥/١ من كل مساحة فلسطين. وهذه المساحة الكبيرة لا تزال مصادرة، ولا زالت حكومة الاحتلال تفرض إنفاق ريعها على ما تشاء، ولا تتردد في نبش مقابرنا من أجل تحويلها إلى مساكن أو حدائق عامة، أو من أجل تهيئتها لتكون شوارع وغير ذلك. ولعل آخر ما سمعناه هو إعلان الاحتلال أنه سيحفر جزءاً كبيراً من مقبرة في يافا، وكذلك قسماً كبيراً من مقبرة مأمن الله التاريخية في القدس الشريف. وفي الوقت نفسه فإن الدولة الصهيونية لا تزال تصادر عشرات المساجد وتحولها إلى مطاعم أو مقاهٍ أو نوادٍ ليليَّة، ومن المؤسف أن نجد مسجداً في يافا لا يزال ملهى ليلياً، وأن نجد مسجد الطيرة في الكرمل لا يزال كنيسة يهودية، ونجد أيضاً مسجد أبي هريرة في يبنا لا يزال متحفاً، والجامع الصغير في حيفا لا يزال مغلقاً، وكذا المسجد الأحمر في صفد لا يزال يُنتهك ويستعمل مرة قاعة أعراس، ومرة قاعة للرسومات، ومرة أخرى قاعة للدعاية الانتخابية لحزب كاديما حزب شارون.

البيان: التهديدات التي تتلقاها بضرورة اعتقالك أو اغتيالك كما يطالب بعضهم: كيف تتعامل معها؟

■ إن الذي يظن أن سجننا سيقتلع فكرنا فهو صاحب تفكير غبي، وصاحب نظرة محدودة عقيمة؛ لأننا سواء كنا في السجن أو خارجه فصوتُنا سوف يبقى حراً، وسنبقى نكتب ونتحدث. وأما الذين أصدروا فتوى القتل من اليهود فأقول لهم: أولاً: الدين الحق منكم براء، وثانياً: كل فتاواكم لا وزن لها، وثالثاً: نحن لا نخاف هذا الموقف التهديدي من طرفكم، نحن نؤمن أن المحيي والمميت هو الله سبحانه وتعالى، والحركة الإسلامية ليست حركة شخص أو أفراد، فلو قُتل منها أحد سواء كان رائد أو غيره فالحركة الإسلامية ماضية بإذن الله - تعالى - في نهجها، وماضية في واجبها وتحقيق أهدافها، ولن تعيقها تلك الأساليب الإرهابية من سجن أو تهديد بالقتل.



يصرون على استمرار المفاوضات العبثية



عاطف الجولاني (*)

باتت كلمة «عبثية» من أكثر الكلمات التي تتردد على لسان رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس؛ فالمقاومة في نظره وفي نظر أصحاب خيار التفاوض «عبثية»، وصواريخها التي أدخلت الرعب في قلوب المحتلين وأحالت حياتهم إلى جحيم لا يطاق في أسديروت وبقية المستعمرات الصهيونية؛ «عبثية» أيضاً. لكن ما لا يقوله الفريق الفلسطيني المفاوض ولا يريد الإقرار به؛ أن مفاوضاته العقيمة مع الصهيونيين هي السراب و «العبثية» عينها.

بحسب صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية؛ فإن جهاز الاستخبارات الصهيونية شكّك بصراحة - في تقديره الاستخباري للعام ٢٠٠٨م - في قدرة العملية السياسية على جلب تسوية بين الفلسطينيين والصهيونيين، لكنه أكد أهمية استمرار المفاوضات من أجل مواجهة خطر «الإسلام المتطرف».

مركز البحوث السياسية في وزارة الخارجية الصهيونية؛ استبعد هو الآخر التوصلَ إلى اتفاق تسوية في العام الحالي، ورأى أنه «من غير المتوقع حصول تقدم حقيقي في المسيرة السياسية، لكن المسيرة ستستمر؛ إذ إنها تخدم مصالح حيوية للطرفين». كلام واضح لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل بشأن دوافع استمرار الحراك السياسي حتى لو لم يُفْضِ إلى نتائج واقتصرت العملية على الجعجعة من دون الطحن؛ فالمهم الحيلولة دون صدور شهادة وفاة للمفاوضات.

مجموعة الأزمات الدولية (International Crisis Group) تحدثت بشكل صريح عن الأسباب التي تمنع الأطراف المفاوضة من الاعتراف بفشل عملية التسوية؛ فقبل انعقاد مؤتمر (أنابوليس) في أواخر نوفمبر الماضي؛ قالت في تقرير خاص: «قد لا تكون العملية التي ستطلق قريباً في أنابوليس مصيريةً وذات قيمة فعليّة لعملية السلام الصهيونية - الفلسطينية، ولكنها على أقل تقدير ضرورية للبقاء على قيد الحياة».

الخوف من الفراغ الذي يمكن أن يسده خيار الجهاد والمقاومة والصمود، يُقلِق الصهيونيين والإدارة الأمريكية كما يقلق الرئاسة الفلسطينية وحكومات عربية ألغت خياراتها واعتمدت التفاوض خياراً استراتيجياً وحيداً. وقد صدرت خلال الأسابيع الأخيرة تحذيرات متوالية أطلقها مسؤولون عرب من مغبة تراجع فرص التوصل لاتفاق سلام قبل نهاية العام الحالي، محذرين أن من شأن ذلك أن يعزز قوة «التشدد» و«التطرف» في المنطقة. وكان آخر تلك التصريحات ما ورد على لسان نبيل أبو ردينة المتحدث باسم الرئاسة الفلسطينية، الذي حذر من فوضى ستجتاح المنطقة ومن مواجهة إقليمية محتملة، إذا ما وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود ولم تسفر عن توقيع اتفاق بين الفلسطينيين والصهيونيين.

عامل الزمن يضغط بقوة على فريق التسوية؛ فالسلطة الفلسطينية والحكومات العربية المؤيدة للمسار التفاوضي تخشى من أن يؤدي انتهاء ولاية الرئيس الأمريكي جورج بوش نهاية العام الحالي من دون التوصل إلى اتفاق سلام نهائي؛ إلى تعطيل عملية التسوية لمدة ليست قصيرة، قبل أن تتفرغ الإدارة الأمريكية القادمة لملف المفاوضات. في الوقت ذاته؛ فإن انتهاء ولاية رئيس السلطة محمود عباس مطلع شهر يناير القادم؛

(*) رئيس تحرير صحيفة السبيل الأردنية.

يشكل هو الآخر استحقاقاً زمنياً ضاغطاً يزيد من حالة التوتر لدى المراهنين على خيار التسوية.

عباس في نظر الصهيونيين زعيم ضعيف لا يتمتع بشعبية تؤهله لتوقيع اتفاق نهائي، فضلاً على أن حالة الانقسام القائمة بين الضفة الغربية وقطاع غزة تحول دون إمكانية تنفيذ أي اتفاق يُتوصّل إليه. ولا ينظر الصهيونيون إلى عباس على أنه شريك ذو صلة، ويشككون في أهليّته وفي تمثيله للشارع الفلسطيني الذي لم يفوضه بمثل هذا الأمر.

أولمرت هو الآخر ضعيف ولا يملك التفويض اللازم للتوصل إلى اتفاق بشأن قضايا الحل النهائي. فإنْ أحسَنَ المعسكر الفلسطيني التفاوضي الظنَّ بجدية أولمرت في التوصل إلى اتفاق؛ فإن ائتلافه السياسي الهشّ مهدد بانفراط عقده إن أقدم على مثل هذه الخطوة؛ فقد هدد حزبا شاس والدولة الصهيونية بيتنا (٢٣ مقعداً في الكنيست) في وقت سابق بالانسحاب من الائتلاف ورفع الغطاء عن الحكومة إن قَبِل أولمرت طرح قضية القدس واللاجئين والمستوطنات على بساط البحث في أنابوليس.

لكن ما ينبغي عدم تجاهله، أن المفاوض الفلسطيني خالي الوفاض من أية أوراق قوة تفاوضية؛ قد يُقْدِم على ارتكاب حماقة تفاجئ الكثيرين؛ فرئيس السلطة يبدي استعداداً غير محدود للتنازل في القضايا المصيرية، حيث وافق على مبدأ تبادلية الأرض، وهو ما يتيح له التخلي عن الحدود وأراضي المستوطنات مقابل مساحات من الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، كما أبدى استعداداً لتنازلات خطيرة في قضية اللاجئين، ويسعى للحصول على مكسب وهمي في القدس يمكّنه من الحديث عن عاصمة فلسطينية على أي جزء من المدينة.

المحذّرون من هذا (السيناريو) يشيرون إلى اجتماعات سرية متواصلة بين كبير المفاوضين أحمد قريع ووزيرة الخارجية الصهيونية تسفي لفني؛ زاد عددها عن خمسين اجتماعاً خلال أسابيع قليلة. وثمة مخاوف من مفاجأة على غرار اتفاق (أوسلو) الذي دُبِّر بليل من خلف ظهر العرب والفلسطينيين وانطوى على تنازلات غير متوقعة.

أصحاب برنامج التسوية لا يريدون أن يسألوا أنفسهم: ماذا حقق خيارهم التفاوضي حتى اللحظة؟ وإلى أين أوصل الأمور؟

مقابل ذلك؛ يغمضون أعينهم عن الإنجازات المهمة التي حققها خيار المقاومة، ويتناسون أن المقاومة لا المفاوضات هي من دحرت الاحتلال عن قطاع غزة.

الأخطار التي تهدد المسجد الأقصى

د. عبد المحسن بن زبن المطيري(*)

إن الأخطار التي تواجه المسجد الأقصى كثيرة، ولعل من أبرزها:

١- المحاولات السرية والعلنية لهدم أساسات المسجد الأقصى المتكررة والمستمرة بدعوى البحث عن حفريات لهيكل اليهود المزعوم.

٢- الغياب الديني: فإن الناس إذا هجروا المسجد الأقصى وهجروا الصلاة فيه والعبادة فيه جَرُؤَ أولئك القوم على النيل منه، وكلما كَثُرَ عدد المصلين ودروس العلم والحلقات في المسجد كان هذا أدعى لخوفهم وأهيب لمن يحاول التجرؤ، ومن هنا كان لزاماً على الأمة الحرص على رفع مستوى الإيمان في الجيل الجديد.

٣- الغياب الإعلامي: فكلما كان هناك غياب إعلامي عن قضية المسجد الأقصى وحفرياته؛ كان هذا أدعى للتجرؤ عليه، وأما إذا كان هناك صوت إعلامي مرتفع ذو انتشار واسع كان هذا من أسباب المحافظة عليه إن شاء الله.

٤- الغياب الدولي؛ إن صح التعبير: وأقصد به عدم طرح مشكلة الأقصى والأخطار التي تواجهه في المحافل الدولية، ولذلك يجب طرح ذلك دولياً، حتى تظل قضيته حية وحاضرة في الأذهان بعيدة عن النسيان.

٥- الغياب العلمي: وذلك بقلّة الكتابات عن المسجد الأقصى والأخطار التي تُحدق به، فيجب على أصحاب القلم الحر والكلمة الصادقة أن تكون لهم كتابات دائمة وبحوث مستمرة ومؤلفات مستقلة في هذا الجانب، وينبغي على أصحاب دور النشر الحرص على إعادة طباعة هذه الكتب ونشرها، وينبغي على التجار دعمها.

هذه - في ظني - أبرز الأخطار التي تواجه المسجد الأقصى وأهمها.

ونسأل الله - تعالى - أن يحفظ أقصانا ويرعاه ويجنِّد له من عباده من يحفظونه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(*) أستاذ التفسير في كلية الشريعة، جامعة الكويت.



(١ - ٢)

حوار مع أسامة حمدان

ممثّل حركة حماس في لبنان

حاوره: أحمد فهمي

البيان: الآن وبعد ستين عاماً من احتلال فلسطين يردّد بعضهم أن الفلسطينيين والعرب أضاعوا أفضل عرضين لحل هذه القضية: الأول: مشروع تقسيم فلسطين المقدّم من الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م، والثاني: مشروع (بيل كلينتون) الذي رفضه (ياسر عرفات) فهل توافقون على أن العرب ضيّعوا فرصاً حقيقية؟

■ الأمور لا تكون بهذا المنطق، وعندما نتحدث عن منطق الفرص الضائعة فإن أفضل ما يمكن الحديث عنه هو منطق الفرصة التي ضاعت أو ضيعت عام ٧٣ عندما تقاعس العرب عن الاستفادة من الانتصار في الحرب وجرى استبداله بمفاوضات وتسوية مع الاحتلال. منطق تضييع الفرصة يكون أيضاً قائماً مع الانتفاضة الأولى عام ٨٧ التي قادها بعضهم بعد ذلك إلى اتفاق أوسلو. وأيضاً مع انتفاضة عام ٢٠٠٠م التي يحاول بعضهم اليوم الوصول بها إلى تسوية ربما تضيّع كثيراً من الحقوق.

إن منطق الفرص ينبغي أن يجري التعامل معه حينما يُعرَض عرضاً حقيقياً أو حينما تُقدَّم فرصة حقيقية. ما حصل في عام ١٩٤٧م أنه طُلب من الشعب الفلسطيني ومن الأمة كلها أن تتنازل عن أكثر من ٦٠٪ من الأرض الفلسطينية إلى الاحتلال، ومن ذلك وضع مدينة القدس تحت إدارة دولية لتفقد بذلك الأمة حقها في هذه المدينة وفي باقي الأراضي الفلسطينية. ورفضُ الشعب الفلسطيني لذلك هو الذي حسم هذه القضية حتى الآن، وهو الذي منع استقرار الكيان الصهيوني، وهو الذي يفتح الباب للمقاومة في كل حين، وهو الذي يفتح الباب لنهاية هذا الكيان؛ بإذن الله سبحانه وتعالى.

أما في عام ٢٠٠٠م فلم يكن هناك فرصة حقيقية، بل إن الذين شهدوا مفاوضات (كامب ديفيد) قالوا: إن ما جرى لم يتعدَّ أفكاراً طُرحت أُريد من خلالها انتزاع اعتراف بالعدو.

البيان: لا يمرُّ عقد منذ عام ١٩٤٨م إلا ويحقق الكيان الصهيوني إنجازات كبيرة في صراعه مع العرب والفلسطينيين؛ بدءاً من تأسيس كيانه، ومروراً بحرب عام ١٩٦٧م، ثم فصل المسارات نتيجة (كامب ديفيد) عام ١٩٧٧م، ثم تنازلات منظمة التحرير، ثم ضرب المفاعل النووي العراقي، ثم أوسلو، وأخيراً إشعال الفتنة بين الفلسطينيين إلى مستوى حرب أهلية صغيرة؛ فهل يمكن عدُّ الكيان المغتصِب الطرف المنتصر في هذا الصراع؟

■ ما يجب التأكيد عليه أن الكيان الصهيوني فعلاً نجح عام ١٩٤٨م في احتلال أكثر من ٧٧٪ من أرض فلسطين، لكن هذا الإنجاز لا يعني بالضرورة أن الكيان الصهيوني قد

حافظ على سقف الإنجازات. ربما حقّق في عام ١٩٥٦م و ١٩٦٧م انتصارات عسكرية، ولكنه بدا واضحاً أنه يتعرض لهزة حقيقية عام ١٩٧٣م، ومع الأسف - كما أشرت آنفاً - لم تجرِ الاستفادة من تلك الهزّة كما يجب، وذهب بعضهم ليفاوض وليوقع اتفاق تسوية مع العدو في (كامب ديفيد) عام ١٩٧٧م، تلا ذلك اجتياح صهيوني للبنان وصولاً إلى بيروت العاصمة عام ١٩٨٢م وإخراج المقاومة الفلسطينية آنذاك منه، ولكن الشعب الفلسطيني سرعان ما استعاد زمام المبادرة عام ٨٧ وأطلق انتفاضته الأولى، ومنذ ذلك الحين لم ينجح العدو في تحقيق أي انتصار استراتيجي أساسي في الميدان العسكري، وإنما بدأ يحاول تحقيق انتصارات سياسية. وكانت النظرية الصهيونية قبل ذلك أنه مستعدٌّ وقادر على فرض إرادته بالقوة، ولكنه الآن بدأ يدرك أن القوة لا يمكن أن تفرض الإرادة، وبدأ يتحدث عن تسوية سياسية.

وكانت الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام ٢٠٠٠م رسالة هامة لمن يعنيهم الأمر مفادها: أن هذا الكيان لم يعد قادراً على السيطرة على الأمور. ورغم عنف الاحتلال إلا أنه لم ينجح في وقف الانتفاضة وإنهائها رغم العديد من الشهداء. لقد اكتشف العدو في نهاية الأمر أن الجيش الذي كان يُعِدُّه لتحقيق الانتصارات هو جيش صار أقرب إلى قوة شرطية تكافح شعباً أعزل. اليوم هناك سؤال كبير يطرحه الصهاينة: هل يمكن أن يستمر بقاء الدولة الصهيونية عقداً آخر من الزمن؟ أنا أعتقد أن مرحلة الانتصارات قد انتهت بالنسبة لهذا العدو؛ فرغم مرور عامين من الحصار الشديد على الشعب الفلسطيني ومن القمع الشديد بعد فوز حركة حماس في الانتخابات، إلا أن الشعب لم ينكشف ولم يستسلم، ولم تقدِّم - بفضل الله - حركة حماس وفصائل المقاومة معها أيَّ تنازل سياسي يطيح بحق أساسي من حقوق الشعب الفلسطيني، ويجد الكيان الصهيوني نفسه بعد ستين عاماً من قيامه أمام ثلاثة أسئلة مصيرية كبيرة:

السؤال الأول: على مدى ستين عاماً لم يتحقق انتصار حاسم للعدو أو هزيمة ماحقة للشعب الفلسطيني، وهذا بحد ذاته يطرح سؤالاً: هل بالإمكان هزيمة هذا الشعب بعد ستين عاماً من الصمود؟

أما السؤال الثاني فهو: إلى متى سيستمر هذا الكيان كياناً مرفوضاً غير مقبول في هذه الأمة، ورغم اتفاقية التسوية إلا أنه ما زال ثابتاً لدى الأمة أن التطبيع لم ينجح في مصر وكذا التطبيع في الأردن، وأنه بقي في حدود المستوى الرسمي، وأينما حاول العدو أن يمدَّ يده كان يكتشف أن الأمة ترفضه وتلفظه وأنها لا تزال تنحاز إلى خيار المقاومة.

أما السؤال الثالث والكبير: فهو يتحدث عن مدى إخفاق الكيان الصهيوني في تحقيق الأهداف التي من أجلها جمع اليهود من أصقاع الأرض؛ فهو وعدهم بالرفاه والأمن وأن يكون معترَفاً به وأن يصل الكيان إلى أن يصبح مهيمِناً ومسيطراً على المنطقة، ولكنه لم يستطع أن يحقق شيئاً من هذا تحقيقاً حاسماً، لذلك أنا أعتقد أن المشروع الصهيوني وإن بدا واضحاً في عقوده الأولى أنه يتقدم، إلا أنه وصل بعد أربعة عقود إلى مرحلة من التوقف، وهو الآن يسير باتجاه الانحدار بإذن الله سبحانه وتعالى. بدأت هذه الأمة تحقق انتصارات جزئية لا يمكن القول: إنها حازمة، ولا يمكن القول إنها تودي بالكيان، ولكنها تُراكِمُ زخماً من الانتصار.

البيان: بعد أربعين عاماً على احتلال القدس أصبح الفلسطينيون أقلية سكانية فيها، مع استمرار سياسة التهجير، وأصبحت رام الله عاصمة بديلة للسلطة الفلسطينية، ولم يعد وضع القدس المستقبلي مطروحاً في التصورات العربية لحل القضية؛ فإلى أي شيء يستند الفلسطينيون في المطالبة بالمدينة ومسجدها؟

■ الحقيقة أن الاستناد الأساسي في المطالبة بالمدينة ومسجدها يعود إلى أن هذه المدينة مدينة إسلامية عربية، وأن هذه المقدسات القائمة فيها هي مقدسات إسلامية، ويستند الفلسطينيون كذلك في مطالبتهم بالقدس إلى أنها جزء من أرض فلسطين التي نعدها وقفاً إسلامياً وحقاً وملكاً لهذه الأمة، والشعب الفلسطيني هو جزء من هذه الأمة وهو أمين على هذه الأرض.

إذا كان تناقص السكان أو محاولة تقليص السكان، وإذا كان الاستيلاء على المدينة ومصادرة أرضها وبيوتها ومقدساتها بكل أشكال القوة وبكل أشكال الحيل والخدع كذلك مبرراً لعدم المطالبة بها؛ فإن هذا يعني أن لا عدل في هذه الدنيا، وأن ميزان العدل اختلَّ، ويصبح من يغلب على شيء فهو مالكه، ويصبح اللص بذلك مالكاً لما يسرق ولا حقَّ لصاحبه أن يطالب به، ولا حق لسلطان ولا قضاء أن يدفع

عـن المظلوم ويعيد الحق إلى أصحابـه، أو يعاقب المجرم. غير أنني أقول بكل بساطة: إن هـذا العدو رغم محاولاته لتضخيم عدد سكان القدس من اليهود إلا أنه ما زال عدد السكان في المدينة القديمة هو الغالب من العرب والمسلمين.

أما محـاولات الاحتـلال لتقليص العدد السكاني الفلسطيني في المدينة فهو يأتي من خلال إلحاق العديد من المستوطنات - التي بنيت على مدى عقـود لتطوق القدس - بالمدينة وضمّها إليها، واعتبار سكانها سكاناً في المدينة المقدسة؛ وهذا هو ما يضخم عدد اليهود. إن الأرض الفلسطينية التي هُجِّر منها الفلسطينيون وطُردوا بالقوة عام ١٩٤٨م، وبقي منهم آنذاك ١٥٠ ألف فلسطيني، هم الآن يتجاوزون مليوناً وربع مليون فلسطيني؛ هذه الأرض موجود فيها حوالي ٣ ملايين يهودي حسب الإحصاءات الصهيونية، وستظل هذه الأرض أرضنا وستظل حقاً لنا ولو جُمع فيها ١٠ ملايين يهودي. لكن الذي يزيد الطين بلّة أن المفاوضين وضعوا مدينة القدس على مائدة التفاوض، والذي يضع شيئاً في دائرة المفاوضات فإنه يعلن ابتداء أنه مستعد لتقديم تنازلات فيه، وقد حدث ذلك فعلاً، وما حدث في الغرف المغلقة وما يتسرب منها لا يبشّر بالخير؛ إذ يبدو أن الجانب الفلسطيني المفاوض قد قَبِلَ تقديم تنازلات أولية في مدينة القدس، منها: إقراره أن غرب المدينة ملك وحق للكيان الصهيوني، ومنها: إقراره بحق اليهود في حائط البراق الذي يزعم الصهاينة أنه حائط المبكى، ويعني ذلك: أن حي المغاربة الذي هدم على مدى سنوات بشكل كامل إثر مصادرته من قِبَل قوات الاحتلال سيصبح ملكاً لهذا الاحتلال، ولكن الأدهى أن الصهاينة لا يزالون يطالبون بما هو كائن أسفل المسجد الأقصى وبجزء من ساحات المسجد الأقصى، وهنا تكمن الخطورة، بأن تقدَّم تنازلات سياسية من مرجعية فلسطينية أو عربية في المدينة المقدسة. أما عدد السكان فقد أباد الصليبيون في الحروب الصليبية كل سكان المدينة من العرب والمسلمين، وحكموا وأقاموا فيها مملكة في قرن من الزمان، ولكن هذه المملكة ما لبثت أن انهارت؛ لأنها كيان شاذ في هذه المنطقة وسرعان ما ذهبت وعاد أبناء المدينة المقدسة إليها.

البيان: يخشى ملايين المسلمين أن يستيقظوا يوماً على خبر هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل على أنقاضه: في تقديركم ما الذي يمنع الكيان الصهيوني من هدم المسجد؟ هل هو خوفه من ردة فعل الفلسطينيين الداخلية؟ أم من ردة فعل الجماهير الإسلامية؟ أم من الأنظمة العربية والإسلامية؟

■ أنا أعتقد أن الكيان الصهيوني لم يُخْفِ يوماً رغبته في هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه، وحتى (بن جوريون) - الذي كان أباً للمشروع الصهيوني لقيام الدولة الصهيونية - عندما عاتبه بعضهم لعدم استيلائه على القدس في عام ١٩٤٨م قال مدافعاً عن نفسه وعن موقفه: إنني أعتقد أنه لا معنى لإسرائيل دون القدس، ولا معنى للقدس دون الهيكل. وهذا يعني: أن الأمل كان أنه باحتلال القدس تتحقق السيطرة على المسجد الأقصى وأن ذلك كان مشروعاً استراتيجياً صهيونياً، ومن ثم يكون هدمه وبناء الهيكل المزعوم مكانه، ولكن جملة العوامل التي تفضلتم وأشرتم إليها في السؤال هي التي تعرقل حتى هذه اللحظة إقدام الصهاينة على هذه الخطوة، ولكن هذا لا يعني أن يطمئن المرء وكأن الصهاينة لن يتحركوا لتحقيق ذلك، فهم يعتمدون سياسة التقدم الهادئ الذي يستوعب الاستفزازات، ويستوعب ردات الفعل، وربما لو تقدم الصهاينة لهدم المسجد الأقصى اليوم لأحدث ذلك ثورة عارمة ضدهم في كل مكان ولكانت النتيجة انهيارات حقيقية في مشروعهم، لذلك هم يحاولون التقدم ببطء بقدر الإمكان؛ فمرة يفتحون نفقاً، وأخرى يهدمون جداراً ولا يبنون مكانه، وتارةً تُزال أحجار من هنا ومن هناك، وأخرى تُهدم آثار إسلامية وتُجرف، ومرة يتم الاعتداء على جزء من المقدسات.. وهكذا، حتى تصبح المسألة مقبولة أو عادية عند عموم الناس، وعندها يتقدم الصهاينة خطوة إضافية. وما حصل في الحرم الإبراهيمي مثال على ذلك؛ فقد بدأ الأمر بشجار حول إمكانية إدخال ما يسمى (الشمعدان المقدس) إلى الحرم الإبراهيمي وحفظه في خزانة هناك، ثم تطورت الأمور مرة بعد مرة حتى جرى تقسيم المسجد الإبراهيمي اليوم بين المسلمين والصهاينة لصالح الصهاينة بنسبة ٦٠٪ للصهاينة إلى ٤٠٪ للمسلمين، علاوة على أن من يملك الحق في إقفال المسجد ومنع الناس من الوصول إليه هم الصهاينة رغم أنه مسجد للعبادة عند المسلمين.

إننا مطالَبون بأن نحافظ على إشعار الصهاينة بموقفنا

ضد هدم المسجد الأقصى عملياً، وليس بالقول. إن أي اعتداء على المسجد الأقصى ومساس به لن يحمل ردة فعل فلسطينية فحسب، بل سيحمل ردة فعل من الأمة بأسرها على المستويين الرسمي والشعبي، ولعل الانتفاضة التي وقعت عام ٢٠٠٠م إثر دخول (شارون) المسجد الأقصى أرسلت رسالة مهمة للصهاينة أن مجرد هذا الدخول قد فجر انتفاضة كبيرة؛ فما بالكم لو كان الاعتداء أكبر من ذلك؟

البيان : انطلق اليهود من معتقداتهم الدينية ليؤسسوا دولة علْمانية في فلسطين ؛ فهل توافقون على أنها دولة علْمانية، وإذا كان الجواب: نعم؛ فهل يؤثر ذلك على هوية الصراع العربي - الصهيوني؟

■ يجب أولاً أن نوضح أن الدين بالنسبة لليهود هو حالة تحولت مع الزمن إلى حالة عنصرية، ولم تعد هذه الديانة بعد تحريفها تتسم بما نعرفه من سماحة الإسلام وسماحة الأديان التي جاء بها الأنبياء من الله - سبحانه وتعالى - بل هذا الدين أصبح بالنسبة للصهاينة حالة عرقية وحالة تتطور لتصبح بعد ذلك حالة عنصرية، وما يدل على ذلك مطالبتهم دائماً أن تكون دولتهم دولة يهودية، وهم لا يقبلون أن يتحول غير اليهودي إلى الديانة اليهودية، ومن لم تكن أمه يهودية فهو مشكوك في يهوديته، ولذلك قياس الدين الذي يحمله اليهود الآن بمقاييس الإسلام. لهذا أنا لا أعتبر هذه الدولة دولة عَلْمانية، وإنما دولة تطبق مفاهيم التلمود الذي يلمس الجميع، ومع ما في هذه المسألة من تناقض وتضارب لكنها تخدم شيئاً واحداً وهو أن هؤلاء اليهود هم شعب الله المختار كما يزعمون، وكل ما يحقق خدمة هذا الهدف يعدّ وَفْق معتقداتهم مقبولاً، فحاخاماتهم هم مرشدو الجيش، وهم الذين يقدّمون حتى على الضباط في التعبئة المعنوية في جيوشهم، وهم الذين يقودون عملية الاستيطان، وإن معظم المستوطنات الأساسية بناها وأسسها حاخاماتهم الذين يشرفون على حركة الاستيطان أكثر من الذين يقولون عن أنفسهم إنهم عَلْمانيون، وهم الذين يُصدرون الفتاوى التي تبيح قتل المسلمين وتعد دمهم ربما أقل من دم البعوض والذباب كما صرح بذلك حاخامهم الكبير. إن للكيان الصهيوني مزيجاً لا يمكن وصفه بأنه ديني أو غير ديني، بل يمكن القول: إن الصيغة الخاصة التي صنعها هذا الكيان من تحريف اليهودية وعدّ التلمود كتابها بعد ذلك والتي تختلط فيها العرقية بالتطرُّف المبنيّ على بعض الأسس الدينية؛ هي التي تكوِّن المجتمع اليهودي بألوانه المختلفة في فلسطين.

البيان : هل سيغيّر ذلك من طبيعة الصراع العربي - الصهيوني؟

■ أيـاً كان تعريف دولة الكيان فإنه لا يغير من طبيعة الصراع كما قال (بن جوريون): العربي الجيد هو العربي الميت. هذا نجده اليوم مطبَّقاً في أداء الكيان الصهيوني؛ من قتل ووحشية وجرائم. هذه دولة عنصرية تنظر إلى الفلسطينيين والمسلمين نظرة احتقار، وبناء على هذا فإن الصراع العربي الصهيوني لن يتغير، بل إننا نصارع قوى غاصبة تستند إلى محصلة من العنصرية والحقد والكراهية تستخدمها ضدنا وإن عبَّرت عنها بأشكال وألوان مختلفة.

البيان : أين ذهب مشروع إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل؟ هل تلاشى مع ضربات الواقع؟ أم أن احتلال أمريكا للعراق أنعش أمل اليهود في فلسطين؟

■ هذا الأمر يعيدني ربما إلى جزء من الإجابة عن السؤال الأول لقد كان الكيان الصهيوني يعتقد أنه بإمكانه أن يفرض توسّعه كدولة من خلال قوته العسكرية، ومكث عقوداً على هذا النحو، ثم تبين له أن هذا لم يعد ممكناً، فبدأ يفلسف ذلك بأنه يستطيع أن يفرض هيمنته من خلال فرض شروطه بوصفه منتصراً على هذه الأمة، وهكذا بدأ ينتقل ولو بشكل جزئي إلى ميدان الاتصالات والعمل السياسي معززاً جهد جنوده في الميدان وتخطيطهم لخوض معركة جديدة، وأيضاً معززاً ذلك بحراك سياسي يحبط كثيراً من آمال هذه الأمة. وعلى هذا الأساس بدأ هذا المشروع يتحول من القوى العسكرية إلى ما قال: إنه قوة سياسية واقتصادية، وتراجع عما كان يزعم أنه من الفرات إلى النيل بالقوة العسكرية إلى الهيمنة الاقتصادية والسياسية، ولكن هذا سرعان ما تلاشى بعد الأزمات التي مرت بها عملية التسوية، وأصبح هذا العدو يتحدث عن تسوية فيها فرض لشروط ولكنها تسوية تبقيه وراء الجدران. لا شك أن احتلال العراق أنعش بعضاً من آماله، لكن المقاومة التي انطلقت في العراق - بفضل الله سبحانه وتعالى - وبعد أيام من بداية الاحتلال أشعرت هذا الكيان أن هذا الأمل كان وهماً ولم يكن أملاً حقيقياً؛ لأن المقاومة في العراق أكدت أن أبناء الشعب العراقي لا يمكن أن يذعنوا للاحتلال الأمريكي.



أسرى فلسطين فوق جدار الصمت

د. محمد إبراهيم المدهون(*)

ليس السجن والسجان ظاهرة حديثة في واقع البشر، بل هي ظاهرة قديمة متجددة، ولم تكن يوماً محصورة في قُطر أو إقليم، وإنما لطي ظاهرة قائمة في كل المواقع والأزمنة.

وأسباب السجن على مدار التاريخ متعددة متنوعة، والاعتقال السياسي هو الأبرز في عالمنا المعاصر الحديث، مما يرسِّخ شعور الكثيرين بسيطرة الديكتاتورية على الرغم من كل زخارف الديمقراطية وهتافها المرتفع؛ فواقع الحال يغني عن المقال؛ فالسجون مشرعة أبوابها لاستقبال كلٍّ من يتنفس أو يهمس دون إذن مسبق، حتى هتف شاعرنا:

غصَّ ما تحت السماوات وفوق الأرضين

بعيون المخبرين

كلُّ إنسانٍ لدينا تهمة تمشي

ويمشي معها آلف كمين!

نصفها في داخل السجن

ونصفٌ خارج السجن سجين!!

• السجين الفلسطيني:

لمَّا كان واقعنا الفلسطيني على طول المدى يتنقل من استبداد إلى سواه ومن احتلال لغيره، فكان لأبناء هذا الشعب نصيب الأسد في خوض غمار تجربة الأسر بكل مرارتها وقسوتها، وبكل متعتها كذلك؛ لما تحمل من معاني التحدي والصمود والجَلَد، وفي السنوات القليلة الخوالي حيث الانتفاضتان، وحيث لم ينجُ فلسطيني تقريباً من تجربة القيد حتى غدت أرقام المعتقلين بالآلاف في شتى قلاع الأسر المتناثرة على طول الأرض الفلسطينية التي تزايدت أعدادها وتوسعت مساحاتها بازدياد المنتسبين لهذه المرحلة الرحيبة التي اتسعت لكل فلسطيني مقدام.

• تجربة الأسر:

تحفل تجربة الأسر بصور شتى متناقضة أحياناً في ذهن السجين، وتحمل انطباعات خاصة ليس سهلاً على من خاض هذه التجربة الحافلة نسيانُ هذا الجزء المهم من تاريخ حياته؛ حيث صور المعاناة المختلفة، والضيق المسيطر، وحرمان الحرية وبخاصة تلك اللحظات التي يُسام فيها السجين ألوان العذاب النفسي والجسدي، مع لحظات الصمود والتضرع إلى الله - تعالى - بحفظ العقل والنفس في هذه اللحظات المخيفة. وهناك جزءٌ لا يُنسى كذلك؛ لأنه لون جديد من الحياة تمتزج أرواح السجناء فيه وتتلاصق قلباً واحداً، فروح الجماعة السيد الآمر الناهي، حيث لا مكان للذات والأنا في هذا القارب، ويشعر الأسير خلال ذلك براحة نفسية واستقرار داخلي لأداء جزء من الواجب تجاه الدين والوطن والشعب..

السجن، والمعتقل، والزنزانة، وكل ظروف العزل، ومحاولات التدمير الممنهج التي استهدفت إرادة الأسير الفلسطيني وإيمانه؛ باءت كلها بالفشل، فالفلسطينيون حوّلوا المعتقلات والسجون إلى مدارس وجامعات، ومعاهد

(*) رئيس ديوان رئيس الوزراء الفلسطيني – غزة

تعليم لغات، ومحــو أميّة، وهكذا تكوّن مجتمع فلســطيني حيــوي متّحد وراء الجدران المعتمة الرطبة، وتحت شــمس الصحــراء، وفي العراء، وتحت الخيــام التي لا تقي من حرّ ولا ترد البرد؛ هذا (المجتمع) بكل قوّته هو الذي زوّد شــعبنا بالخبرات والطاقات، وضخّ في شرايينه العافية، وفي روحه المزيد من الصلابة.

المواجهة بين السجون والمعتقلات ومعسكرات الأسر وبين الفلســطينيين؛ تنتهي في كل الأحوال بخروج الفلسطينيين رجالاً ونســاءً وأطفــالاً مرفوعي الرؤوس. وأمّا الخســائر الطفيفة؛ فإنها ضريبة لا بدّ من دفعها.

في سجون العدو نساء فلســطينيات وَلَدْن في الزنازين بعد اعتقالهن وهنّ حوامل، ومواليدهن يعيشــون معهن في الزنازيــن! ثمة أطفال لم يبلغ واحدهم الخامســة عشــرة (محمد موسى) و (أســيل عبد الواحد)، وأمهات حُرِمن من رؤية أطفالهن وأفراد أسرهن.

في ســجون الصهاينة ومعتقلاتهم يُحرَم الســجناء من لمس أيدي زوّارهم؛ لأن ســجّانيهم يضعــون زجاجاً يفصل بينهم، ويفرضــون عليهم تبادل الكلام عبر (الإنترفون). في معتقلات (أوشفتز) الديمقراطية؛ يُعرّى الأسرى والأسيرات بحجّة تفتيشــهم لإذلالهم وتحطيم كبريائهم تماماً كما حدث في سجن (أبو غريب)!

أذكّركم بــأن الجنــرال الأمــريكيــة (كــاربنســكــي) التي كــانــت مــديرة لســجن (أبو غريب) صرّحت بأنها التقت ذات يوم بشــخص غريــب يتجوّل في الســجن، وعرفت أنه (إســرائيلي!). ذلك الشــخص دخل العراق وتوجّه إلى سجن (أبــو غريب) لتقديم الخبرات التي اكتُســبت في التعامل مع الفلســطينيين للحلفاء الأمريكيين ليطبقوها على الســجناء والأسرى العراقيين!

ودور الأســير لا يمكن تجاوزه أو القفز عنه أو نسيانه؛ دوره في بناء مجتمعه وكيانه؛ حيث يقدم روحه ونفســه هبة للبناء والصعود، فعلى أكتافه يرقى المجتمع ويحقق إنجازاته وطموحاته فــي التحرر والحياة الحرة الكريمة. وأي مجتمع أو فرد ينكر هذا الدور يســهم بمزيد من التزييف والتضليل لذاته أولاً. وبذلك غدا الســجن والقيد سواراً حول معصمه رمزاً ثابتاً لمعاني الفداء والتفاني.

• الأسير والتغير السياسي:

قضية الأســرى والســجون خضعت دومــاً للمتغيرات السياسية؛ لأن أسباب الاعتقال والقيد سياسية. وبالنظر إلى حال سجيننا الفلسطيني في واقع التغيرات السياسية اليوم، وكيف يغدو الأسير بعد اتفاقات أوسلو وواشنطن والقاهرة، وبعد مؤتمرات شــرم الشيخ والعقبة، وبعد حوارات القاهرة وصيغ التفاهم، وبعد قرار الانسحاب من غزة والتهدئة المعلنة فقد أُدرجت قضية أســرى فلســطين على جدول التفاوض الصهيوني - الفلســطيني، ولم يملّ المفاوض الفلســطيني طرحها على الدولــة الصهيونية مطلباً ملحّاً يحفظ له على الأقل مــاء الوجه. وتعهدت الدولة الصهيونية - قبل التوقيع في القاهرة - بالإفراج عن خمســة آلاف سجين فلسطيني فور التوقيع، ولم تفِ إسرائيل بوعدها، وأبقت قضية الأسرى على جدول الابتزاز السياســي تربطها بتوقيع تعهدات تارة، وبشــروط بقائهم فــي مناطق الحكم الذاتي تــارة، وبربط قضيتهم بقضية وجود عملاء للاحتلال وضرورة العفو عنهم أولاً تارة ثالثة، وضرورة ضرب قوى المقاومة وجمع سلاحها تارة رابعة.

وإلى هذه اللحظة؛ لم يحدث أي إنجاز في قضية الأسرى بطريق التفاوض السياسي.

• الأسرى ودور الشعب الفلسطيني:

لــم تنعدم محــاولات التجاوب مع قضية الأســرى من الشعب الفلســطيني بتوجهاته كافة، وتنوّعت هذه المحاولات وتعددت؛ حيث الاعتصامات والإضرابات والمسيرات، إضافة إلى محاولات العمل الثوري لإطلاق ســراح المعتقلين، حيث أجادت حماس تجســيد هذا الدور والاندفاع بحرارة سابقاً فــي أدائه؛ ربما لوجــود طليعة قيادية مثقفــة من قيادات الحركة وعناصرها خلف جدار النســيان فــي ذلك الوقت وعلى رأسهم الشيخ الشــهيد أحمد ياسين، مما كوّن باعث قلق كبيــر، ودفع هذه الحركة مراراً لمحــاولات الإفراج عن المعتقلــين عبر عمليات عســكرية؛ منها خطف الشــرطي الصهيوني (نسيم توليدانو) وطلب الإفراج عن الشيخ ياسين مقابل إطلاق ســراحه، وكذلك محاولــة خطف الباص رقم ٢٥ قرب التلة الفرنســية في القدس حيث استُشــهِد على إثرهــا ماهــر ســرور ومحمد الهندي وهمــا عضوان في خلايا عز الدين القســام الجناح العسكري لحماس، وإصابة العضو الثالث صــلاح عثمان، ومحاولة الحركة المســاومة على جثة الجندي إيلان ســعدون الــذي اختُطِف عام ٨٨، وخطف الجندي ناخشون ناكســمان والمطالبة بالإفراج عن الشيخ ياسين وشحادة وديراني وعبيد ومجموعة من معتقلي الاتجاهات الفلســطينية كافة. وقد حدثت تلك الأحداث

بعد أن كاد غبار النسيان يعلو قضية الأسرى الفلسطينيين ولم يعُد التفاوض السياسي محققاً للأهداف، ثم جاء الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين بعد محاولة اغتيال خالد مشعل في عمان والإفراج عن ستين معتقلاً لبنانياً نظير جثة جندي صهيوني، ولكن بقيت قضية المعتقلين مشتعلة. ثم كانت صفقة الإفراج عن الأسرى اللبنانيين عن طريق القوة، لترسخ رسالة جديدة في الوجدان الفلسطيني مفادها أن الأسرى لن يخرجوا دون توفر ضغط قوي على الحكومة الصهيونية. ثم كانت أخيراً عملية أسر الجندي شاليط التي حققت نجاحاً فائقاً بالحفاظ على الجندي لمدة تقترب من عام، حتى باتت القناعة الكاملة بالاستجابة والإفراج عن النساء والأطفال، والإفراج عن دفعة أولى بعدد ٤٥٠ ومن ثم بعد شهرين الإفراج عن ٥٥٠ أسيراً.

• الأسرى و القفز على جدار النسيان:

عمليات تبادل الأسرى بين الفلسطينيين والعدو الصهيوني؛ ضخّت دماً معافىً في شرايين شعبنا الفلسطيني في الضفّة والقطاع، فالأسرى خرجوا منظَّمين جداً، إيمانهم عميق بأنه بمقدور شعبنا الانتصار في معركته؛ لأنه يواجه عدواً يمكن هزيمته؛ لأنه على باطل؛ ولأنه يعاني من ضعف أخلاقي، وما يجمعه ليس أكثر من أوهام وأساطير يحاول إقناع نفسه بها.

عن قرب، ووجهاً لوجه، وبالخبرة والتجربة؛ عرف الأسرى الفلسطينيون نساءً ورجالاً عدوهم. آلوف المحرَّرين الفلسطينيين الذين تعلّموا في السجن، وطوّروا معرفتهم، وأتقنوا لغة عدوهم، وقرؤوا خارطة تفكيره، ومسار حركته السياسية وتقلباتها، وتحالفاتها وارتباطاتها، وأساليبها التي مارستها على مدى عقود. وهم تجادلوا في الشأن الفلسطيني، وما مرّت به الحركة السياسية الفلسطينية، ودرسوا جيداً أسباب فشل الثورات الفلسطينية الذاتية والموضوعية واستخلصوا العبر، وهكذا صاروا عند خروجهم (الخميرة والملح)، وكانت الظروف مهيّأة لتفجّر الانتفاضة الكبرى التي كانوا في طليعتها.

كان أصحاب قضية الأسر الفلسطيني في كافة المعتقلات، حيث يكويهم لظى القيد، ويحرق أفئدتهم لهيب الحرمان، ويجرح قلوبهم نار الشوق للأهل والوطن؛ مبادرين دوماً لتصعيد قضيتهم؛ إذ كانوا على الدوام جسراً لتحقيق الإنجازات سواء على صعيد تحسين الظرف الاعتقالي أو الضغط للإفراج عن المزيد منهم وبخاصة أصحاب الأمراض المزمنة والعاهات المتعددة.

وسلسلة حروب الأمعاء الخاوية التي قادها المعتقلون في قلاع التحدي الفلسطيني كافة: (عسقلان، غزة، نفحة السبع، كفاريونا، الرملة، مجدو، الظاهرية، الفارعة، جنيد، النقب)؛ تسطّر بمداد الصبر للمعتقلين كافة عظيمَ عطائهم وتضحياتهم. وكان آخر هذه الحروب العامة إضراب ٢٠٠٤ التاريخي، وإضراب العام ٢٠٠٠، التي سبقت انتفاضة الأقصى، وكان لها دور بارز في إذكاء نار المقاومة لدى الشعب الفلسطيني. واليوم يسطر رجال القيد سطوراً تاريخية جديدة تضاف إلى سطور تاريخهم النضالي المضيء عبر سنوات القيد الطويلة؛ باشتراكهم المباشر في التفاوض لإطلاق سراحهم ولإبقائهم شرطَ إطلاق سراح الأسرى دون قيد أو شرط أو تمييز؛ أساساً لنجاح أي اتفاق.

والمحاولات العديدة هذه سواء خارج قلاع التحدي الفلسطيني أو داخلها؛ إن لم يكن لها نتيجة ملموسة في حل أزمة القيد الفلسطيني جذرياً؛ إلا أنها كانت تقفز دوماً بقضية الأسرى فوق جدار الصمت والنسيان لتحدث به شروخاً يسمع من خلالها العالمُ قضيةَ أسرى فلسطين.

هذا كله؛ إضافة إلى دور المؤسسات الإنسانية التي اهتمت بالأسير الفلسطيني وحاولت حل مشكلاته سواء المادية أو المعنوية، مع المحاولات المتكررة لطرح قضية الأسرى إعلامياً لتنال من الاهتمام ما يناسبها.

• الأسرى أولاً:

إن القفز على قضية الأسرى أو تجاهلها جرمٌ خطير أحمق؛ لأنها بالدرجة الأولى قضية ذات بعد إنساني محض، إضافة إلى كونها تحظى باهتمام منقطع النظير لدى فئات الشعب الفلسطيني كافة. لذلك فإن أي تجاوز أو إبطاء أو إهمال أو نسيان لأسرى فلسطين؛ تهمة كبيرة لمن يرتكبها.. ويبقى المفاوض الفلسطيني دون حل لهذه المعضلة جذرياً في قفص الاتهام بعد التفاهمات الفصائلية وبخاصة أن القضية كانت بحاجة فقط إلى القليل من الضغط من جانب السلطة كي يخرج جميع المعتقلين، كما يقول روبنشتاين (مهندس اتفاقيات أوسلو). ولما أهمِل هذا الملف؛ تقدّم أصحاب الشأن من الأسرى ليديروا المعركة بأنفسهم بعد أن استقرت

الرســالة في وجدانهم: «أنت لا تبلغ حقّك إلاّ بذراعك» هذا هو الدرس الذي عرفه شعبنا الفلسطيني بالخبرة والتجربة، وهو ما طبّقه الأسرى الفلسطينيون بلحمهم وأمعائهم، حينما أعلنوا الإضراب عن الطعام مراراً حتى انتزاع حقوقهم، أو ليكن الموت.

إنهم ينتصرون على الشــروط الرهيبة التي يدبّرها لهم العدو، يحوّلون أيام عزلتهم إلى (معرفة) وفعل جماعي، وبهذا يتقوُّون على العدو، ويرفعون رؤوسهم بكرامة، ويحدّقون في عيون جلاّديهم. الكرامة التي دفعتهم لحمل السلاح هي التي جعلتهم يتخلون عن حياة الدعة الشخصية ويهبون كل شيء لشعبهم ووطنهم.

في السجون، تنسج النسوة الفلسطينيات ويطرزن الثياب واللوحــات وهنّ يرضِعــن أطفالهن منتظـرات فجرَ حريّة فلسطين. الأســرى والأســيرات يطالبون بإدخال أطفالهم عنــد زيارتهم للمس وجوههم وتقبيلهــم. وهذا ما تحرمهم منه سلطات سجون العدو أكثر المحتلين والغزاة وحشية عبر العصور.

تضامنوا معهم، تابعوا أخبارهم، لا تســمحوا لعدونا أن يقتلهم في العتمة، فهم بنور عيونهم ينســجون خيوط فجر فلسطين ويبددون الغَبَش الذي ألحقه بها الساقطون، ويعلون من كبرياء الإنسان العربي المسلم المقاوم.

الحركة الأســيرة صاحبــة الدور المشــهود في تفجير الانتفاضة الكبرى (١٩٨٧) عــادت من جديد باللحم والدم والأمعاء الفارغة في أثناء انتفاضة الأقصى، وستعود بعدها إذا لم يتحقق الإفراج عنهم لتضخ في حياة شعبنا السياسية حيويةً؛ من خــلال تلاحم الجماهير مع الأســرى، وتفعيل النشــاطات الجماهيرية الميدانية، وتغليب الفعل الشــعبي في شــوارع المدن والقرى والمخيمات، ومدّ هذا التفاعل إلى تجمعات الفلسطينيين في المنافي.

والحركة الأسيرة كذلك؛ صاحبة دور مشهود في ترسيخ الوحدة الفلسطينية عبر وثيقة الأسرى، وعبر جملة أنشطة تظهر بشــكل جليٍّ الوحدةَ الفلســطينية؛ وأبرزها فعاليات التضامن الوحدوية، والمهرجان الجماهيري الحاشد الذي يبرِز الالتفاف الفلسطيني الموحد حول قضية محل إجماع وطني.

٦،١٦٤،٢٢٥ طالباً وطالبة في التعليم الأساسي.

٩٥٠،٢٧٤ طالباً وطالبة في التعليم العالي.



الدكتور: حارث سليمان الضاري[*]

إن أهمَّ ســلاح يواجه به الشــعب الفلســطيني أعداءه الغاصبين - بعد تمســكه الشديد بقضيته وأمله في كسبها في النهاية - هو وحدته الوطنية التي ينبغي أن يحرص عليها وأن تســعى كل قياداته لها، وأن تكــون مطلباً يعمل الجميع من أجل تحقيقه، فقد أسهمت في صموده واستمرار جهاده ونضاله ضد الغاصبين الصهاينة على مدى السنين والعقود الماضية، وأرغمت أعداءه على الاعتراف ببعض حقوقه وعلى الحد من أطماعهم وأهدافهم الشريرة في فلسطين والمنطقة كلها.

ولــذا لا يجوز التمادي في التفريــط بالوحدة الوطنية الفلسطينية من أيِّ طرف كائناً من كان في السلطة أو غيرها ولأي سبب كان، فالشعب الفلسطيني لم يعد يتحمَّل المزيد من المآســي والآلام، ولم تعد القضية تتحمَّل المزيد من الخسائر والتراجعــات، وعلى هــذا ينبغي على القوى الفلســطينية المؤثرة في الســاحة أن تراجع نفســها، وأن تغلِّب المصلحة الفلســطينية على مصالحها الذاتيــة والفئوية، وأن تراجع حســاباتها في هذا المجال وتنهي الخلاف الحالي بينها وما أدى إليه من المآسي والإحباط للشعب الفلسطيني ولأحبابه والمهتمين بقضيته من العرب والمسلمين الذين يعدّون القضية الفلســطينية قضيتهم الأولى التي تهــون دونها كل قضية. وهذا الخلاف إن استمر فإنه سيؤدي إلى الإضرار بالقضية الفلســطينية أكثر من أي وقت مضى، وربما يؤدي أيضاً إلى فقد ثقة الشعب الفلسطيني بقياداته المختلفة.

كمــا يجب على العــرب والمسلمين - حكامــاً وشــعوباً - أن يقفوا إلى جانب الشعب الفلسطيني الصابر، وأن يعملوا على إنهاء الخلاف الحاصل بــين بعض قياداته، ويضغطوا على الكل لتحقيق هذا الأمر الهام دون تحيُّز إلى طرف دون الطرف الآخر، والعمل على إنهاء الحصار الجائر المضروب على الشــعب الفلســطيني عموماً وعلى أهل غزة خصوصاً الذي أكل منهم الأخضر واليابس وتركهم على شــفا هلاك متوقع. ولا يعذر العرب بعد اليوم على ســكوتهم غير المبرر والمقبول، وســيعرِّضون أنفسهم للسؤال عن ذلك يوم القيامة يوم يقول الله - تعالى - لملائكته: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾.

[الصافات: ٢٤]

(*) الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق

الطريق إلى فلسطين أرض الإسلام والمسلمين

العلامة عبد الرحمن عبد الخالق

بدأت فكرة إقامة دولة لليهود في فلسطين منذ مائة وعشر سنوات تقريباً؛ مشروعاً في عقل (هرتزل)، ثم ورقة عمل في مؤتمر (بال) في سويسرا سنة ١٨٩٧م. وقد بدأ التنفيذ الفعلي للفكرة بتجميع اليهود في العالم مالاً وقوةً وسعياً في كسب الأنصار والمعاونين، ثم تدميراً وإزالة للحواجز التي تحول دون ذلك؛ بدءاً بتحطيم دولة بني عثمان التي حمت أرض الإسلام على العموم من الأعداء وفلسطين على الخصوص من اليهود، ثم تدميراً لكل القوى التي كانت تريد الحيلولة دون إقامة دولة لليهود في أرض فلسطين، فهزمت شتات الدول العربية في عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و١٩٦٧ (الهزيمة الكبرى) التي لم يُعرف في التاريخ حرب أقصر منها أياماً وأبلغ هزيمةً وضياعاً، وفي عام ١٩٧٣، ثم استطاع اليهود بعد ذلك أن يمحوا فكرة التضامن الإسلامي تجاه قضية فلسطين ثم التضامن العربي ثم التضامن الإقليمي، ثم فكرة العداء لهم وحربهم بعد إقامة معاهدات للسلم الدائم تلغي فكرة الحرب معهم إلى الأبد وتقبل بدولتهم كما حدث في معاهدة (كامب ديفيد) المصرية والمعاهدة الأردنية وكما هو سعيهم ليقوم مثل ذلك مع كل الدول العربية، ولتصبح دولة اليهود كياناً في إطار الموقع الذي سموه (الشرق الأوسط).

واندحر الشعب الفلسطيني في هذه المسيرة الطويلة إلى: مشردين خارج فلسطين، ومحبوسين في سجن كبير لم يعهد مثله في التاريخ في قطاع غزة وفي جزء من الضفة الغربية؛ بلا مسمى معترف به في العالم، فليس هذا السجن دولة مستقلة، ولا كياناً تحت الاحتلال، ولا أرضاً تدخل تحت أي تعريف مما يدخل في إطار ما يسمى بالأمم المتحدة، ولذلك فأهل هذا السجن مستباحون دماً وعرضاً وهدماً وتدميراً وتجويعاً مما لا يوجد له مثيلٌ في العالم.

ما الحل؟

لست أرى حلاً إلا أحد هذه الحلول الثلاثة:

أولاً: ما أمر الله - تبارك وتعالى - به موسى - عليه السلام - وبني إسرائيل أن يدخلوا أرض فلسطين مقاتلين، قال - تعالى -: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، وقوله - تعالى -: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقد دخل اليهود باب فلسطين مقاتلين فانتصروا وكانوا يومئذ على الحق وكان أعداؤهم أضعاف أضعافهم، فغلبوهم وشردوهم بل أبادوهم.

ثانياً: الدخول الثاني لليهود إلى أرض فلسطين بعد أكثر من ثلاثة آلاف سنة في التيه والتشريد في الأرض كلها بعد وضعهم مشروع (هرتزل) قيد التنفيذ. والفلسطينيون كذلك يحتاجون اليوم إلى مشروع مشابه يجمع شتات أهل فلسطين في كل مكان ليوحدهم على هدف الرجوع إلى أرضهم وإخراج عدوهم، ولو كان هذا مشروعاً لمائة سنة قادمة فإنه ليس بطويل.

ثالثاً: مشروع أهل الإسلام الذين دخلوا فلسطين فاتحين في خلافة راشدة وجهاد لإعلاء كلمة الله في الأرض، وهذا المشروع هو المأمول تحقيقه.

وأما الطمع والظن في أن يتنازل اليهود عن شيء من أرض فلسطين لإقامة دولة للفلسطينيين أو وطن آمن لهم مهما تنازل الفلسطينيون والعرب لهم لتحقيق هذا المطلب؛ فلن يكون هذا؛ لأن اليهود عاقدون العزم ومصممون أن تبقى فلسطين كلها لهم دون شعبها، ولذلك فإنهم لن يتنازلوا للفلسطينيين عن دولة أو كيان آمن يمكن أن يقام للفلسطينيين على أرض فلسطين.

وكل ما يُطرح بعد ذلك من مساعدة للشعب الفلسطيني فإنه لا يعدو أن يكون شيئاً من الرفق بسجناء في أرضهم، فيُرفع عنهم حصار مفروض أو تُمد لهم يد مساعدة أو مشاركة ممن هم خارج هذا السجن؛ في البكاء والنحيب أو الشجب والعويل.

السبيل إلى النصر

الشيخ عبد المجيد الريمي

إخواننا المسلمين المجاهدين في أرض فلسطين المسلمة!

نسأل الله أن يبارك فيكم كما بارك في أرضكم المقدسة وقدسكم المبارك. لا يخفى عليكم أن الله وضعكم في مقام جليل وشرف رفيع ألا وهو مقام البداية لتحريك الأمة نحو الانعتاق من الاحتلال الثقافي والعسكري، وإحياء شريعة الجهاد في سبيل الله وتحرير الأرض الإسلامية. ولكن الجاهلية المعاصرة بما وصلت إليه من تعاون وبما تمثله من ركام متلاطم تجعل الإنسان على يقين بأنه لا يقدر على زحزحتها وهدم أركانها إلا رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، رجال علموا أن طريق العزة والخلاص هو في الجهاد، وأن تركه هو عين الهزيمة والذلّ، وهذا ما بيَّنه نبينا ﷺ بقوله: «إذا تبايعتم بالعينة، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم». فاللهَ اللهَ أيها المسلمون! في فلسطين خصوصاً وفي جميع أرض الإسلام عموماً، يجب علينا الرجوع إلى دين الله نصوصاً وفهماً، والتمسك بالكتاب والسنة وما كان عليه الرعيل الأول، وعليكم أيها المسلمون! في فلسطين خاصة أن تتوحدوا وأن تتخلصوا من الأفكار المستوردة، والانحرافات الموروثة التي لم يصح نسبتها إلى الإسلام. ونوصيكم جميعاً بتقوى الله وأخذ العدة الإيمانية والروحية، والترفُّع عن الانتماءات الضيقة؛ فأنتم تمثلون جميع المسلمين، وفقكم الله ونصركم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

للخير أبواب

١١ عاماً من العطاء..

مجموعة مواقع الإسلام

المشرف العام الشيخ

محمد صالح المنجد

تطويع التقنية لخدمة الإسلام

- الإسلام سؤال وجواب — islamQA.com
- الإمام بن باز — binbaz.org.sa
- الصوتيات والمرئيات الإسلامي — islamAV.com
- المختار الإسلامي — islamselect.com
- العمل للإسلام — workforislam.com
- إمام المسجد — alimam.ws
- نبي الإسلام — islamprophet.ws
- رمضانيات — ramadan.ws
- الراصد — rased.ws

www.islam.ws



خدمة زاد لنشر الخير والعلم النافع، تدعوك للانضمام إليها لتصلك يوميا مجموعة من الأحكام والفوائد والمواعظ والفتاوى والقصص والنصائح والأخبار.

خدمة زاد.. رسائل نصية يكتبها وينتقيها لكم فضيلة الشيخ



المشرف العام على مجموعة مواقع الإسلام www.islam.ws

خدمة زاد طالب العلم

خدمة زاد الإنجليزية

خدمة زادها

www.zad.ws

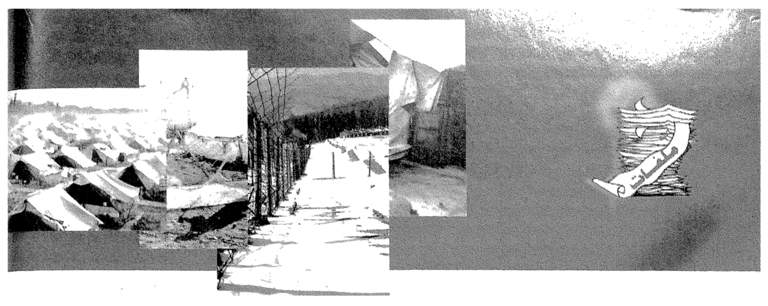
للاشتراك ارسل رقم 1 إلى رقم الشركة مزود الخدمة

الجوال ٨٠٦٠٠ موبايلي ٦٨٦٨

هذا الإعلان برعاية

مجموعة زاد

ZAD GROUP



المخيمات الفلسطينية في الشتات

معاناة مستمرة

وهوية تتجاذبها الأهواء!

فرج شلهوب(*)

• نكبة مستمرة:

ستون عاماً مضت بالكمال والتمام على نكبة الشعب الفلسطيني الأولى، كل سنة من هذه السنوات كانت سجلاً حافلاً بالمعاناة والألم.. ألم التشرد والحرمان، وألم الاغتراب عن الوطن والتشتت في أصقاع الكون. فما تعرَّض له الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨م من نكبة لم يكن مجرد حدث عابر، لقد كان مأساة حقيقية لا تزال نتائجها ومراراتها تنتصب رغم مرور كل هذه السنوات: اقتلاع من الوطن، وتشريد في أصقاع العالم، بينما تتقلص مساحات الأمل بالعودة يوماً بعد يوم، عبر بوابة الحل السياسي.

ورغم صدور أكثر من خمسين قراراً عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن، تنصُّ على حق «العودة» للاجئين الفلسطينيين، ومن أبرزها: القرار ١٩٤ الصادر عام ١٩٤٨م، والذي نصَّ صراحة على «وجوب السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم»؛ إلا أن أحداً لم يلتفت إلى منطوق القرار أو يأبه لتنفيذه، بينما يجري اليوم نسج مقايضات تدعو إلى استبدال حق العودة بالتوطين في أماكن الوجود في الشتات، أو البحث عن صيغ للعودة لا تستجيب لحق اللاجئين في العودة إلى مُدنهم وقُراهم التي اقتُلعوا منها.

لقد تسبَّبت حرب ٤٨ في تدمير الوطن الفلسطيني، الذي كان خاضعاً للانتداب البريطاني على مدى ثلاثة عقود، لتفرض الدولة الصهيونية وجودها وحضورها على مساحة نسبتها ٧٨٪ من أرض فلسطين التاريخية، بينما جرى إخضاع الجزء المتبقي من الوطن الفلسطيني للإدارة العربية، ليختفي اسم «فلسطين» تحت مسميات «قطاع غزة» تحت الإدارة العسكرية المصرية، و«الضفة الغربية» تحت الإدارة الأردنية، قبل أن تستكمل الدولة الصهيونية احتلال جميع الوطن الفلسطيني في عام ١٩٦٧م، ليضاف إلى أعداد اللاجئين الفلسطينيين في المنافي والوطن آلاف جديدة، دون أمل وحماية وتوفير أدنى مستلزمات الحياة والبقاء، في مخيمات بؤس يكسو سطوح منازلها الصفيح المهترئ.. وتحشر بيوتها بعضها فوق بعض، على مساحات في منتهى الانسداد والضيق.

• أرقام ومعاناة تزداد مع الأيام:

حسب القراءات الفلسطينية فقد شكلت النكبة محطة

(*) مدير تحرير صحيفة (السبيل) – الأردن.

سوداء في التاريخ الحديث للشعب الفلسطيني؛ فمن جهة جرى طرد اللاجئين الفلسطينيين من وطنهم وأرضهم، بعد تجريدهم من أملاكهم وبيوتهم، ومن جهة ثانية جرى تشريدهم في شتى بقاع الأرض، لمواجهة أصناف المعاناة والويلات كافة. وتمثلت النكبة باحتلال ما يزيد عن ثلاثة أرباع فلسطين، وتدمير (٥٣١) تجمعاً سكانياً فلسطينياً، وطرد وتشريد ما نسبته ٨٥٪ من السكان الفلسطينيين من بيوتهم.

وحسب تقديرات دائرة الإحصاء الفلسطيني؛ فإن عدد الفلسطينيين الذين طُردوا نتاجاً لأحداث النكبة عام ٤٨ يقارب (٧٥٠) ألف فرد، إضافة إلى (٣٥٠) ألفاً آخرين هجِّروا عام ١٩٦٧م. وعن التقديرات الحالية لأعداد الفلسطينيين في الشتات؛ فتقدِّر الدائرة العدد بنحو خمسة ملايين، يتمركز غالبيتهم في الأردن بعدد ٢,٨ مليون، ويتمركز في باقي الدول العربية (١,٦) مليون، أما الباقون فيتفرقون في أنحاء مختلفة من بقاع الأرض، أكثر من نصفهم سجلوا لاجئين. وحسب إحصاءات وكالة غوث اللاجئين في (٢٠٠٦/٣/٦م) فإن أعداد اللاجئين الفلسطينيين المسجلين لديها على الشكل التالي: في الأردن وسورية ولبنان والضفة الغربية وغزة بلغ عددهم أربعة ملايين و٣٤٩ ألفاً و٩٤٦ لاجئاً، يقطن من بينهم (١,٢٧٨,٦٧٨) لاجئاً في مخيمات اللجوء.

فاللاجئون إلى لبنان يبلغ عددهم (٤٠٤) آلاف لاجئ، يعيش جميعهم في مخيمات لبنان البالغ عددها اثني عشر مخيماً، ويبلغ عدد المسجلين لاجئين في الأردن حسب وكالة الغوث مليوناً و٨٢٧ ألف لاجئ، يعيش منهم ٢٨٨ ألفاً في عشرة مخيمات.

أما سورية فيبلغ عدد اللاجئين فيها نحو (٤٣٢) ألفاً، يعيش منهم (١١٦) ألفاً في عشرة مخيمات.

• عودة وهوية وطنية تغالب الغياب:

حافظ الفلسطينيون في تجمعات الشتات على درجة كبيرة من التماسك الاجتماعي وعلى هويتهم الوطنية، بل تحوَّل رمز «المخيم» إلى شاهد ضخم على قضية الشعب وإصرار أبنائه على استعادة حقهم في وطنهم مهما طالت السنون.

ورغم تباعد السنين منذ النكبة الأولى إلا أن حلم العودة إلى الوطن ما يزال دافئاً نديّاً لا يفارق أفئدة اللاجئين، تسمعه على ألسنة الصغار قبل الكبار، في أبلغ قصة تصميم تؤكد تمسُّك اللاجئين الفلسطينيين بحق العودة؛ أولاً وآخراً وحتى آخر رمق.

لقد خضعت التجمعات الفلسطينية في الشتات لترتيبات قانونية وسياسية متباينة؛ ففي الأردن تحول الفلسطينيون إلى مواطنين أردنيين لهم الحقوق نفسها وعليهم الواجبات ذاتها، باستثناء شريحة منهم، وهم اللاجئون من قطاع غزة، والبالغ عددهم ١٥٠ ألفاً. أما في لبنان فقد جرى عزل اللاجئين الفلسطينيين داخل مخيماتهم، وعُوملوا معاملة «لاجئين» وحسب، وحُرموا من أية حقوق سياسية. بينما حافظ الفلسطينيون في سورية على هويتهم الوطنية، ولكن مع التمتُّع قانونياً بالحقوق نفسها التي يتمتع بها السوريون.

وفيما يلي تسليط مزيد من الأضواء على أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في الشتات، وتحديداً في سورية والأردن ولبنان:

• المخيمات الفلسطينية في لبنان:

يبلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا إلى لبنان عام ١٩٤٨م ١٣٠ ألف لاجئ فلسطيني، قدموا من منطقة الجليل وعكا وبيسان وصفد والناصرة وطبريا وحيفا. ويوجد في لبنان اليوم (١٦) مخيماً رسمياً دُمِّر منها ثلاثة أثناء سنوات الحرب ولم يُعَد بناؤها من جديد وهي: مخيم النبطية، ومخيما الدكوانة وجسر الباشا، وهناك مخيم رابع وهو (مخيم جرود) في بعلبك جرى إجلاء أهله ونقلهم إلى مخيم الرشيدية جنوب صور.

ويعيش اللاجئون الفلسطينيون داخل تلك المخيمات أوضاعاً إنسانية صعبة للغاية؛ بسبب عدد من العوامل، أهمها: عدم تناسب عدد الساكنين مع مساحة الأرض المقام عليها المخيم؛ فعلى سبيل المثال: مساحة مخيم شاتيلا نحو أربعين دونماً، بينما يقدَّر عدد اللاجئين المقيمين فيه بنحو ثلاثة عشر ألف نسمة، مما يؤدي إلى انتشار البناء العشوائي. ومع غياب الرقابة المختصة فإن معظم الأبنية أقيمت على أساسات ضعيفة مما يجعلها مهددة بالانهيار، ولضيق مساحة الأرض فإن معظم الأبنية متلاصقة مع بعضها، ناهيك عن غياب الرقابة البيئية والصحية وضعف بنية الصرف الصحي وإهمال صيانة شبكات المياه والمجاري مما يؤدي إلى اختلاط مياه الشرب النظيفة بالمياه الآسنة وتلوثها وانتشار الأوبئة والأمراض الخطيرة في صفوف سكان المخيمات وبشكل خاص الأطفال، فضلاً عن غياب الخدمات البلدية وانتشار النفايات بين المنازل وامتلاء الطرقات الضيقة بالحفر وتحوُّل شوارع المخيمات وأزقتها إلى بحيرات صغيرة تتجمع فيها المياه الآسنة ويدخل قسم كبير منها - خصوصاً في فصل

الشتاء - إلى المنازل.

أما الخدمات الطبية والصحية فغالبية اللاجئين يعانون من مشاكل العلاج وتأمين المال اللازم له، مما يضطرهم إلى طلب العـون من الجمعيات الأهلية وحتى إلى التسـول في بعض الأحيان، خصوصاً أن الإجراءات التعسـفية اللبنانية تمنع الفلسـطينيين من الحصول على العنايـة الطبية في المستشـفيات والعيـادات الحكومية، وفاقـم الوضع خروج منظمة التحرير الفلسـطينية من لبنـان وغياب خدماتها، وكذلك تقليص «الأونروا» لخدماتها.

وعلى سـبيل المثال: فإن عدد سـكان مخيم عين الحلوة يبلغ (٦٠,٠٠٠) نسمة، فيه عيادتان فقط، وعدد الأطباء في العيادتين لا يتجاوز عشرة أطباء.

أما أوضاع التربيـة والتعليم فحدِّث ولا حرج، فالطلاب مكدَّسـون في الصفوف في مـدارس لا توفر الحد الأدنى من مسـتلزمات التعليم، ويتزايد النقص باستمرار في عدد الصفوف والمدرسـين وأدوات التوضيح والمختبرات، كل ذلك أدى إلى زيادة معدل التسـرب من المدارس والتراجع العلمي للطلاب.

وتبـدو المأسـاة أكثر وضوحـاً في أوضـاع المخيمات الاقتصادية؛ فالحكومات اللبنانية المتعاقبة منذ عام ١٩٤٨م وحتى اليوم لم تتوانَ يوماً عن اتخاذ أشد الإجراءات والقوانين التي تحد من التنقل والإقامة والعمل للفلسـطينيين، وهاكَ بعضاً منها:

- القرار رقم ٣١٩ عـام ١٩٦٢م الذي صدر عن وزارة الداخلية اللبنانية يصف اللاجئين الفلسطينيين بأنهم فئة من الأجانب ويجب عليهم الحصـول على إذن عمل قبل مزاولة أيِّ مهنة.

- قانـون أمـين الجميِّل رئيس الجمهوريـة اللبنانية الأسـبق رقم ٢٨٩١ عام ١٩٨٢م الذي منع الفلسطينيين من ممارسة ٥٧ مهنة ووظيفة.

- قانـون عبد اللـه الأمين وزير الشـؤون الاجتماعية في حكومة رفيق الحريـري الذي رفع عدد المهن والوظائف المحرَّمة على الفلسطينيين إلى ٧٥ مهنة ووظيفة.

وللتذكير فإن هناك حوالي (٢٠,٠٠٠) لاجئ فلسـطيني غير مسـجلين لدى مديرية اللاجئين الفلسـطينيين التابعة لوزارة الخارجية اللبنانية، وليـس لديهم أوراق ثبوتية، مما يؤدي إلى حرمـان أطفالهم من كل الحقوق المدنية حتى من الدراسة.

وثمَّة خوف فلسـطيني من اتفاق لبنانـي - دولي على ترحيل اللاجئـين الفلسـطينيين، على اعتبـار أن توطين اللاجئين الفلسـطينيين في لبنان يشكل خطراً على تركيبة البلد الطائفية والخاضعة لحسابات دقيقة.

• اللاجئون الفلسطينيون في سورية:

ليست هناك علامات خاصة تميز المخيمات الفلسطينية في سورية عن سواها من الأحياء السكنية الشعبية البسيطة التي تقطنها الشـرائح السـورية الفقيرة والمتوسطة، وهذا الأمر ينطبق علـى عموم هذه المخيمات، سـواء كانت تلك القائمة على أطراف العاصمة دمشـق، أو نظيرتها المتناثرة في بعـض المحافظات السـورية الأخرى؛ كحلـب ودرعا واللاذقية وغيرها. ولولا بعض التفاصيل الصغيرة شـديدة الخصوصية التي طبعـت المخيمات حتى أواخر الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي بطابعها، كملصق لأحد الفصائل السياسية الفلسطينية هنا، أو صورة شهيد فلسطيني هناك؛ لكان تمييز المخيم الفلسطيني عما سواه من الأحياء السكنية أمراً في غاية الصعوبة، ولكن عدم وجود أي نوع من التمييز ضد الفلسطينيين في سورية حمل من وجهة نظر بعضهم في طياته سلبيات كثيرة على مدى العقود الماضية، بقدر ما حمل من قيم الإخاء الإسلامي والقومي.

فـي عـام ١٩٤٨م تدفق مـا يزيد عـن (٨٥) ألفاً من الفلسـطينيين إلـى سـورية، معظمهم هُجِّروا قسـراً من مناطق صفد وطبرية وحيفا والناصرة. وفي البداية سـكن اللاجئـون الخيام التي قدمتها المنظمة الدولية، بعدما آوَتْهم بيوت أشقائهم السـوريين المتواضعة ضيوفاً لبعض الوقت، ليجري لاحقاً تشييد عدد من المخيمات لسكناهم في مناطق التجمعات الأساسـية، التي لم يكن أيٌّ من اللاجئين يحسب أو يتخيل أن الإقامة فيها ستمتد إلى عقود طويلة.

قامـت المخيمات الصغيرة التي بنيـت بداية على عجل علـى أطراف بعض المدن السـورية، وخصوصـاً العاصمة دمشـق، لكن لم تلبث هذه المخيمات أن بدأت تكبر وتتوسع لتلبية الحاجات المتزايدة للاجئين، وأصبحت تتخذ شكل مدن صغيرة، ولعل أهم هذه المخيمات تلك التي أقيمت على تخوم دمشـق، ومنها: مخيم اليرموك الذي يقيم فيه أكثر من ١٠٠ ألف من اللاجئين، وهو بالإضافـة إلى ذلك أكثر المخيمات نشاطاً على الصعيدين السياسي والثقافي.. وهناك مخيمات «خان الشـيح»، «دنّون»، «سبينة»، «السيدة زينب»، «جرمانا»، و«الوافدين»، وكلها في ريف دمشق.

كمـا أن هنـاك مخيمـات صغيرة في كلٍّ مـن: حلب، وحمص، ودرعا، واللاذقية، وثمة نسـبة لا يسـتهان بها من فلسطينيي سورية يعيشـون خارج المخيمات، ويتفرقون في أغلب المحافظات والمناطق السـورية، وخصوصاً في أحياء العاصمـة مثل: «دمر»، و «ركن الدين» و«دمشـق القديمة». ويشكل اللاجئون في سورية نسبة ٤,٥٪ من مجموع سكانها، ونحو ١١٪ من مجموع اللاجئين الفلسطينيين في الشتات.

وقد انخرطت المخيمات الفلسـطينية في سـورية في العمل الوطنـي منذ انطلاقة الثورة الفلسـطينية في العام ١٩٦٥م، وقدمـت طوال فترة الكفاح المسلَّح أكثر من أحد عشر ألف شهيد وجريح.

ومع تبدُّد أحلام التحرير السريع للأراضي الفلسطينية المحتلـة، وعجز العرب بعد مرور عدة سـنوات على النكبة عن القيام بأية خطوات عمليـة فعَّالة تجاه عودة اللاجئين؛ صدر في سـورية بتاريخ ١٩٥٦/٧/١٠م القانون رقم (٢٦٠)، الذي ساوى كلياً بين العرب السوريين والفلسطينيين من حيث الحقوق والواجبات، إذ نصَّ صراحة على أن «الفلسـطينيين المقيمين في أراضي الجمهورية العربية السـورية كالسوريين أصلاً في جميع ما نصت عليـه القوانين والأنظمة المتعلقة بحقوق التوظيف والعمل والتجارة والتعليم وخدمة العلم، مع تمايز وحيد وهو احتفاظهم بجنسـيتهم الفلسطينية حفاظاً على حقوقهم المستقبلية في عودتهم إلى أرضهم المحررة».

كما أتاحت التشريعات السـورية للاجئين الفلسطينيين حق المشـاركة في الانتخابات والترشـيح للنقابات السورية المختلفة والمنظمات الشـعبية، وحجبت عنهم فقط المشاركة في الانتخابات البرلمانية، والانتخابات الرئاسية، حرصاً على هويتهم الوطنية الفلسطينية.

ويشـكل الحرفيون والمهنيون والموظفون الصغار معظم أبناء المخيمات، وتوجد بين ظهرانيِّهم نسـبة لا بأس بها من المتعلمين والمثقفين وحملة الشـهادات العليا والاختصاصات العلمية المتطورة، ولكن هذه النسـبة آخذة بالتراجع مع عودة الأمِّية إلى المجتمع السوري بشكل عام، والتي تنعكس بصورة فجَّة على واقع المخيمات.

وهذه الأيام أكثر ما يصدمك بوصفك إنسـاناً إلى حد البكاء، وأنت تدخل أحد المخيمات الفلسـطينية في سورية؛ مشـاهدة بعض الفدائيين السـابقين، وخاصة أولئك الذين تركت العمليات الحربية على أجسادهم علامات بارزة، وقد تحولوا إلى بائعي دخان مهرَّب.

وفي مخيم اليرموك الواقع على أطراف دمشق الجنوبية، ويضـم أكبر تـجمع للاجئين الفلسـطينيين في سـورية سيشير لك أحدهم إلى صاحب كشك، أو سائق سيارة أجرة، أو عامل بناء، أو أجير في مطعم، أو مدمن مخدرات.. ويقول لك: «ذاك كان فدائياً!».

• اللاجئون الفلسطينيون في الأردن:

تعامـل الأردن مع اللاجئين الفلسـطينيين إلى أراضيه بوصفهم مواطنـين أردنيين، لهم كامل الحقوق وعليهم كامل الواجبـات، على خلفية قـرار الوحدة عـام ١٩٥٠م، وعدِّ الضفة الغربية جزءاً من المملكة الأردنية، باستثناء اللاجئين الفلسطينيين القادمين من قطاع غزة؛ فقد جرى استثناؤهم من منح الجنسـية الأردنية أو معاملتهم على قدم المساواة مع بقيـة المواطنين، مما أوجد قضية مـن نوع خاص، صاحبَها عدد من القوانين التي أثقلت كاهل هذه الشـريحة التي يبلغ عددها اليوم مائة وخمسـين ألفاً من اللاجئين، تكاد تقترب تعقيدات حياتهـم والصعوبات التـي يواجهونها من معاناة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.

هذه الفئة من اللاجئين تسـكن في مناطق مختلفة من الأردن، لكن أغلبيتها تسـكن في مخيم غزة في جرش الذي يعاني من سوء البنية التحتية والخدمات المقدَّمة. ويحتل أبناء غزة أدنى الطبقات الاجتماعية حسـب الترتيب الاقتصادي للاجئين الفلسطينيين في الأردن، وما زالت أوضاعهم الأشد بؤسـاً؛ حيث يعملون في الأعمال الرخيصة في الإنشـاءات والمصانع والأعمال اليومية بسبب الصعوبة التي يجدونها في الالتحاق بالوظائف الحكومية والجامعات الرسمية.

والحكومة الأردنية كانت قـد منحت أبناء غزة المقيمين إقامة دائمـة في الأردن جوازات سـفر مؤقتة عام ١٩٨٧م لتسـهيل معاملاتهم وسـفرهم، وهذه الجـوازات لا تعني الجنسـية، إلا أن قائمة الاسـتثناءات من منـح الجوازات المؤقتة بدأت تتسـع، وزادت أعـداد المحرومين من امتلاك هذه الجوازات ولأسباب مختلفة، كما أنه في الآونة الأخيرة - حسـب عدد من أبناء غزة - بدأت عمليات رفض تجديد الجوازات تتزايد، وهو الأمر الذي أوجد شـريحة واسعة من أبناء غزة ممن لا يحملون أية وثيقة إثبات رسـمية سـارية المفعول.

وأما الأوضاع المعيشية لأبناء غزة في الأردن فهي الأسوأ من بين بقية اللاجئين فـي الأردن؛ فعلى الصعيد التعليمي: هناك تمييز بين الطلبة من أبناء غزة في الأردن الذين يحملون

شـهادات أردنية وبين أقرانهم من الطلبة الأردنيين من حيث القبول في الجامعات الحكومية وقيمة الرسوم المدفوعة التي تكون عادة مضاعفة عليهم، وهذا يشكل مشكلة كبيرة لأبناء غزة تعوق اسـتكمال تعليمهم في الجامعات. أما في الجانب الصحي: فهناك مشـكلة في توفيـر كلفة معالجة الأمراض المسـتعصية، حيث لا يسـتطيع أبناء غـزة الحصول على إعفاءات لمتابعة علاجهم في المستشفيات الحكومية.

ويمكن قـول الشـيء نفسـه فيما يتعلق بالتوظيف؛ فالكثير من أبناء غزة الذين يحملون شـهادات جامعية في الصيدلة والهندسـة وغيرها من التخصصات لا يستطيعون العمل في القطاع العام ويواجهون تضييقاً في الحصـول على وظائف في القطاع الخـاص. والمعاناة ذاتها تتكرر في موضوع تسـجيل ملكية العقارات حتى للسكن، أو افتتاح أعمال خاصة.

وللعلم؛ فإن مسـمى «أبناء غزة» وصف غير دقيق لهؤلاء اللاجئين الذين حضروا مـن أماكن مختلفة من قرى ومدن فلسـطين، ونحو ٩٠٪ ممن يطلق عليه وصـف «أبناء غزة» المقيمـين فـي الأردن هم في الحقيقة لاجئـون من مناطق فلسـطين المحتلة عام ٤٨، وقد اكتسبوا مسمى غزة بسبب لجوئهم الأول إلى قطاع غزة في العام ٤٨، بينما كان لجوؤهم الثاني إلى الأردن في العام ٦٧، ولم يشفع لهؤلاء أنهم أقاموا في الأردن إقامة دائمة على مدى أربعة عقود، وأصبحت لهم بيـوت وربما بعض الأملاك، بينمـا هم لا يملكون في قطاع غزة شبراً ولا فتراً من الأرض.

ولا نغفل أن اللاجئين الفلسـطينيين في الأردن من غير أبناء قطاع غزة، وتحديداً المقيمين في ثلاثة عشـر مخيماً؛ يعانون من شظف العيش وسوء الأحوال الاقتصادية ما يعانيه سـكان المخيمات عموماً في الداخل الفلسطيني والشتات، سواء كانت تلك المعاناة متمثلة في اهتراء المساكن أو الاكتظاظ السكاني، أو عدم توفر البنى التحتية لعموم الخدمات، أو انخفاض نسب التعليم العالي، وصعوبة الأوضاع الاقتصادية، وغياب التأمين الصحي.

• خاتمة:

هذه الأوضاع وسـواها مما يعانيه سكان المخيمات في الشـتات؛ تعكس بعض المعاناة التي يعيشـها اللاجئون على مدى سـتة عقود، وهو ما يفرض إعـادة النظر والعمل على تخفيـف معاناة هـؤلاء اللاجئين دون الإضـرار بقضيتهم الوطنيـة وحقهم فـي العودة، وهي معادلـة دقيقة لا يجوز مقاربتها دون ضبط للحسـابات، فالمطلـوب التخفيف من المعاناة وتعزيز الصمود، وليس تذويب الهوية وتنفيذ أجندات ذات ارتباط بمشـاريع التوطين، بحسب ما ترغب السياسة الأمريكية والصهيونية، وهذا يقتضي:

أولاً: عدم إلغاء المخيمات بوصفها شاهداً على اللجوء، ولكن ليس إدامة المعاناة وتعقيد حياة اللاجئين.

ثانياً: تعزيز الهوية الوطنية للاجئين، وإسناد مطالباتهم بحـق العودة، وتعزيز صمودهم وإصرارهم على تحدي إرادة الاحتلال ومشاريعه العنصرية.

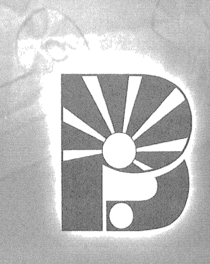
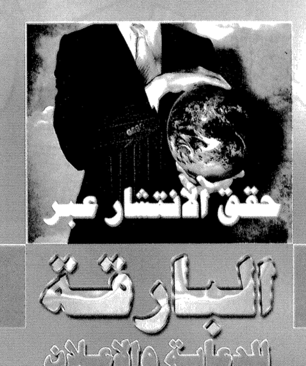
ثالثاً: إيجاد صيغ من العمل المجتمعي والسياسـي داخل تجمعات اللاجئين، وبما لا يتعارض مع سيادة ومصالح الدول العربية المضيفة، وتسـمح بجعل قضية الشتات الفلسطيني حاضرة وفاعلة وقادرة علـى التعبئة والعمل من أجل فرض حق العودة.

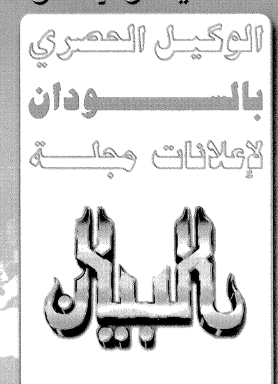
رابعاً: إنجاز إطار مؤسسي بوزن اعتباري مناسب، ينسق أداء الناشطين في موضوع اللاجئين - أفراداً ومؤسسات - ويفعّله ويضبطه ويوحّده ويحظى بمشـروعية العمل عربياً، وبالإسناد المادي والمعنوي.

تضحيات الانتفاضة الثانية
٢٨/٩/٢٠٠٠م - حتى الآن

الشهداء	٥٠٥٠*
الجرحى	٥٠ ألفاً
المعتقلون	١٠٤٠٠**
مدارس مغلقة	١٢
مدارس معطلة	١١٢٥
مبانٍ مدمرة	٢٧ ألفاً
أشجار مدمرة	مليون
منع الوصول للعمل	٤٠٠ ألف عامل***
الخسائر	١٥ مليار دولار

(*) منهم ٩٣٧ طفلاً و ٢٥١ امرأة.
(**) منهم ٣٣٠ طفلاً.
(***) خسروا ٣ مليارات دولار.



للاتصال

هواتف:

٠٠٢٤٩٩١١٦٠١٠٥٠

٠٠٢٤٩١٥٥١٢٧٠٠٠

٠٠٢٤٩٩١٢٢٤٥٨٠٠

فاكس:

٠٠٢٤٩١٨٣٤٣٣٩٣٢



ساعات ... في قطاع غزة

● الأقدام حين تحدّ (سايكس – بيكو) و (أنابوليس):

عندما سـقطت الخلافة الإسـلامية قامـت بريطانيا وفرنسـا بتقسـيم أقاليمها بينهما في اتفاقية عُرفت باسم (سـايكس – بيكو). وفي ثورات صنعها الاحتلال نالت هذه الأقاليم اسـتقلالها، ولكنها بقيت مقسَّـمة، وحصل للغرب مراده بذلك؛ فلم يعد هناك خطر يدهمه من الشـرق؛ فهو مجـرد دول صغيرة وضعيفة متناحـرة فيما بينها، ونجحت القاعدة الشهيرة (فرِّق تَسُـدْ)، وها هو بوش يسعى مجدداً لبعث هذه القاعدة في مشروع الشرق الأوسط الكبير.

وبعـد أن كان الجار يحل ضيفاً بمجرد دخوله أيَّ مدينة إسـلامية؛ أصبح ينتظر أياماً ليحصل على تأشيرة دخول، ثم بعـد ذلك عليه أن ينتظر في صـف طويل على الحدود ويكون محظوظاً إذا لم يُسْـتضف في الغرف الخلفية وسُمح له بالدخول. هذه حال الذاهب بنفسه؛ فكيف الأمر بالنسبة للتاجر وبضائعه أو المريض ومرافقه وغيرهم؟

كل هذا وغيره سـقط بمجرد سقوط الجدار الحديدي بين غزة ومصر، فالتأشـيرة والجواز والجمارك والأمن كلها مختصرة في ثانية واحدة هي زمـن خطوة اجتياز الجدار؛ فبقدم تكون في غزة وبأخـرى تكون في مصر، إنها معادلة أشـبه بالخيال ولكنها كانت حقيقة عندمـا وطئت أقدامنا حدود (سايكس – بيكو).

لقد قام الأمريكان واليهود ومن يسـارعون فيهم منذ فوز حماس بالانتخابـات ووصولها إلى الحكـم؛ بوضع العراقيل أمامها؛ بـدءاً بمقاطعتها بمجرد إعلان فوزهـا، ثم بافتعال الفلتـان الأمنـي وإذكاء ناره، ثم بمقاطعـة أزلامهم حكومة الوحدة الوطنية، ثم جاءت خطـة (دايتون) التي كانت تقضي بإنهاء حماس عسـكرياً. وكانت حمـاس – بتوفيق من الله – تجتـاز هذه العقبات واحدة تلو الأخرى، مضيفة إلى رصيدها المزيد من النقاط وفرض وجودها على المشهد السياسي. وآخر هذه العراقيل مؤتمر (أنابوليـس) المتقرر فيه إحكام الحصار علـى قطاع غزة بقطـع الوقود والكهربـاء وإغلاق المعابر، ولكـن – بحمد الله – جرى إحـداث فجوة في هذا الحصار عندما سقط الجدار فكانت فرصة لزيارة هذه البقعة الصغيرة التي ملأ صيتُها الدنيـا وشـغلت النـاس، وتسـجيل بعض المشاهدات عنها.

● أمن وأمان:

لما وقفنا أمام الجدار المنهار شاهدنا مجموعة من عناصر القوة التنفيذية التابعة لحماس منتشرة على طوله تنظِّم سير الأفواج المندفعة باتجاه مصر بالتنسـيق مع الأمن المصري، وتقوم بتمهيد طريق ترابي بجرَّاف كبير لمرور السـيارات من خلاله إلى مصر. بعد ذلك اجتزنا رفح الفلسطينية إلى خان يونس ثم غزة ثم المخيمات في الشـمال، ولقد كان واضحاً

انتشار الأمن واستقراره، فلم نجد أي شكل من أشكال الفلتان الأمني، ولم نشاهد مسلَّحين منتشرين في الشوارع ولا كمائن وهمية، ووجدنا عناصر المرور ينظمون سير السيارات، والقوةُ التنفيذية موجودة أيضاً في الميدان.

رافقنا في السيارة من العريش إلى رفح شبان فلسطينيون علمنا منهم أن سبب دخولهم إلى مصر من أجل البحث عن المخدرات والسلاح؛ فبعد الحسم من قِبَل حماس أصبح القطاع فارغاً من ذلك. وشاهدنا بعض المقارِّ الأمنية - التي كان مجرد المرور بجوارها سابقاً يعني الهلاك - أصبحت الآن مركزاً تنطلق منه القوة التنفيذية لتأمين أهالي القطاع. ثم زرنا بعض المؤسسات الحكومية والأماكن العامة فوجدنا كل شيء يشير إلى أنك في دولة حديثة ومنظمة؛ من توافد الناس على المؤسسات وقضاء مصالحهم بشكل سريع وميسر، ووجود الاحترام المتبادل بين الموظف والمراجِع، لقد كان الأمر خيراً من مراجعة الجهات الحكومية في دولنا العربية.

• البضائع نفاد وغلاء:

لما دخلنا العريش خُيِّل إلينا أننا نمر بمدينة مرَّ بها جيش عرمرم أو سرب من الجراد؛ فالمدينة خالية تماماً من أي بضاعة، والمحال مغلقة فلا يوجد فيها ما تعرضه، ومحطات البنزين مغلقة لنفاد الوقود. هكذا بدا الأمر في العريش التي تبعد ٥٠ كم عن قطاع غزة؛ فكيف سيكون الوضع في غزة؟!

مررنا بمشفى (كمال عدوان) في القطاع فوجدناه خالياً من المرضى، فسألنا الناس عن سبب ذلك فقيل لنا: هو مشفى بلا دواء؛ فلماذا يأتيه المرضى؟! ومن الملفت للنظر مشاهدة عدد كبير من العربات تجرها الحمير وكأنك عدت آلاف السنين إلى الوراء؛ حيث إن انقطاع الوقود عطَّل حركة السيارات فاستعيض عنها بالحمير.

وفي مقابل نفاد البضائع والمؤن يأتي الغلاء، وللأسف فإن بعض الأشخاص استغلَّ حاجة الناس وقام برفع الأسعار بشكل جنوني، حتى إننا سمعنا أن بعض الغزاويين عاد إلى القطاع ولم يشترِ شيئاً لكون الأسعار فوق طاقته، وكان مما وقفنا عليه بلوغ سعر جالون - ٢٠ لتراً - السولار (الديزل) ٦٥ دولاراً، وارتفاع سعر كيس الإسمنت ليصل إلى ٢٠٠ دولار، وبلغ سعر نقل الفلسطيني من العريش إلى القاهرة خمسة آلاف جنيه؛ لكونه ممنوعاً من السفر إلى هناك بينما كانت أجرة السفر في السابق لا تتجاوز ٥٠ جنيهاً.

• حماس والعناية بالعلم:

لعله مما تُغبَط عليه حركة حماس أن كثيراً من قيادات الحركة هم من خريجي الجامعات الإسلامية، وفيهم أساتذة جامعات، وبعضهم حاصل على أكثر من شهادة علمية، وهذا كان له أثر في اهتمام الحركة بالعلم وتعليمه.

في مخيم جباليا تكثر دُور الشهداء، ويُعَدُّ المخيم من أكبر قواعد الحركة، وقد زرنا في هذا المخيم (المكتبة العامرة) في منزل الدكتور نزار ريان - عضو المكتب السياسي في حركة حماس - ووجدنا فيها الكثير من العناوين وهي مجهزة بشكل ممتاز. وعند مَجيئنا كان الدكتور منشغلاً بإخراج كتاب بعنوان: (إتمام المنعم/ شرح صحيح مسلم) أنهى منه ستة مجلدات.

ويجري داخل الحركة تدريس الطلاب الفقه في كراسات تشمل جميع أبواب الفقه، ويُلزَم الطلاب بدراستها، وتخصَّص أيام لشرحها ومدارستها. وبالنسبة لعناصر القسام فإنه يُقدَّم لهم دروس موسعة في أحكام الجهاد، وكذا المساجد فإنها مليئة بإعلانات الكلمات والدروس اليومية.

• حماس .. تربية وجهاد:

أوْلَت الحركة عنصر التربية جزءاً كبيراً من اهتمامها، مما جعل له أثراً واضحاً في ثبات عناصرها والتزامهم أمام المكائد والضربات التي نالت الحركة، والتزام أفراد الحركة بالواجبات والسنن الشرعية بشكل كبير دفع بعض الباحثين إلى عدِّ حماس أكثر التزاماً من باقي فروع الإخوان في العالم، فالشاب في حركة حماس إذا تخلَّف عن جلسة (درس) مع أسرته أكثر من مرة تجري محاسبته، والمتخلف عن صلاة الفجر في المسجد مع الجماعة يستحيل التحاقه بكتائب القسام، والقسامي إذا فعل ذلك ثلاث مرات يجمَّد بسحب سلاحه منه، لذا فإن كثيراً ممن قضوا في مواجهات مع اليهود هم من رواد المساجد، وإن مسجد الدكتور نزار (الخلفاء الراشدون) أحدُها فقد تخرَّج منه ٧٣ شهيداً.

كثير من عناصر الحركة هم من حفظة كتاب الله؛ فقد اعتنت الحركة بتدريس القرآن وتحفيظه لطلابها وخرَّجت في الصيف الماضي ما يقارب ٧٠ حافظة من قطاع غزة، ومن يرغب في الالتحاق بكتائب القسام فإن فرصة التحاقه بها تتعلق بقدر ما يحفظ من القرآن.

وفي فترة بقائنا كنا نسمع دائماً من يذكِّرنا بالأذكار الشرعية وصيام النافلة. والشاب القسامي مظهره يدلُّك عليه؛ حيث إطلاق اللحية وتقصير البنطال ووضع السواك

والمصحف في الجيب سمة مميزة لهم.

أما الجهاد فحدِّث ولا تتوقف؛ فإن كل من التقيناهم - من مقدِّم الشاي في مراكز الحركة إلى أعضاء المكتب السياسي - يلهج لسانهم بذكره، ولا يوجد شيء يجتمعون على الاهتمام به كاهتمامهم بالجهاد، وكلما دخلنا شارعاً أو دلفنا إلى ممرٍّ نرى شاهداً على الجهاد؛ فالشيخ أحمد ياسين استُشهد هنا، والدكتور الرنتيسي هناك، وشحاتة عند هذه الدار، وفلان وفلان، والبنايات عليها ملصقات وشعارات تحث على الجهاد وتعدُّه خياراً رئيساً لحلِّ القضية، وبعض الدُّور مكتوب عليها (هذه دار الشهيد فلان.. هنا يقام عرس الشهيد فلان.. هنا تستقبل التهنئة في استشهاد فلان..)، والطفل الصغير إذا عرَّف بنفسه أعقب اسمه بقوله: أخي الشهيد فلان. ولم يعد الجهاد خياراً فقط، وإنما أصبح مفخرة يتسابقون إليها، ومن الشعارات التي لا يتوقفون عن ترديدها:

حمساوي ما يهاب الموت حمساوي

حمساوي كرمال الدين حمساوي

إن عناية الحركة بعنصر التربية ضبط استخدام عناصر القسام للسلاح، فلم نشاهد تلك الانحرافات الموجودة خارج فلسطين أو داخلها لدى بعض الحركات الجهادية التي تعطي السلاح كل من رغب بالالتحاق بها؛ دون نظر إلى سلوكه أو التزامه مما ولَّد خروجاً عن خط الجهاد.

● حماس.. مصنع يصنع نفسه:

تعاني الحركات الإسلامية من نقص في قيادات وعناصر خبيرة بالتخصصات الدنيوية المتعلقة بالدعوة إلى الله؛ كالإعلام والأمن والهندسة وغيرها من التخصصات، يضاف إلى هذا عدم توفر عناصر تتولى إنجاز شتى المشاريع، مما يؤدي إلى الاعتماد على أشخاص لا يتحمسون للفكرة الإسلامية، وهذا يؤدي بشكل طردي إلى قلة الإنجاز والخلل في الإنتاج؛ فالفرد كلما كان أقل إيماناً بفكرةٍ مّا فإنه لن يقدِّم لها أو يضحي من أجلها، والحال تتغير لو كان مؤمناً بتلك الفكرة.

لكن يبدو أن الإخوة في حماس تجاوزوا تلك المشكلة، فلم نذهب إلى مؤسسة أو مركز يتبع الحركة إلا وجدنا أمامنا حمساويين حتى النخاع؛ من الحارس إلى مدير المؤسسة.. وإليك مثالاً بسيطاً على ذلك: فأحد الإخوة العاملين في مؤسسة إعلامية هو قسامي يرابط في الليل حاملاً سلاحه، وبالنهار يباشر عمله في هذه المؤسسة، ومن الطريف أن الشاب الذي يهتم بنظافة هذه المؤسسة هو حمساوي أيضاً.

● نساء غزة.. رجال خارجها:

عندما حاصرت قوات الاحتلال مجموعة من شباب الفصائل في أحد مساجد بيت حانون - شمال القطاع - أخرجت أم عبد الله[1] مجموعة من النسوة وقادتهنَّ لفكِّ الحصار عن هؤلاء الشباب، وتمَّ لهن ذلك بعد أن سقط منهن قتيلات وجريحات. بهذه القصة بدأ محدِّثنا عندما سألناه عن نساء غزة، وثنَّى بأم محمد فرحات؛ خنساء فلسطين، وتحدث عن القسم النسائي داخل كتائب القسام، وذكر فتيات أقدمْنَ على عمليات استشهادية، وأخذ يعدِّد ويعدِّد إلى أن طأطأنا الرؤوس خجلاً مما سمعنا ورأينا كم نحن صغار أمام هؤلاء النسوة!

الفصل بين الرجال والنساء في المؤسسات والأماكن العامة وانتشار النقاب مظاهر لا تنفك عن مشاهدتها داخل القطاع، حتى إننا لم نشاهد أي امرأة غير محجبة، وذُكر لنا أنه يندر مشاهدة امرأة غير محجبة في القطاع.

ولحظة دخولنا القطاع شاهدنا العديد من الفتيات في مجموعات يسرْنَ بالشوارع وبأيديهن كراسات، سألنا عن ذلك، فقيل لنا: إنهن منصرفات من إحدى مدارس تحفيظ القرآن النسائية، عندها أدركنا لماذا نساء غزة رجال خارجها!

● حماس.. ومذهب الرافضة:

(الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيعة) هذا عنوان كتاب من تأليف الشيخ (صالح الرقب) وزير الأوقاف في حكومة (إسماعيل هنية) نقل فيه جملة من عقائد القوم وتكفيرهم لأهل السنة، وتكفير علماء الإسلام لهم وحقيقة علاقتهم بأمريكا ودورهم في احتلال العراق وأفغانستان.

في إحدى جلساتنا مع شباب حمساويين ذُكر هذا الموضوع، فسمعنا من تحقير الرافضة وازدرائهم الشيء الكثير، ولم يبق أحد في ذلك المجلس إلا نال منهم، وعاب بعض الحاضرين على إحدى الفصائل في القطاع سيرهم في ركاب الرافضة، وذكر آخر دور الشيخ أحمد ياسين أثناء ثورة الخميني عندما لخص كتاب محب الدين الخطيب (الخطوط العريضة) وألزم طلابه قراءته، وذكر آخر أن الحركة قامت بفصل أحد عناصرها عندما ألَّف كتاباً أسماه

(١) إحدى الداعيات في القطاع، ومكانتها بين النساء تعادل مكانة (هنية) بين الرجال.

(الخميني والحل الإسلامي)، وذكر آخر دورهم في قتل فلسطينيي العراق.

• شيء عن أيتام (دايتون):

إن أولئك الأيتام المرتزقة بعد فشل خطة والدهم الأمريكي (دايتون) تركوا كل شيء وراءهم بعد الحسم الذي قامت به حماس، ويظهر من منازلهم أنهم كانوا يقبضون ثمن عمالة مثالي؛ فدارُ الرجل الذي كان سبباً في مقتل (شحاتة) تُعدُّ من أعلى وأكبر البنايات في القطاع، ويبدو منزل دحلان كأنه منزل لأصحاب رؤوس الأموال بمصر، أما كبيرهم (المنغولي) كما يحلو لأطفال غزة مناداته بذلك عُثِرَ داخل داره على (البانجو)[1] فصدق وصف الغزاويين لداره بـ (الغرزة)[2]، أما بائع إسمنت جدار الفصل في الضفة لليهود فإنه يملك منتجعاً على شاطئ غزة كان مرتعاً للغواني والسكارى، وقد انتهى ذلك بمجرد الحسم ولله الحمد.

وقد شاهدنا الدمار الذي ألحقه أولئك القتلة بالجامعة الإسلامية التي أضحى بعض قاعاتها كأنها فرن من آثار الحريق، أما المساجد فلم تسلم منهم فقد أسقطوا قذيفة على أحدها لتقتل من فيه، وتجد دار هذا وذاك قد ملئت بفتحات الرصاص.

ومررنا بموقف كان له دلالة على حجم هؤلاء الأيتام بعد الحسم، حيث توقفنا إلى جانب أحد منازل المرتزقة، وراح أحد مرافقينا يشرح لنا كيف كان يتم تعذيب شباب حماس والفصائل الأخرى داخله، وكيف خلصهم الله منه ومن صاحبه بعد أن قتله القساميون الأبطال؛ لأنه أقدم على قتل شاب قسامي داخله، وأثناء شرحه خرج أخو المرتزق من المنزل المدمَّر فانهال عليه سائق السيارة العامي بالسباب والشتائم له ولأخيه، ولم ينبس ذلك الرجل ببنت شفة، ومع هذا فإن حماس أبقت على ممتلكات الفتحاويين؛ فشعاراتهم ومراكزهم وصور رموزهم وأعلامهم.. كل هذا كان له وجود في شوارع غزة، ولا يكلف الإنسان نفسه جهداً ليجده.

(١) نوع من أنواع المخدرات.

(٢) مصطلح عامي يطلق على أوكار تعاطي المخدرات والمسكرات.

رسالة إلى الشعب الفلسطيني

أ. د. عبد الستار فتح الله سعيد(*)

حيَّاكم الله يا شعب فلسطين! يا أمة الصبر والصمود، والجهاد والاستشهاد!

فمنذ ستين سنة وأنتم تصارعون وحوش البشر، وحثالات الأمم،وتجمعت عليكم أمم الشرق والغرب بمؤامراتها وكيدها وأنتم في جهاد موصول، ودم مبذول، ثم في غد مأمول بالنصر والفتح القريب بإذن الله.

إنه صراع بين الحق والباطل، ومعركة هائلة بين أهلهما وأنصارهما من الطائفتين:

الطائفة المنصورة: شعب فلسطين المظلوم المقهور، الذي سُلبت أرضه، وأُزهقت أرواح أبنائه، وسُفكت دماؤه، وقامت على أنقاضه دولة البغي والعدوان.. فقاوم وقاتل، وصبر وثابر، وجاهد وصاول، وقد قضى الله له بالنصر في نهاية المطاف، وساق له البُشريات من خلف أستار الغيب الذي يعلمه، وذلك (وعد الله الحق) الذي لا يتخلف أبداً بإذن الله.

وهذا الرسول ﷺ يقرِّب لنا البشرى ويحددها: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» أخرجه مسلم من حديث جابر - رضي الله عنه -. وكما جاء في الأحاديث الأخرى الصحيحة أنهم يقاتلون الدجال «وهو ملك اليهود المنتظَر» وأنهم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

الطائفة المدحورة: وهم هؤلاء اليهود الظالمون، الغاصبون، المغتصبون، الذين جاؤوا من فجاج الأرض يخلعون شعباً بأسره من أرضه، ويروِّعون أمنه، ويقتلون أطفاله ونساءه في قسوة بالغة، تحقق لنا ما وصف الله به اليهود طوال تاريخهم، ولذلك استحقوا اللعنة، والغضب الأبدي (والوعيد الحق) الذي لا يتخلف أبداً إن شاء الله، فهذا القرآن الكريم ينذرهم بقَسَم الله الحق: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

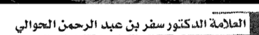
وهذا المصطفى ﷺ يقول: «إن الله - تعالى - يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». وقد جمعت النصوص بين الوعد والوعيد معاً تأكيداً وتثبيتاً: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٧].

سيندحر اليهود ويُقتلون بظلمهم وبغيهم، وسيقهرون ويقتلون بجرائمهم واستهتارهم.

فطوبى لكم يا شعب فلسطين! أنكم طلائع الجهاد، والاستشهاد، والنصر العظيم؛ بإذن الله الواحد القهار.

(*) من علماء الأزهر الشريف.

نداء لنصرة الإخوة الفلسطينيين



العلامة الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي

إبراءً للذمـــة وأداءً للحق الواجـــب بخصوص ما يعانيه شعبنا المسلم المرابط في فلسطين المحتلة أذكِّر بما يلي:

● مكانة الجهاد في سبيل الله:

إن جهاد إخواننا في فلســطين المحتلة هو جهاد عظيم في ســبيل الله - تعالى - للدفاع عن مقدســات المســلمين ولرفع الظلم عن أنفسهم ولاسترداد أرضهم وأرض المسلمين، يحتســبون فيه ما أصابهم من ألم أو هَمٍّ أو نَصَب، ولا أعلم اليوم جهاداً في ســبيل الله هو أفضل من الجهاد معهم لمن قدر عليه بمال أو نفس أو قول أو دعاء.

ولذا؛ فــإن نجدتهم حق واجــب، ونصرهم فرض لازم على جميع المســلمين؛ بمقتضى نصوص الكتاب والســنة، قــال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

وقال ﷺ: «المســلم أخو المســلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسْلِمُه».

● فضل الجهاد بالمال:

أذكِّر نفسي وجميع إخواني بعموم الآيات والأحاديث في فضائل الجهاد والرباط والشهادة في سبيل الله تعالى، وهي معلومة ولله الحمد، ومن ذلك: فضل الجهاد بالمال، فإنه من أعظم القربات وأفضل أنواع الجهاد في كل حين، فكيف وقد حِيلَ بين المسلمين وبين الجهاد بأنفسهم في فلسطين؟!

ولعِظَم مكانة الجهاد بالمال قدَّمه الله - تعالى - في أكثر مــن موضع في القرآن الكريم علــى الجهاد بالنفس؛ كقوله - تعالى -: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠]. وقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ - ١١]. وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

إن خذلانهــم أو التهــاون في مناصرتهــم ورفع الظلم والاضطهــاد عنهم ذنبٌ عظيم، وتضييــع لفرصة كبيرة في تحطيــم آمــال الصهيونيــة، وتعريض للمســلمين والعرب جميعاً لخطر مُذِلِّهم، فإن لم يغتنم المســلمون اليوم الفرصة فسيندمون على فواتها إلى أمدٍ اللهُ أعلم به، وإن تغييب الأمة عن ذلك وإشغالها باللهو واللعب يبلغ درجة الإجرام في حقها وحق قضاياها.

● الحث على الإنفاق في سبيل الله:

إن التعاون على نصرتهم بكل أنواع النصرة الممكنة - مع كونه واجباً على المســلمين كمــا تقدَّم، وكونه من الجهاد في ســبيل الله - هو أيضاً داخل دخــولاً أوّلياً تحت قوله

- تعالـى -: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، ولهذا؛ فإن حضَّ المسلمين على التبرع بسخاء لإخوانهم هو عمل صالح «ومن دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»، وفي ذلك اقتداء بالنبي ﷺ حين كان يحضُّ أصحابه على الإنفاق في سبيل الله - تعالى - وتجهيز الجيوش، كما حصل في غزوة تبوك في جيش العسرة المشهورة قصته في الصحيحين وغيرهما، وفي كتب السيرة.

إن إيصال المعونات المالية والمادية من سلاح وغيره إليهم داخلٌ - إن شاء الله تعالى - في قوله ﷺ: «من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا»(١). ولذا؛ فإن في كفالة من يوجد من أُسَر المجاهدين ورعايتهم الفضلَ العظيم، بل وفي إيصال ذلك إليهم إنقاذ لأنفس مسلمة، فليجتهد المسلمون في ذلك وليتسابقوا فيه. كما أن الاهتمام بإخواننا الفلسطينيين من سكان المخيمات في دول الجوار مهمٌّ للغاية، فيجب على الدعاة إلى الله إعطاء ذلك حقه.

● تقديم الأهم في الإنفاق في سبيل الله:

ينبغي في الإنفاق في سبيل الله أن يقدَّم الأهم بحسب ما بيَّنته السنَّة، ومن ذلك: تقديم نفقة الجهاد في سبيل الله في هذا الموطن الواجب على نفقة حج التطوع وغيره من التطوعات؛ كبناء المساجد وحفر الآبار؛ لقوله ﷺ وقد سئل: «أيُّ العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم أي؟ قال: حج مبرور»(٢).

● النصر مع الصبر:

أبشِّر إخواني المسلمين في أرض فلسطين وغيرها بأن مع العُسْر يُسْراً، وأن النصر مع الصبر، وأن موقف العدو الصهيوني اليوم هو أكثر ما يكون حَرَجاً وشدةً؛ فقد انحصرت الخيارات أمامه في خيار واحد، وهو الاستمرار في العنف والإبادة؛ إن تراجع عنه فهو إقرار بالهزيمة وبداية للانقسام، وإن استمر فيه فسيقع في الهاوية - بإذن الله - ومن هنا لا يجوز إنقاذ موقفه بإيقاف الانتفاضة مهما كانت التضحيات.

وإن التطور النوعي في أساليب الجهاد - مثل: اقتحام المستوطنات، ومباغتة القواعد العسكرية، وصناعة الأسلحة وتطويرها - وكذلك الدقة والإحكام وعمق الاختراق في العمليات الاستشهادية ليؤكد ذلك.

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.

● حقيقة المجتمع الصهيوني:

لا ينبغي أن تحول متابعة الأحداث اليومية بيننا وبين الاطِّلاع على حقيقة المجتمع الصهيوني من الداخل. إنه مجتمع يخيِّم عليه الرعب، وتسيطر عليه الشحناء، وعند كل عملية استشهادية يزداد فقد الثقة بالمستقبل لديه، ويتدهور اقتصاده باستمرار، وقد وصلت الحال إلى احتجاج طائفة من الجيش على السفاح (شارون) وحكومته، وهو ما يُعدّ سابقة خطيرة، كما أنه يفقد التعاطف الخارجي عند كل عملية اجتياح، ويستطيع أيُّ مراقب أن يقول: إنه يعيش عزلة عالمية لم يشهدها من قبل باستثناء الصهاينة في حكومة أمريكا الطاغية الظالمة، ومن هنا وجبت الثقة في نصر الله، وحُرِّمت محاولة إخراجه من عزلته وإنقاذه من مأزقه.

● نتائج اللاهثين وراء سراب السلام:

كشفت الأحداث الأخيرة أن الذين يلهثون وراء سراب السلام مع هذا العدو منذ معسكر داود لم يجنوا سوى الخيبة والخسارة؛ فها نحن أولاءِ نرى ماذا جنى جنود الأجهزة الأمنية للسلطة الذين طالما لاحقوا المجاهدين، وترصدوا لهم ودلّوا عليهم جنود يهود، بل قُتلوا أو سلَّموا بعضهم للعدو. فهل يعتبرون ويتوبون؟ وهل يتعظ بهم الآخرون؟

وهنا نسجل تقديرنا وشكرنا لكتائب الأقصى وللشرفاء من منظمة التحرير الذين انحازوا إلى خيار المقاومة، وشاركوا الإسلاميين شرف القتال، ونرجو أن يكون ذلك مقدمة لتوحُّد الشعب الفلسطيني بكل فصائله تحت راية الإسلام والجهاد وإقامة الحكم الإسلامي على أرضه المباركة.

● الجهاد هو الحل:

إن التطبيع مع عدو طبيعته الغدر والخيانة والتملُّص والمماطلة - كما يشهد بذلك كتاب الله والسلوك التاريخي الثابت لليهود - هو قَبْضٌ للريح وجَمْعٌ بين المتناقضات فوق كونه خطراً عظيماً على العقيدة والمقدسات والقيم والأخلاق والاقتصاد والثقافة. ولشدة وضوح ذلك ومنافاته للبدهيات والضروريات؛ رفضته الشعوب التي ابتليت به منذ موافقة حكوماتها عليه، وهي الآن أشد رفضاً له؛ فما جدوى أن تبتدئ الشعوب الأخرى من حيث بدأت، ومن هنا لم يبق للأمة من مخرج - واقعاً - إلا المخرج شرعاً وهو الجهاد ودعم صمود شعبنا المسلم واستمرار انتفاضته، وإذا كانت هناك مجتمعات تُعَبِّر عن شعورها بالتظاهر الصاخب؛

فإن مجتمعات أخرى يجب أن تُعَبِّر عنه بالبذل السخي والإنفاق المستمر.

○ جواز الهدنة مع العدو لتحقيق المصلحة الشرعية:

إن ما قررناه آنفاً لا يعني إغلاق أبواب السياسة الشرعية والدبلوماسية الحكيمة لتحقيق مصلحة الأمة ومساندة الجهاد، أو التهيئة له، والتربُّص بالعدو... ومن هنا أجازت الشريعة المطهرة مهادنة العدو ومناورته على سبيل السياسة الشرعية ولتحقيق المصلحة الشرعية، ومنها: إظهار تعنُّته وإحراج موقفه وكشف حقيقته، لكن دون أن يترتَّب على ذلك موالاته وترك عداوته، أو الإقرار له بشيء من الحقوق الثابتة التي لا يملك المسلمون - ولو أجمعوا - التنازل عنها؛ لأن الله هو الذي أنزلها وفرضها كما أنزل وفرض معاداة الكافرين ومجاهدة المعتدين، ومن ذلك: كون أرض فلسطين كلها وقفاً إسلامياً لا يملك غير المسلمين شيئاً منه إلا بعقد ذمة، وكون أملاك اللاجئين حقاً شرعياً متوارثاً لأبنائهم إلى يوم القيامة لا يجوز لغيرهم - كائناً من كان - أن يتصرف فيه بشيء، ولا يحق له أن يتنازل عنه.

الخاتمة:

بكل عزم في الطلب ورجاء في الاستجابة نهيب بإخواننا المسلمين أن يسارعوا لنجدة شعبنا الصابر في الأرض المقدسة، ونذكِّر من جاهدوا بأموالهم عند بداية الانتفاضة المباركة أن الحاجة الآن أشد والحال أشق، ونذكِّر من لم يفعل ذلك أن يستدرك ويسابق في هذه التجارة الرابحة، وسوف يعوِّضكم الله - بإذنه - عما تنفقون راحةً في الضمير وبركةً في الرزق ونوراً في القلب، وما عند الله خير وأبقى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل: ٢٠].

وإن مما يعين المسلم على الالتزام ويضاعف له الأجر - بإذن الله - أن يخصص نسبة ثابتة من الراتب - أو غيره - يقدِّمها شهرياً ويحثُّ أقرباءه وأصدقاءه على ذلك.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم الذي له الخلق والأمر وبيده الملك وإليه يرجع الأمر كله أن ينصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان، وأن يقرَّ أعيننا بعزة دينه وعلوِّ كلمته وخذلان أعدائه من أهل الكتاب والمنافقين والمفسدين في الأرض، إنه على كل شيء قدير.

الحق المغتصب لا يضيع

الشيخ محمد سالم عبد الودود(*)

ستون عاماً مرَّت على الاحتلال الصهيوني لفلسطين وما تزال الحال كما هي؛ من تقتيل الشعب وتشريده وتجويعه وجرف مصادر رزقه وتحويلها إلى مستوطنات يهودية، ومن تهديد الأقصى الشريف؛ كل ذلك يحدث والحكام يجترون الكلام ولا يجترئون على القيام، ولكن لا يأس ولا استسلام، قال - تعالى -: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقال - سبحانه -: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وقال - جل جلاله -: ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ [الحشر: ١٤]. وكم حرَّفوا الكلم عن مواضعه، فلا شريعة لوجودهم على أرض، وقد قالوا يوماً لرسولهم الكريم في دخولها: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]. ولا يجيز ديننا الحنيف أن يُعترف بوجود شرعية لهم في أرض، قال الله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾. [الأنبياء: ١٠٥]

وأختم هذه الكلمة بقولي:

يا بُعد ما يتصور الأغرارُ
هيهات لا أمن ولا استقرارُ
طلبوا بالاستفزاز الاستقرار
كم قد حرفوا فتجلت الأسرارُ
ياسيننا قتلوا ورنتيسنا
غدراً يدل عليهما الأشرارُ
سنجدُّ في تحرير ربوة قدسنا
مهما استمر من العدى الإصرار
لا نحفل الأضرار لا تثني شبا
عزماتنا الأهوال والأضرارُ
بحجارة الأطفال نطلب ثأرنا
أيضيع ثأر خلفه الأحرارُ
فبها نقاوم من سلاح عدونا
ظللا توجه نارها الأررار
جادت على الشهداء في رضوان من
طلبوا رضاء الديمة المدرار
ولهم علينا آلوة مبرورة
أن لا يزال لسيرنا استمرارُ

(*) من علماء موريتانيا، محظرة أم القرى.



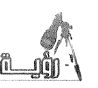
إذاعة طيبة

FM 103

طيبة لأوقات طيبة

FM 103

هاتف ادارة البرامج : +249155184141
هاتف قسم الاعلان : +249155174777
فاكس : +249155184999
الموقع : www.tayba.fm
بريد الكتروني : tayba@tayba.fm
رقم الحساب :3766. بنك التضامن الاسلامي - فرع السوق العربي



رؤية

الوسائل الخمس للقضاء على حماس



أحمد فهمي
afahmee@albayan-magazine.com

تحولت حركة حماس إلى كابوس يقضّ المضاجع في تل أبيب ورام الله وربما في بعض الدول العربية، ولا يخفى أن كثيراً من القوى الإقليمية والدولية تتخوف من تحوُّل حماس مستقبلاً إلى الطرف الأكثر سيطرة على عملية اتخاذ القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وقد اتَّهم (عزام الأحمد) القيادي في فتح - اتهم حركة حماس بأنها تعمد إلى عرقلة المبادرات العربية للتوفيق والإصلاح بين الحركتين من أجل إبراز نفسها بوصفها مفاوضاً وحيداً مع الاحتلال الصهيوني.

وما يزيد الوضع سوءاً بالنسبة للقوى الإقليمية والدولية أن (أبا مازن) تنتهي فترته الرئاسية بنهاية العام الحالي ٢٠٠٨م، وفي حال إجراء انتخابات جديدة سيكون من الصعب مشاركة قطاع غزة دون تحقيق توافق مع حماس يتضمن مشاركتها في الانتخابات الرئاسية، وإذا شارك القطاع فهناك احتمالات قوية أن تسيطر حماس على منصب الرئاسة، وإذا جرى تجاوز القطاع فسيعني ذلك ترسيخ الفصل بين الضفة وغزة بدرجة حادة؛ لكون الرئيس الجديد لم يُصوِّت عليه سكان القطاع، بمعنى: أنه سيكون عملياً وقانونياً رئيساً للضفة الغربية فقط، وبذلك يكون الحل المتاح هو تأجيل أو تجميد الانتخابات، وهو المصير نفسه المتوقع للانتخابات التشريعية التي يحلّ موعدها بعد عام ونصف العام تقريباً.

بعد نحو عامين من التعامل مع حماس في موقع السلطة تبيَّن لجميع الأطراف صعوبة المضيّ قُدُماً في أيِّ اتجاه مع الحركة، حتى فيما يتعلق بالإفراج عن الجندي الصهيوني الأسير أو إيقاف إطلاق الصواريخ من غزة، فضلاً عن التفاوض المباشر مع الصهاينة أو الاعتراف بدولتهم، وهو ما دفع وزير الخارجية المصري (أبو الغيط) إلى التصريح بأن أي حكومة وحدة وطنية لن تحقق تهدئة إذا شاركت فيها حماس! وهو طرح عجيب يعطي مؤشراً على عمق الأزمة أو «الورطة»؛ فحماس متهمة بأنها سبب الأزمة كما أنها الطرف الأكثر شعبية على المستوى الفلسطيني قياساً على نتائج الانتخابات؛ فكيف يمكن تجاوزها في عملية للتهدئة أو في حكومة «وحدة وطنية»؟!

الحقيقة التي لا يمكن تجاوزها أن هناك توافقاً صهيونياً مع أطراف عربية على إقصاء حركة حماس وتصفيتها والقضاء عليها، وفي هذا الصدد تبرز عدة سيناريوهات بعضها جرى تطبيقه.

السيناريو الأول: عملية اغتيال واسعة تنفِّذها سلطات الاحتلال لقياديي حماس من الصفين الأول والثاني في الداخل، وبالتوازي مع عملية مماثلة لتصفية أعضاء المكتب السياسي في الخارج.

الثاني: إعداد القوات الأمنية التابعة لـ (أبي مازن) في الضفة وتجهيزها وتطويرها وتحفيزها للقيام بما يشبه حرباً حقيقية تُشَنُّ على حماس زحفاً من الضفة الغربية، وليس ذلك مستبعداً، بل أكَّده (عزام الأحمد) في مؤتمر صحفي مؤخراً حيث قال: إن حماس تستغل انعدام التواصل الجغرافي بين الضفة وغزة، وقال بالحرف: «لو فيه تواصل جغرافي إحنا ما بنقعد هالقعدة، إبنزحف على غزة بنحرق الأخضر واليابس».

الثالث: مواصلة سياسة الحصار والتضييق حتى ينفجر الفلسطينيون في غزة ضد حماس ويثوروا على حكمها للقطاع.

الرابع: إشعال حرب أهلية واسعة النطاق بين عدة فصائل فلسطينية في وقت واحد، وفي مقدمتها فتح وحماس، مع تذكية النزاعات العشائرية والعائلية.

الخامس: توريط حماس في أزمات سياسية وأمنية مع دول عربية مجاورة، ولعل أقرب مثال على ذلك الأزمة الأخيرة التي أُثيرت حول تجهيز حماس لشنِّ «هجوم» عسكري على مصر، وقد نقلت صحيفة (الأهرام) القاهرية (١٥/٤/٢٠٠٨م) عن مصادر فلسطينية وصفتها بأنها «موثوقة» أن «هذه الخطة تشمل أولاً قصف المواقع المصرية بقذائف الهاون، حيث قامت منظمة حماس يوم الأحد الماضي بتوزيع قذائف هاون عيار ستين، ونشرت ميليشيات تابعة لها على الحدود. وتشمل هذه

الخطة ثانياً إطلاق نيران الرشاشات على الجنود المصريين، وجاء ذلك مترافقاً مع إصدار حماس فتوى يوم الجمعة الماضي تبيح قتل الجنود المصريين».

وعند مرحلة معينة من تدهور الأوضاع يمكن الزجُّ بقوات دولية أو عربية لوقف الانهيار «المبرمج».

عند التأمل في هذه السيناريوهات وتحليل مدى قدرتها على تصفية حماس أو إقصائها؛ يمكن أن نخرج بالمعطيات التالية:

أولاً: حماس حركة إسلامية تعتمد تنظيماً دقيقاً ومعقداً في إدارة أنشطتها الدينية والسياسية والعسكرية، وبوصفها امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين؛ فإن التجربة التاريخية في دول عربية مختلفة تعطي دلائل واضحة على أن القضاء على حركة بهذا الوضع من خلال اغتيال صفوف قيادية لن يسبِّب إعاقة لأداء الحركة إلا لمرحلة زمنية قصيرة نسبياً.

ثانياً: هذه البنية التنظيمية لحماس والمرتكزة على أساس ديني يتمثل في نصوص مثل قول النبي ﷺ: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمِّروا أحدهم»[1]؛ تعني: أن العمل القيادي سواء في شكله البسيط أو المعقد يمارس على نطاق واسع داخل الحركة وعلى مستوى جميع الصفوف والكوادر، أي: أن هناك «زحاماً» من العناصر القيادية المؤهلة، هذا «الزحام القيادي» داخل حركة دينية تقوم على مبادئ التضحية والاستشهاد يعني أن تصفية بعض القياديين هي بمنزلة عملية تجديد للدماء واحتلال قيادات متدرِّبة لمكانها الطبيعي.

ثالثاً: العلاقة بين حماس والشعب الفلسطيني تتشكل من خلال ثلاثة أبعاد؛ أولها: انتشار أتباعها وانتماؤهم إلى جميع الشرائح المجتمعية، وثانيها: اعتماد العلاقة على المرتكز الديني المشترك والذي يجري تفعيله من خلال عدد كبير من المساجد في القطاع بالإضافة إلى أنشطة دعوية متنوعة، وثالثها: شبكة الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الحركة والمترافقة مع طهارة اليد من الفساد المالي والإداري.

إن علاقة بهذا المستوى يصبح من الصعب جداً خلخلتها إلى درجة الثورة أو التمرد، وبعبارة أخرى: إن ثورة الشعب الفلسطيني على حماس هي ثورة للشعب على نفسه، وقد قال الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر) تعليقاً على الحصار المفروض على غزة: إنه «من الناحية السياسية فقد أدَّى هذا إلى تقوية شعبية حماس وأضرَّ بشعبية فتح».

رابعاً: لا توجد لدى حماس سابقة تورُّط في مشكلات أمنية في أيِّ دولة عربية، مقارنة بحركة فتح ذات التاريخ العريق من إثارة القلاقل داخل الدول التي وُجدت فيها عبر مسيرتها المثيرة للجدل. وهذه الصفحة البيضاء لحماس على الصعيد العربي تجعل من الصعب استدراجها وتوريطها مستقبلاً، ومن المعروف أن أيَّ سقطة أو خطأ تقع فيه الحركة الإسلامية يظل مُتكأ لأعدائها في مهاجمتها والتحذير منها حتى ولو انقضت عشرات السنين على هذا الخطأ، وهذا غير متوفر في حالة حماس.

خامساً: إن صعوبة إثارة حرب أهلية واسعة النطاق بين الفصائل الفلسطينية يمكن الاستدلال عليها من خلال انعكاسات أحداث غزة على الضفة؛ فقد ظلت التوترات محصورة إلى درجة كبيرة داخل القطاع ولم ينتقل الصراع إلى الضفة رغم استفزازات الفتحاويين، وهنا تبرز مخاوف جديدة لدى سلطة (أبي مازن) وحلفائها الإقليميين والدوليين من انتقال تجربة حماس في غزة إلى الضفة ولو بصورة جزئية؛ إذ يمكن أن تتحول الضفة كلها إلى مناطق نفوذ موزعة بين الحركتين والفصائل الأخرى، وما يمنع ذلك حتى الآن ربما يكون خضوع المنطقة للاحتلال المباشر.

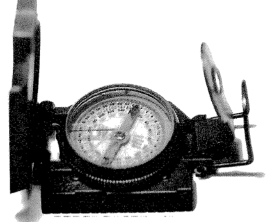
سادساً: الحديث عن زحف عسكري تنفِّذه سلطة (أبي مازن) لـ «تحرير» غزة، رغم إمكان تحقيقه نظرياً، إلا أنه صعب للغاية من الناحية العملية، خلافاً للعراقيل الجغرافية؛ فإن فتح لن تجرؤ على حرب حماس في غزة بينما تعطي ظهرها للحركة في الضفة، هذا فضلاً عن أن قدرات حماس العسكرية تتطور بصورة مذهلة، وقد اعترف بذلك الصهاينة أنفسهم، وكتب (عنيت كوهين) المحلل العسكري في صحيفة (معاريف) يقول: إن مقارنة بين العمليات التي استهدفت قوات الاحتلال عند الشريط الحدودي لفلسطين المحتلة مع لبنان، والعمليات عند الشريط المحاذي لقطاع غزة؛ تكشف أنَّ التطوّر العسكري لدى حماس مقارنةً بحزب الله اللبناني يسير بوتيرة متسارعة؛ فحجم العمليات المكثفة في قطاع غزة من الجانبين من الصعب استيعابه وحصره؛ فهو أكثر بكثير من حجم العمليات التي كانت تجري في منطقة الحزام الأمني في جنوب لبنان.

ختاماً: لا يمكن في خضمِّ الحصار والبيئة الخانقة في الأراضي الفلسطينية التغاضي عن النجاح الذي أحرزته حماس والذي يُعدُّ «فتحاً» على صعيد العمل الإسلامي؛ وهو نجاح غفل عنه كثيرون؛ فقد حققت حماس «المعادلة الصعبة» وجمعت بين الأركان الثلاثة للعمل الإسلامي في الوقت المعاصر: العمل الدعوي والسياسي والجهادي في آنٍ واحد، وهو إنجاز لا يجب أن يغيَّب في زحمة الأحداث والأزمات. ويصعب في أيِّ دولة إسلامية أخرى أن نجد حركة إسلامية جمعت هذه الأركان الثلاثة دون الوقوع في قائمة من المحظورات.

(١) أخرجه أبو داود وحسنه الألباني.



تحديد الهدف



د. يوسف بن صالح الصغير[*]

في الحروب الحديثة غالباً ما يكون الهدف بعيداً بحيث لا يُرَى أو لا يمكن التعرف عليه بالعين المجردة، ولذا يُجهَّز كثير من أنظمة التسلُّح الحديثة بأدوات تحديد الهدف، ويقصد بهذا: تمييز الهدف الصديق من الهدف العدو، وهذا يعني: إمكانية التعارف بين السلاح المستخدم – سواء كان طائرة مقاتلة أو صاروخاً مضاداً للطائرات – وبين الأهداف المحتملة؛ بحيث يختار الأمثل، ويتلقى الرامي تنبيهاً مفاده أن الهدف صديق، بل أحياناً يقترن التنبيه بعدم القدرة على تشغيل السلاح فلا ينطلق الصاروخ الموجَّه. ويقال: إن بعض الطائرات يمكن تجهيزها بحيث يفقد الطيار القدرة على التحكم بها بمجرد دخوله مناطق جغرافية محددة.

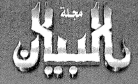
ولنتخيَّل حال الجيش الذي يستورد السلاح بأغلى الأثمان ويكتشف أنه لا يمكن استخدامه ضد الغزاة والأعداء الحقيقيين؛ لأنهم أهداف صديقة، بل والأدهى أن هذا السلاح يعمل بكفاءة عالية ضد أية أهداف أخرى؛ لأنها ببساطة أهداف عدوة، والصانع هو الذي يحدد الصديق من العدو! إنها مصيبة ولكنها ليست عصيَّة على الحل؛ لأن فهم آلية العمل يسمح بإعادة وصف الصديق، فهي آلة صمَّاء تستجيب لمن يفهم طريقة عملها. ولكن ما رأيكم في كثير من السياسيين والمسؤولين والمفكرين والكتَّاب والصحفيين الذين جرى تجهيزهم بأدوات تحديد هدف مستوردة يتعامل فيها الحاكم مع شعبه على أنه هدف معادٍ؟

إن الصحفي الذي يكتب ويكتب ويكتب بكل إصرار وجَلَد من أجل تحطيم الهدف المعادي الذي هو المجتمع الذي يعيش فيه؛ لا يتكلم عن معاناة أهله الذين يجري تدمير بيوتهم وقتل أبنائهم وتجويع من بقي منهم، بل يصرُّ على أنه علينا ليس فقط الابتسام في وجه قاتلينا، بل أن نحبَّهم ونتقمَّص أخلاقهم ولباسهم وأكلهم، وأنه علينا أن نقبل الآخر، أو بصورة أخرى: أن نتحول إلى الآخر. إنها مشكلة نابعة من ثقافة الاستيراد التي تعدَّت الأدوات إلى الأفكار والعقائد واللغة والأساليب، إنها مشكلة أمة فقدَ فيها جهاز المناعة كفاءته وأصبح إحدى أدوات التدمير، إنها حالة تذكِّرنا بتعليل انتشار الإصابة بالفشل الكلوي أو مرض السكري أو القلب أو الحساسية، إنها حالات مرضية أساسها الخلل في تحديد العدو من الصديق.

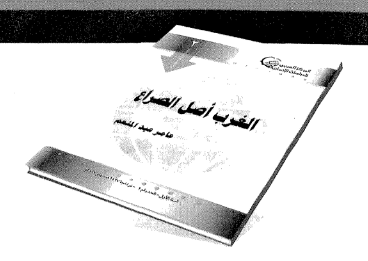
كيف نستطيع تعليل اللقاءات الحميمة والابتسامات العريضة بين زعماء السلطة الفلسطينية وزعماء اليهود الذين يقومون بأعمال اقتحام وقتل يومية في الضفة الغربية، وحصار خانق مصحوب بغارات جوية وقصف واقتحامات لغزة؟! كيف نستطيع تعليل حرصهم على السيطرة على معابر غزة مع مصر وعدم الاحتجاج أو حتى الحديث عما يجري في جنين وبيت لحم ورام الله؟! إنهم لا يتحدثون عن القدس ولا عن الشعب المطحون، بل عن السلام والسلام فقط، سلام اليهود وطمأنينتهم والتسليم بحقهم بما أخذوه وفضلهم بما أعطوه! وعندما تسمع لحن قولهم تلاحظ وتحس صدق المشاعر عندما يتعلق الأمر بمصابٍ لليهود، يقابله حديث من أقصى الحلق ولكنه خالٍ من المشاعر عندما يصاب أهلهم في الضفة الغربية وغزة. ولديهم إصرار على الحوار السياسي القائم على شعار (نبذ العنف) مع من سرق أرض فلسطين وشرد أهلها في أصقاع الأرض، ويقابله إصرار على رفض الحوار مع من يرفع شعار المقاومة ويمارسها؛ قبل إعادة الأوضاع إلى ما قبل أحداث غزة. والسؤال هنا: لماذا يحاورون اليهود قبل أن تعود الأوضاع إلى ما قبل ١٩٤٨ أو ١٩٦٧ أو حتى ما قبل (أوسلو)؟ لماذا يرضون أن تفرض عليهم سياسة الأمر الواقع مع (أولمرت) ويرفضونها مع هنية؟ هل لأن شقة الخلاف مع حماس أكبر؟ أم لأن طبيعة الخلاف هي الأساس؟ فالخلاف مع اليهود على أرض وحقوق، ومع غيرهم خلاف أفكار ورؤى يسمى حديثاً بـ (الخلاف الأيديولوجي) ويعني اصطلاحاً: الخلاف العقائدي الذي يعني: أن مفاهيم الربح والخسارة أو المصلحة والمفسدة أو الخير والشر أو العدو والصديق القائم كل منها على التصور العقدي متناقضة بين الطرفين، ونحن في عصر يقبل كل خلاف باسم (الحرية) ولكنه يرفض أيَّ خلاف قائم على تصور إسلامي. إنهم يضغطون على حرية الشذوذ ويرفضون الحجاب، إنهم يسمحون بعرض كل شيء حتى سبِّ الذات الإلهية، ولكنهم يفتخرون بمنع مئات الكتب التي يدَّعونها ظلامية، إنه عنوان الحرية في معرض الكتاب الأخير في تونس.

وأخيراً: فالصراع الآن أساسه التنافس على تسويق وتركيب جهاز تحديد الهدف، ولذا أدعو المفكرين والدعاة إلى الجدية في إعداد وبث جهاز تحديد هدف بسيط وفعال وسهل التركيب. اللهم إني أسألك إيماناً كإيمان العجائز.

(*) أستاذ مشارك في كلية الهندسة، جامعة الملك سعود، الرياض.



سلسلة رؤى معاصرة



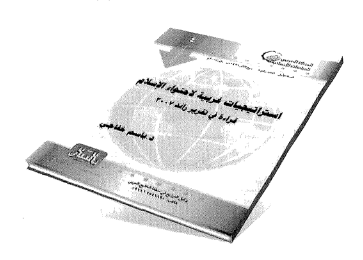
الغرب أصل الصراع

عامر عبدالمنعم



مسلمو روسيا ومشاريع الاستقلال

محمد عادل



استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام

قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧

د.باسم خفاجي



متى يا قدسُ أروي كِ دمي؟

محمد عبد الرازق أبو مصطفى(*)
MAAM39@hotmail.com

يا رَفيفَ القلبِ في مرمَى الخُطى
وانثنى بينَ الليالي شارداً
فإذا ما هبَّتِ الذكرى ترى
وإذا الروحُ اشتعالٌ جارفٌ
يَمَّمَتْ شطرَكِ وَجْهاً هَائماً
وفؤادي مِنْ لهيبٍ دفقةُ
مُفعَمٌ بالحُبِّ يطغى شوقُهُ
ذابَتِ الأقدامُ مِنِّي غُربَةً
كلما زاد ابتعادي خطوةً
سورةُ الإسْراءِ تذكي لهفةً
في عظامي حُبُّ أقصَاكِ نمَا
وغدا لي رحلتي معْ قاربي
كلما أبحَرَ جُرحي ضمَّهُ
وحنيني فاضَ للأقصى ومَا
فمَتى يا قدسُ أرويكِ دَمي
ومَتى يا قدسُ أجثو شَامخاً
ومَتى أسمو شهيداً باسماً
ومتى ألقاكِ نجماً لاهباً
ومَتى توقدُ روحي شمسَها
ومتى أحملُ رأسي بيدي
عائدٌ يا (قدسَ جرحي) عائدٌ
أنا حُرٌّ يا رُبى القدسِ، أنا
أغرسُ الفجرَ انتصاراً رائعاً
وأغني المجدَ بحراً هادراً
فخُيولُ النصرِ شقت درْبها
وسيوفُ الحقِّ مَعْ فرسانها
فغداً يعلو شبابٌ ثائرٌ
يزحفُ الموكبُ في تكبيرةٍ
فيلبِّي النصرُ في أنشودةٍ

ضَاع قلبي في غرابيبِ الدُّجى
جَامِحاً فوقَ مواويلِ المدى
حَالتي، ضجَّت لذكراها الدُّنا
في كيَاني مثل شلالِ اللظى
تنهب الأرضَ سِراعاً بالخُطى
مُشعل شوقاً ترانيمَ الهَوى
يبتغي لقياكِ يا وَجه المُنى
في بُروقٍ خَضَّبلتني بالجوى
عَنكِ زادَ القربُ منكِ للفدا
في دمَائي قبلَ أيَّامِ الصِّبا
فغدا نبضَ حياتي والدِّما
وغدا بحري وأمواجَ السنا
وكأنَّ الجرحَ يوماً ما جرى
حولَ أقصاكِ جبالاً وقرى
يملأ الساحاتِ عطراً وشذى؟
أمزجُ الدَّمَّ بحبَّاتِ الثرى؟
في شهابٍ من براكين الوغى؟
يتحدَّى كلَّ نيرانِ العدا؟
هامةً شمَّاءَ في وجهِ الرَّدى؟
ويدٌ تحفرُ رَمْسي في الضُّحى؟
لأرَوِّي بالدِّما كلَّ الرُّبَى
غاضبٌ يَأتي كآسَادِ الشَّرى
بَين عينيكِ أكاليلُ الوَفا
مَوَّجُهُ يعزفُ ألحانَ الذرى
باشتياقٍ كاسحٍ للملتقى
تملأُ الدُّنيا وأرجاءَ الفلا
في تحدٍّ صارمٍ هام الدُّنا
تسمع الدُّنيا بإيقاعِ الصَّدى
تخفقُ الرايَاتُ فيها والقنا

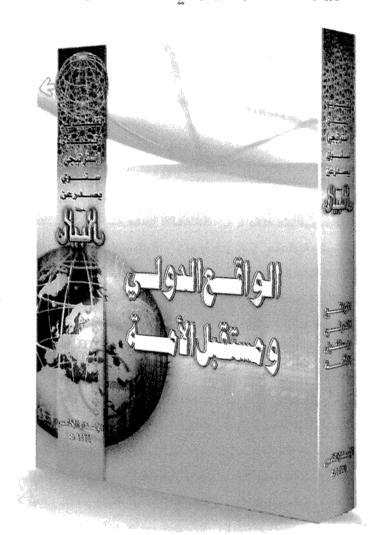
(*) عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.



الآن..

في الأسواق

التقرير الاستراتيجي الخامس ١٤٢٩هـ



زوروا جناح مجلة البيان

في معرض الرياض الدولي

من الفترة

٢/٢٦ إلى ١٤٢٩/٣/٦هـ

جناح رقم (٧٤٧)

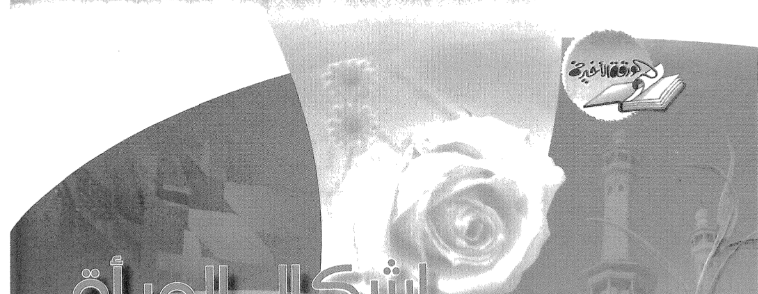
الرياض - هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١

الشارع ٤٤٧/٨٩٣٢-٠٥٠-٠٥٠٢٢١٠٩٢٠-٠٥٠٣٤٠٩٨١٦-٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥-٠٥٠٦٤٦١٠٦٥-٠٥٠

جدة ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٠٥٠٧٣٦٦١٢٠ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

الشرقية ٠٥٠٦٣٩٣٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

www.albayan.co.uk



إشكال المرأة

بين الواجب الشرعي والأهداف الأجنبية

د. أحمد محمد الدغشي(*)

من المقرّر لدى الباحثين في مجال الفكر الإسلامي أن جانباً من فقه عصور الانحطاط الثقافي الذي بدأ - على وجه التقريب - منذ نهاية القرن الخامس الهجري وامتدَّ قروناً عديدة لاحقة - على تفاوتٍ بين كل قطر إسلامي وآخر - قد ألحق أبلغ الضرر بمجال الحقوق والحرّيات؛ ومنه: مجال حقوق المرأة، ولا مِراءَ في أننا لا نزال نعاني من آثار ذلك حتى يومنا هذا.

ذلك لا يعني أن وضع المرأة في الغرب كان أحسن حالاً، بل لقد كان أسوأ أضعافاً مضاعفة، ويكفي هنا الإشارة إلى أن القانون البريطاني كان إلى ما قبل مائة عام فقط يجيز للرجل بيع زوجته عندما يتبرَّم بها، على أن لا تُباع بأقل من ستة بنسات، وساحة لندن الشهيرة بهذا الشأن شاهد حاضر على ذلك. كما أن وضعها حتى اليوم لا يعني أنها حققت كل مطالبها؛ فلو لم يبقَ إلا قوانين العمل الغربية التي تعامل المرأة بأجور أقل من أجور الرجل؛ نظراً إلى تعرُّضها لحالات بيولوجية لا يتعرَّض لها الرجل، وكأن المطلوب أن تتخلّى عن أنوثتها بالكامل؛ لكي تنجو من هذا العقاب - لو لم يبق إلا تلك القوانين لكفى ذلك دلالةً على قهرها في مجتمعات الغرب.

مأساويةُ وضع المرأة في الغرب أنتجت قيام حركة نسوية غربية هادرة هناك أتت ردَّ فعل طبيعياً، حيث نادت بحقوق المرأة، وَفْق منطق هجومي انتقامي ثائر، أيّاً بلغ الشطط فيه فلا مناص من تفهُّمه، والتعامل معه بمنطق تلك البيئة وملابساتها. بيدَ أن المثير أنه بدلاً من أن تنطلق حركات تجديدية نسوية أصلية في بلداننا تنادي بحقوق المرأة المسلوبة في مجتمعاتنا؛ بسبب بقايا الأعراف الجاهلية ورواسب التقاليد المتنافية مع تعاليم الإسلام وتوجيهاته؛ إذا بنا نجد استنساخاً يكاد يتطابق في أحيانٍ كثيرة مع النموذج الغربي من حيث الفلسفة والأبعاد! ولعل هذا يفسِّر سرَّ الانحسار الذي غدت الحركة النسوية تعاني منه، حيث صُدِمَتْ كثير من الفتيات اللواتي كنَّ قد اندفعن للانخراط في هذه الكيانات، أو المناصرات لدعواتها؛ بأن أجندتها أجنبية، أو بمعنى أكثر مباشرة: وجدْنَ أن ملف اهتماماتها لا يلامس مشكلاتهن البيئية الفعلية، وبعضهن اكتشف أن بعض هذه الحركات تعمل

(*) أستاذ أصول التربية الإسلامية المشارك، كلية التربية، جامعة صنعاء، اليمن.

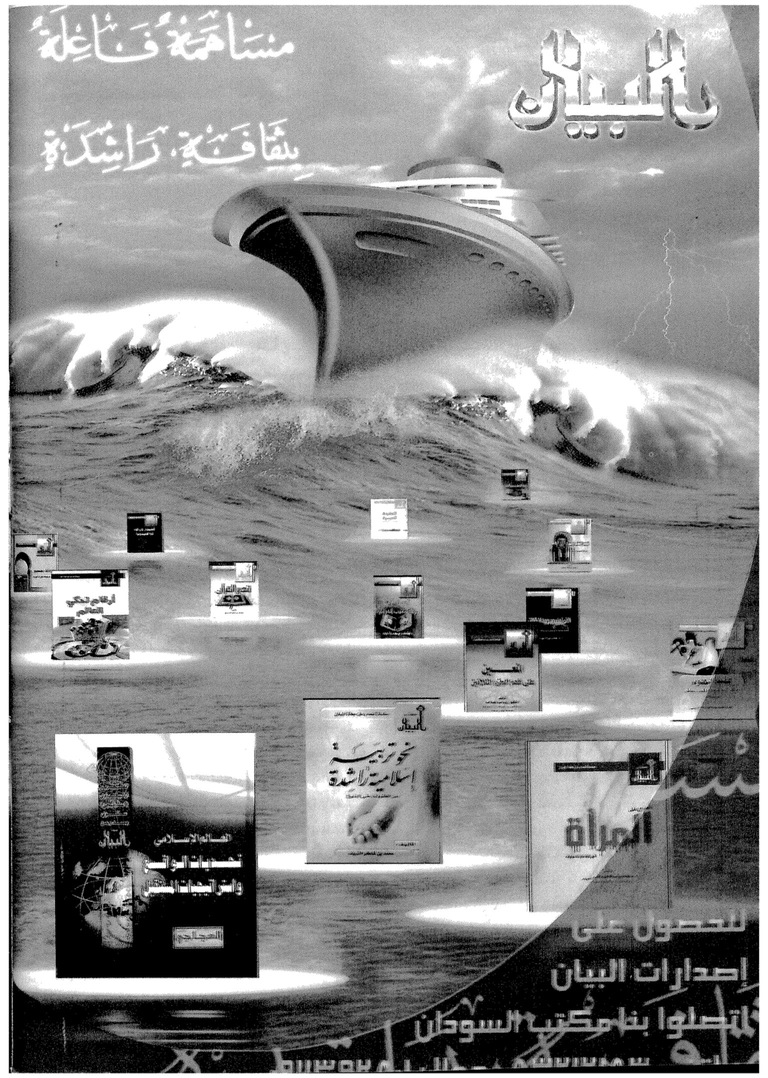
على تنفيذ أجندة أجنبيـــة صارخة موجَّهة من قِبَل الجهات الأجنبية المانحة!

ولقد كان الأمل يحدو صاحب هذه الســطور حين وقف على أنشـــطة بعض تلك الجهات تنطلق في ظاهر الأمر من أجندة داخلية؛ أن تصدق مع شـــعارها وظاهر نشاطها، لكن كم كانت الصدمة عنيفة حين اكتشـــف - كما اكتشف آخرون من قبـــل - أن ذلك لا يعدو منطقاً براجماتياً ذرائعياً (نفعياً - مصلحياً)، يعمل على توظيف الإســـلام للوصول إلى تنفيذ بعض الأجنـــدة الأجنبية، وقد يضطرها ذلك لرفع شـــعار (الإســـلامية) مؤقتاً، واستضافة شخصيات شرعية (دينية)؛ بهدف إضفاء المشـــروعية على أنشطتها، وفي حال خرج أيٌّ من هذه الشـــخصيات عن ذلك الهدف، بمـــا يعني تعارضاً واضحاً مع ما من أجله قد اســـتُضيف؛ فإن أحســـن طريقة لعـــدم التورُّط معه ثانية: عدم دعوته مرة أخرى؛ إذ لم يلتزم بالشـــروط غير المعلنة للاستضافة أو (الاستعارة)؛ إذا شئنا الوصف الدقيق!

أعلم أن كثيراً من الفضلاء الذين يُدعَوْن إلى المشاركة في أنشـــطة من هذا القبيل يزعمون أنهم من الحصافة والوعي بحيـــث لا ينطلي عليهم مثل ذلـــك، وأن الفتات من المكافآت الماليـــة التي يتحصَّلون عليهـــا أحيـــاناً؛ لا تعني أنها ستحول بينهم وبين أن ينجرُّوا إلى مشـــايعة أجنـــدة غازية من وراء البحـــار، وإن حـــدث ذات مـــرّة أن قال أحدهم رأياً اختلف فيه مع هـــذه الجهـــة أو تلك. كل ذلك ليس محلَّ نقاش، أو محور اختلاف بين كاتب هذه الســـطور وهؤلاء في هذا المقام، بيدَ أن محـــلَّ الخـــلاف يكمن في إصرارهـــم على هذه المباركات المستديمة لأنشـــطة بعضٍ من تلك الدوائر المشبوهة - حقاً - حـــين يتعامون المرَّة بعد الأخرى عـــن أن يقفوا مع ذواتهم ليفسِّـــروا ســـرَّ الدعم الأجنبي المعلَن في كثير من الأحيان لأنشـــطة من هذا القبيل، مع اقتناعنـــا وترديدنا أن الغرب يســـعى لحماية مصالحه، وتنفيذها بكل الوســـائل؛ المشروع منها وغير المشـــروع، كما يجـــري على أكثر من صعيد، وفي أكثر من مكان من عالمنا، انطلاقاً من فلســـفته البراجماتية الذرائعية، لكن يظل الســـؤال: هل سيستثني الغرب من ذلك مجال المرأة وحده؟!

أرجو أن لا ينصـــرف إلى أذهان أيٍّ من أولئك الفضلاء أو القـــرَّاء أن ثمَّة جهلاً بحقيقة مثل هذه الأنشـــطة، أو أن هناك غيرةً في منطلق هـــذه الملاحظة، وليعذرني هؤلاء إن صرَّحت لهم أن ليس ثمَّة جهل في ذلك؛ فلقد كان كاتب هذه السطور واحداً ممن يحسن الظن يوماً ببعض هذه الجهات، حتى تبيَّن لـــه بالموقف العملي أن الهدف من وراء دعوته هو التســـويق والمباركة، وأنه غير مرحَّب به إذا ما فكَّر أن يبدي رأيه الشـــخصي المنبثق من فكره الحـــرِّ ورؤيته الحضارية! أمّـــا الغيرة فلا تصيب المرء الذي يتمنى لو يشـــتري أوقات العاطلين، وذوي البطالة الصريحة أو المقنَّعة، ليتفرَّغ لإنجاز أيٍّ من طموحه الذي ينوء بحمل تنفيذه جهد فردي محدود.

وإذا كان مثـــل ذلك التوقُّع محتملاً فإن الوقوع في مأزق التصنيـــف عيب أخلاقي وثقافي كبير، وإنـــي لأَرْبَأُ بالمثقَّف الحرِّ أن يقع فيما وقع فيه ذوو التخلُّف المركَّب، حين يبررون مســـلكهم الإقصائي، وإرهابهم الفكري، لكل من خالفهم في وجهة نظر؛ فيســـارعون إلى تصنيفه في خانة التشدد، وقد يبلغ ببعضهم الإســـفاف حدَّ أن يُسقط مسلكَه في الإقصاء والإرهاب الفكري علـــى مخالفه. ومع أن العبد الفقير يؤكِّد أنه ليس حريصاً على منطق الشخصنة والخلط للأمور؛ لكن يبدو أنه مضطر - بحكم خبرته ببعض النفســـيات ولا سيما من القـــائمين على مـــثل هـــذه الجـــهـــات - أن يصـــارح أنـــه لا ينتظر من هذه الجهة أو تلك شـــهادة بتحرُّره أو بانفتاحه، فنشـــاطه المتواضع على الأرض وبالأخـــص كتابه (مقدّمات أربـــع أولية في فقه المرأة المعاصرة) يتحدّث عن نفســـه في هذا السياق، ولا يشرِّفه أن يحظى بدعوة - غير بريئة - من أيَّة جهـة داخلية أو خارجية، كما لا يســـعده أن يتحوَّل إلى (بروباجندا) أو (بوق) مفتوح لتســـويق أجندة أجنبية، تتعيَّش من ورائها شخصيات ذكورية ونسوية لفظَتْها مجتمعاتها، بعد أن أبـــت إلا أن تذكِّـــرك بتلك القصة الرمزيـــة التي حكاها (آدمز) مشـــيراً إلى أنها شـــرقية، حين ذكـــر أن ناحية من النواحـــي أُصيبت بفيضان عظيم تورَّط فيه قرد وســـمكة، وبطبيعة القرد لا يعدَم الحيل، إذ تســـلَّق فرع شـــجرة، ونجا من خطر الفيضـــان، ولكن بصره وقع على الســـمكة، أثناء مواجهتها تيار الفيضان، وطفوها على سطح الماء، فرقَّ قلب القرد، ولم يتحمَّل المشـــهد، فنزل من الشـــجرة، وسارع إلى السمكة، لينقذها - بكل إخلاص - من خطر الفيضان، وجاء بها إلى الســـاحل ليلقيها على الرمل، حيث لا تصل الأمواج، ولكن لَكُم - قرائي الأعزاء - أن تتأمَّلوا النتيجة!


البيان
مساهمة فاعلة
بثقافة راشدة
نحو تربية إسلامية راشدة
المرأة
للحصول على
إصدارات البيان
اتصلوا بنا مكتب السودان

شركة الناصر
ALNASSER CO.

تبرز إنارة الحدائق في المساء جمال الطبيعة الخاص وتسمح لنا بتمضية متسع
من الوقت في راحة تامة. كما أنها تبرز الأماكن المفضلة لديك.
يمكن للإنارة الخارجية الجيدة أن تجعل من الحديقة الصغيرة كبيرة
وواسعة ومن الحديقة الكبيرة صغيرة دافئة تشعرك بالانشراح والتقارب.

الإنارة بمفهوم حديث

الإدارة العامة : الملز - طريق صلاح الدين ص.ب ١٢٤٦ الرياض ١١٤٣١ هاتف: ٤٧٧٧٧٠٠ - فاكس: ٤٧٨٩٤٦٩
الفروع : الملز ٤٧٧٦٦٤٢ الروضة : ٢٤٨٢٢٠٠ - التخصصي ٤٨٢٥٢٤٣ - جدة ٦٦٥٩٨٥٥ - الدمام ٨٣٣٦٥٠٩ - القصيم ٣٢٤٤٨٢٥ - خميس مشيط ٢٢٠٣٠٣٨ - المدينة المنورة ٨٦٥٠٠٨٨ - مكة المكرمة ٥٣٧٤٤٨٨
www.alnasserco.com marketing@alnasserco.com

الأقصى شاكياً

لا والذي سمك السماء وحاكها
لن نهتدي إلا بشرع محمد
فهو الذي قاد العروبة للعلا
بالدين بالحق المبين بمسجد
واليوم صرنا كالبغاث بأرضنا
خرساً وعمياً عن عدوٍ سرمدي
أهلي تعاموا عن عدوٍ غادر
واستبسلوا في قهر شعب مجهد
والمسجد الأقصى يردد شاكيا
ما حيلتي يا رب قد قطعت يدي
حولي الأحبة أغمضوا أبصارهم
عما أقاسي من عدوٍ ملحد
يا أيها الأقصى الجريح تصبراً
فالنصر آتٍ لا محالة في غد
الناس حولك ثائرون تصدهم
عنك القيود وحكم ثرثار ردي
وغداً سيرحل إفكه وشروره
وتقص أجنحة الزعيم الأوحد
ويصاح: يا هذي الحدود تصدعي
عن دربنا، وذري المسيرة تبتدي!

مروان كجك

